

دراسات في الأدب والعلم والفلسفة

ابو تيماء

شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

تأليف

فرزغ

محترف في الفلسفة

عمدة المنهج البليعي العربي في دمشق

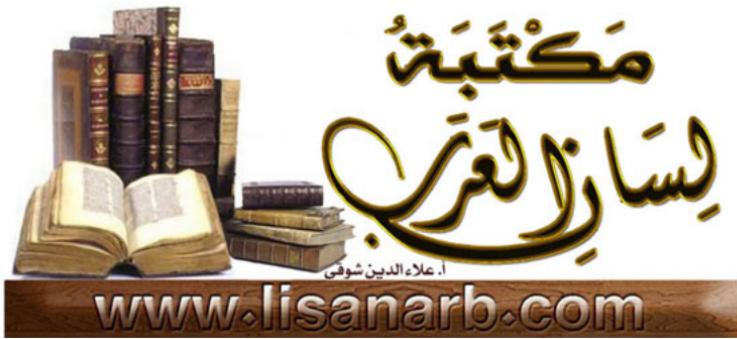
عضو تحريرية المعرفة الإسلامية في بيروت



الناشر

دار لبنان للطباعة والنشر

بيروت - لبنان



أبو نَّام

دراسة تحليلية

ابو تيماء

شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

دراسة تحليلية

تأليف
عمر فرقان

م Moreno
م Moreno
م Moreno

الناشر
دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

جميع الحقوق محفوظة



أولى البرية حقاً أن ترعايهُ عند السرور الذي آساكَ في الحزنِ
إنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَا لَفُهُمْ فِي الْمَوْطَنِ الْخَشِينِ

فِرْسَتُ الْكِتَابِ

- الادب : أو الانتاج الوجданى الجيد
٢٠ - ٩
- أبو تمام في دمشق -
٢١
- جسم - في جاسم - مولده - في حمص للمرة الاولى - الرحيل
إلى مصر - أبو تمام في المسجد - الرجوع إلى الشام فالعراق
- في خراسان - في العراق وببلاد الروم - وفاته - صفاته
٣٦ - ٢١
- وأخلاقه - آله
- بيئة أبي تمام
٣٨
- ٣٨ - بيئته الخاصة
- احتکاكه الاول بالشعراء - مصر بعيدة عن فساد بغداد -
من استقى أبو تمام علمه - أثر مذهبة فيه - مقامه عند
المدحدين - حياته الخاصة - العنصر الشخصي -
٤٦ - ٣٨
- ٤٦ - العناصر المساعدة
- الثقافة اليونانية - الزندقة والشعوبية - الأحداث والفتوح:
العلويون - بابل الحرمي - فتح عمورية - مازيار - حرق
الأشين
- ٥٢ - ٤٦
- الخصائص الأدبية في شعره
٥٣
- ٥٣ - خصائصه المعنية
- شغفه بالاغراب - قوي الفكر غواص على المعاني -
تفاوت شعره - التشبيه والاستعارة - كثرة اختراعه -
اعتداده بشعره - مطالعه وتخلصه وخواتيمه - مصادر
معانيه - العروبة والاسلام في شعره
٧٦ - ٥٣

٢ - خصائصه اللفظية

الصناعة في شعره - الجناس والطباق - شعره وأسلوبه -
مذهب أبي تمام - عمود الشعر والمذهب الشامي - تاريخ
المذهب الشامي - موجز خصائص المذهب الشامي - نظمه
- التصرير والتوضيح - التوشيح

٩٧ - ٧٧

٩٨

المتعصبون له والمعصبون عليه

المتحاملون عليه - أنصاره وخصومه المتأخرة - دفاع
أبي الفرج - مهاجاته للشعراء

١٠٢ - ٩٨

١٠٣

آثاره وأثره

ديوان الحماسة - سائر مجتمعه الشعرية - مقلدو أبي تمام -

١١١ - ١٠٣

ديوانه والشرح عليه

١١٢

فنون أبي تمام وأغراضه

المدح - مدحه أبي تمام - الفخر - الرثاء - رثاء آل
حميد الطوسي - العتاب - الوعيد والهجاء - الوصف -
وصف القلم - الغزل والنسيب - نموذج من غزله -
الحكمة - الزهد

١٤٤ - ١١٢

محنارات من شعره

١٤٥

مدح عبد الله بن طاهر

١٥٣

رثاء محمد بن حميد الطوسي

١٥٧

مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى

١٦٦

مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي

١٧٣

فتح عمورية

الفهرست الابجدي لأعلام الاشخاص

الأدَبُ

أو الانتاج الوجْداني الجيد

ما الإنتاج الوجْداني الجيد؟

على هذا السؤال يدور علم النقد : وعلم النقد نفسه يقوم على علم البلاغة ؛ والغاية من علم البلاغة أن تبيّن الخصائص الفنية في الإنتاج الوجْداني من النثر والشعر . وتبيّن هذه الخصائص هو الذي يمكننا من الوقوف على حسنات القطعة الأدبية وسعيّتها . وبهذه الحسنات والسيئات المجموعة من القطع الأدبية المفروضة نستطيع أن نميّز بين شبيهين :

— بين القطع التي تستحق أن تُضاف إلى جموع النتاج الوجْداني المرُويِّ عن العرب منذ أقدم الأزمنة التي اتصلت بها الرواية ،
— وبين القطع التي لا تبلغ في الجودة ، بحسب المقاييس التي في أيدينا ،
إلى أن تدخل في تراثنا الأدبي .

ثم إذا نحن رجعنا البصر في خصائص القطع الأدبية التي حكمنا بأنها من الإنتاج الوجْداني الجيد وجعلناها جزءاً من تراثنا الأدبي استطعنا أن نفضل بعض هذه القطع على بعض .

والواقع أنه ليس في النتاج الأدبي قطع جياد وقطع ردية . إن التراث الأدبي يتَّلَفُ من قطع جياد فقط ؛ وليس القطع ردية من الأدب أصلاً . ولكن متى تُعدَّ القطعة جيادة؟ وما أقل عددٍ من الخصائص نطلبُه حتى نعدَّ القطعة المفروضة أدباً؟

نحن في زمن تكثير التأليف فيه في كلّ مكان وفي كلّ فن من فنون المعرفة الإنسانية . والإنتاج الأدبي ، في كلّ مكان ، أكثر فيضاً منسائر فنون المعرفة (من مثل الرياضيات والفلكل والكمياء والموسيقى وعلم الآثار) . والسبب في ذلك واضح ، هو أن العلوم الرياضية والطبيعية وما يجري مجرّها علوم موضوعية ذات قواعد ثابتة مربوطة بيراهينها . فليس من الممكنة في كلّ إنسان أن يهجم على التأليف فيها . إن المؤلف في هذه العلوم يُعرّف من تلقاء نفسه أين يقع الخطأ في ما ألف أو جمع . أما في العلوم الإنسانية (في الأدب والاجتماع والفن الوصفي) فالمدار على الأحكام النسبية بالإضافة إلى المكان والزمان وإلى ثقافة المؤلف والقارئ . وهذه الأحكام تختلف عادة بين زمان وزمان ، وبين مكان ومكان . ثم بين شخص وشخص في المكان الواحد والزمان الواحد . إن المؤلف يستطيع أن يجادل بالألفاظ المركبة والحجج الشخصية عن إنتاجه الريدي في ما يسميه هو أدباً أكثر مما يستطيع أن يدافع عن عمله الريدي في العلوم الرياضية والطبيعية .

* * *

والملوّف في التعريفات أنها مقبولة على أنها « كل » غير خاضع للتجزئة . نحن لا نستطيع أن نقول في الهندسة مثلاً : « إن هذا المربع مستطيل قليلاً » ، ذلك لأن الشكل الرباعي الأضلاع إذا لم يستوف شرط التربع كاملاً فإنه لا يسمى مربعاً أصلاً . وكذلك نحن لا نسمّي الشكل الهندسي دائرة (أو محيطاً للدائرة على الأصح) إلا إذا كان خطأ دائراً متصلة تبعد جميع النقاط فيه عن نقطة داخلية واحدة مفروضة بعدها واحداً . فإذا اضطرب هذا الخط أو انغير في نقطة واحدة بطل أن يكون محيطاً للدائرة وعاد خطأ منحنياً فقط .

على أننا في العلوم الإنسانية لا نفعل ذلك عادة . إننا نقبل ، فيما يبنتنا ، أمثل هذه الجمل : فلان أديب من الطبقة الثانية ؛ فلان سياسي قدير ولكنّه قليل الإخلاص ؛ فلان رسام ولكنّه لا يحسن مزج ألوانه ! لقد كان علينا ألا نقبل أديباً من الدرجة الثانية ، وألا نتعرّف بسياسي قليل الإخلاص ، وألا

تُقْبِرَ لرسام لا يحسن مزج الألوان . ولكن بما أن البشر على درجات متفاوتة من الفهم ومن الاختبار ومن التثقيف ، فأنهم يقيسون الجودة في الفنون الإنسانية بالاستعداد النسيي الذي في نفوسهم ثم يقللون من تلك المحاولات الإنسانية ما يزيد في مستوى الجودة عما يستطيعون هم أن يصله إلى مثله . فالتسميات التي يخلعها هؤلاء على المحاولين للعلوم الإنسانية (من أمثال : أديب أو شاعر ، خطاط أو رسام ، مؤرخ أو علم اجتماعي ، سياسي أو اقتصادي) إنما هي تسميات بالنسبة والإضافات إلى أنفسهم هم وإلى ما يحسنون من فنون المعرفة وما لا يحسنون ، وليس هي تسميات ذاتية في تلك الفنون نفسها .

أما الأحكام الهندسية فإنها مقيسةً بقواعدٍ بدائيةٍ أو قابلة للبرهان في الأشكال الهندسية نفسها . هذه القواعد جمعت في أيام أقليدس . منذ اثنين وعشرين قرناً ، ولا تزال إلى اليوم لم تتبدل ولم يخطر في بال أحد أن يبد لها (فيما يتعلق بالهندسة الإقليدية) . أما الذي تبدل منها فعلاً (كجواز التقاء المتوازيين في الانتهاء) فقد بطل أن يكون من هندسة أقليدس ثم أصبح تابعاً لفن قائم بذاته (هو النظرية النسبية) .

* * *

سيقول آخرون من الناس : « إنك ، يا فلان ، تريد أن تنظر إلى الشعر على أنه ذو قواعد الرياضيات والطبيعتيات ! » يجب أولاً أن نصحح لهؤلاء الناس جملتهم التي ساقوا فيها اعتراضهم ؛ إن الذي أريده هو أن يكون للشعر في نطاقه هو قواعد كقواعد الهندسة في نطاق الهندسة ، وكقواعد الكيمياء في نطاق الكيمياء ، وكقواعد النسيج في نطاق صناعة النسيج .

إن الإجادة المقدرة بأصول ثابتة من العلم هي السبيل للحكم على الإنتاج الوجdاني : هذه الإجادة في نظم الشعر هي التي تجعل من صاحب ذلك الإنتاج شاعراً ؛ فإذا لم تتوفر له الإجادة الصحيحة المقيدة بالأصول العلمية فهو بعد ناظم فقط .

نرجعُ إلى حديث النقد الأدبي .

إن القصيدة المترودس في الإنتاج الوجданى تكون من التراث الأدبي :

- ١ - إذا كانت ألفاظها ملائمة لمعانٍها المقصودة ، سهلة المخالج من أجزاء النم ، عذبة الواقع في الأذن . مألوفة عند جمهور المثقفين .
- ٢ ... إذا كانت تراكيزها صحيحة منطبقه على القواعد المقبولة في اللغة المروية من حياة الأمة في النطاق الوجدانى والمدى الاجتماعى .

- ٣ - إذا كانت تعالج غرضاً من الأغراض الملابسة لحياة الأمة . ثم كان ذلك الغرض . في زمان إنتاج القطعة الأدبية المقروضة . ملابساً أيضاً لعاطفة صاحب تلك القطعة و مداخلاً بخاتم من جوانب تفكيره . في هذه الحال يصبح صاحب المتن القطعة . في قطعته تلك . ممثلاً لعمرية قومه ومصوراً لحياتهم في إطار أدبي يؤثر في النفس الإنسانية خاصة وعامة .

- ٤ - إذا كان فيها صناعة فنية من الماجوء إلى أوجه البلاغة المختلفة حتى يضفي ذلك عليها عنصراً من الحيال يحسم حقيقتها في الأذهان ويصل بالأثر المطلوب من إنتاجها إلى أفهم الكثرة المطلقة من قوم صاحبها - على صور حقيقة أو متخيلة - وذلك على الرغم من اختلاف درجات الاستعداد الشخصي في أولئك القوم ومن اختلاف درجات التقيف التي هم عليها . إن الصور البلاغية في القطعة الوجданية هي التي تدخل تلك القطعة في إطار التراث الأدبي .

- ٥ - إذا كان فيها تقادُ بصيرة . وكانت الآراء التي فيها توافق الواقع وتساير الاختبار الإنساني في تطوره الخاص (في قوم صاحبها) أو في تطوره العام (في معظم الأقوام)

- ٦ - أن يكون فيها شعور يسمى على شعور سائر الناس في ناحية واحدة من التواحي على الأقل . حينئذ تستطيع عين صاحبها أن تكتشف في الموضوع المادى الذي تصفه . كما يستطيع فكر صاحبها أن يلمع في الموضوع المجرد الذي يعالج ، ما لا يستطيع غيره أن يكتشفه أو أن يلمعه بنفسه . بهذا ينفرد صاحب القطعة الوجданية عن كثريين من أنداده ويصبح خليقاً باسم أديب .

٧ – أن يكون فيها وعيٌ للصناعة الآلية فلا يفارق صاحبها الأصولَ التي يسير عليها أهل تلك الصناعة . وكذلك يجب أن يكون فيها استواء في العمل الفنيّ فلا يكون فيها تفاوتٌ أو اختلاف في مراتب الجودة ، أو أن يكون فيها اضطراب يخرج بها عن حد الجودة .

٨ – أن يكون صاحبها ملماً بالفنون المتصلة بفنه المخصوص . إن الشاعر مثلاً « ليس مزخرف جمل بالكلمات » ، ولكنَّه صاحب صناعة يتناول أغراضها من طريق الحياة ؛ فعلى الشاعر أن يكون ملماً بمحاذيب الأغراض التي يتناولها في شعره . ليس من الضرورة أن يكون الشاعر عالماً بالفلك والتاريخ ، ولكنَّ عليه إذا تناول غرضًا من الفلك أو التاريخ ، أو إذا هو مسَّ ذلك الغرض مسَا ، أن يكون ملماً بذلك الغرض على الأقلَّ فلا يأتي به على غير وجهه فيفسدَ السورةَ الشعرية التي يريد أن يحملها إلى أذهان الناس أو يعمّيَها على أفهامهم .

٩ – أن يكون فيها رسالة يشعر الأديب أنه يوَدِّ بها على وجه من الوجه الم محمودة ، ذلك لأنَّ لكلَّ عمل – في نطاق عالم الإنسان وفي نطاق عالم الطبيعة الحامدة أيضًا – غايةٌ تجعل الإنسان يدرك في نفسه على الأقلَّ أنه قد أصبح بعدَ عمله هذا أفضلَ مما كان من قبل . والمقاييس التي تُقْوِّم هذه الرسالة مأخوذة من حياة المجموع الصغير الذي يعيش فيه الأديب ثم من حياة المجموع الكبير الذي يعيش فيه قوم ذلك الأدب .

١٠ – أن يكون فيها أسلوب خاص هو الأسلوب الذي يتميّز به صاحبها في تاريخ التراث الأدبي . إذا كان ناظم الشعر يطبع ما ينظمه على أساليب غيره ثم لا يخرج بعد ذلك بأسلوب خاص به تُعرف به أشعاره عند تطبيق أصول النقد ، فليس خليقًا أن يقال له شاعر ، لأنَّه يكون عندئذ صورةً لشاعر آخر هو أحق منه بهذا الاسم .

و هنا يعرض النفر الآخرون من الناس مرّة ثانية فيقولون :
ولكن ، ما مقام العنصر الإنساني والطابع الشخصي في الأدب ؟

وأنا هنا أيضاً أحب أن أصحح الجملة التي سبق فيها الاعتراض الثاني :
أنهم يقصّدون أن يقولوا : ما قيمة الاختبار الفردي في الأدب ؟ إن هذا
الاختبار الفردي لا قيمة له أبداً مالم يندرج في جانب من جوانبه على الأقل في
القاعدة الثالثة من القواعد العشر السابقة .

حينما نقول : « غابة » ، فاننا نعني شجراً كثيراً من نوع واحد نابتاً نباتاً
طبيعياً أو نباتاً صناعياً قديماً . فإذا رأينا رجلاً قد زرع في حديقة بيته شجرة أو
عشر شجرات أو أقل من ذلك أو أكثر ، فاننا لا نسمى تلك الشجرات
! غابة !!

الرجل الذي نظم قصيدة واحدة لا نسميه شاعراً . والمقطوعة الطويلة التي
يرد فيها بيت جيد أو بيان جيدان لا نسميها قصيدة . حتى الجُملَ الْتِي تأتي
عفواً على أحد أوزان الشعر ، فاننا لا نسميها أبياناً .

وكذلك حينما تخطر لرجل صورة غامضة ثم يعبر عنها عبريراً غامضاً (إذ
لا يمكن أن يكون التعبير عن الصورة الغامضة إلا عبريراً غامضاً) أو تعبيراً
يدعى هو أنه يفهمه ، ولكن لا يفهمه أحد سواه ، حتى أولئك الذين رُزقا
حظاً من الفهم والعلم ، فاننا لا نستطيع أن نعد هذا التعبير من الأدب بحججة أن
صاحبـه قد توهـم أنه بـتعبيرـه الغامـض عن الصـورة الغامـضـة في ذـهـنه يـتـبعـ أدـبـاـ .
إنـ هـذـاـ الـكـلـامـ يـقـوـدـنـاـ لـمـ سـؤـالـ وـاضـعـ :

ما موقف النقد العربي من قسم من الإنتاج الوجданـيـ الحديثـ الذي يـسمـيهـ
أصحابـهـ شـعـراـ ؟

يجب أن أبدأ جوابـيـ هناـ بـمـلاحظـتينـ :

(أ) فيـ الشـعـرـ العـرـبـيـ مـنـذـ الـجـاهـلـيـةـ قـومـ اـدـعـواـ الشـعـرـ وـلـمـ يـقـرـ لهمـ أحـدـ بـذـلـكـ
(كـماـ أـنـ نـفـرـاـ مـنـ النـاسـ ، مـنـذـ أـيـامـ اليـونـانـ الإـغـرـيقـ ، قـدـ اـدـعـواـ أـنـهـمـ كـانـواـ
عـلـمـاءـ فـيـ الـكـيـمـيـاءـ ، وـأـنـهـمـ كـانـواـ قـادـرـينـ عـلـىـ أـنـ يـحـولـواـ المـعـادـنـ إـلـىـ خـيـسـةـ
كـالـلـصـاصـ وـالـنـحـاسـ إـلـىـ مـعـادـنـ شـرـيفـةـ كـالـفـضـةـ وـالـذـهـبـ ، وـلـكـنـتـنـاـ نـحـنـ لـمـ نـقـرـ
لـهـمـ بـذـلـكـ . فـلـاـ دـعـواـهـمـ الـعـرـفـ بـصـنـاعـةـ الـكـيـمـيـاءـ وـلـاـ وـرـودـ ذـكـرـهـمـ فـيـ كـتـبـ

العلم والتاريخ كان مبرراً لأن يجعل منهم علماء كيمياوين) . فهو لاء الذين يطبعون الكلام على شكل الشعر لن يسموا شعراء كما لم يسم أولئك الذين أدعوا علم الكيمياء كيمائيين !

(ب) في عالم الطبيعة أمثلة أو نماذج للموجودات : وأعيان الموجودات تتكرر في عالم الطبيعة على تلك الأمثلة لا يفارق كل نوع مثاله المخصوص به في العادة . غير أنه قد يطرو طارىء على نوع من الموجودات فيخرج (ذلك الطارىء) من أحد أصول ذلك النوع فرعاً أسمى من أصله . من هذا الجنس العاقرة . وفي أحوال كثيرة يطرو الطارىء فيخرج فرع أدنى في سلم التطور الطبيعي من أصله فيكون في العالم أولئك المشوهون . وسواء أكان التشويه ظاهراً أو غير ظاهر — وهو مظهر لقاعدة طبيعية ليس للإنسان يد فيها — فان آثاره تكون دائماً ظاهرة . هذه الآثار الجديدة والغريبة على كل حال تمثل أمام عيون الناس : وكلما كان الإنسان أقرب في التشويه الباطن في نفسه إلى تلك الصورة الشوهاء ، اتسقت تلك الصورة الشوهاء مع نفسه . وإلا فكيف نفسر عمل الرجل الذي يمر بصورة من ريشة روافيل أو بتمثال من إزميل ميكالنجيلو فلا يلقي إلى أحدهما بالاً ثم هو يدفع ألوفاً ومئات الألوف ثم قطعة من النسيج عليها خطوط ولطخات من ألوان متنافرة ليعلقها في مكان من بيته قريب من عينيه . لا ريب في أن النتاج المشوه في الفن والصناعة وفي النثر والشعر نتيجة لتشويه في نفس صاحبه (وأحب من القارئ أن يحمل الكلمة التشويه في هذا الفصل من الكتاب على الدلاله على اختلاف أحد الفروع عن الصورة المخصوصة بأصله لا على المعنى الذي يحمل تعبيره).

لما قال مسلم بن الوليد في وصف الحمر :

ُسْلَتْ فَمُسْلَتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولاً .

قال له زميله وصديقه أبو نواس : « والله ، لو وقفت عارياً في الأسواق ترجم الناس بالحجارة لكان ذلك أحسن لك من هذا ! » وكل الناس تمر بهم غفلات من التشويه ، كما اتفق لمسلم بن الوليد .

وقد وقع في مثل ذلك أيضاً أَحْمَدُ شوقي لما قال في ملوك مصر من الفراعنة :
وتاجٍ من فرائده ابن سِيِّي ، ومن خرزاته خوفو ومينا !
ولم يفطن إلى أن لفظة « خرزاته » قبيحة ، على الرغم من أنها وردت في
الشعر الجاهلي في قول القائل « خرزات مُملِكٍ ». .
غير أن هذا التشويه اليسير العارض يُوجَبُ النقد على اللفظة والبيت ولا
يُوجَبُ الحكم على الشاعر .

ولكتنا أحياناً نجد مثل هذا التشويه في بعض الإنتاج الوجданِي وُكْدَأً وُمُتَكَأً
لا يكاد صاحبه يتخلص منه (من التشويه) . فحيثما ننتقل من النقد على
اللفظة والبيت إلى الحكم على الشاعر . ومن الإنصاف أن نقول إن أصحاب هذا
الجنس من القول يحبون أن يعبروا عن آرائهم وعن الصور التي في أذهانهم
رمزاً . إلا أن الرمز نفسه ، وهو الاستعارة البعيدة المنطرفة . يحسن في الجملة
بعد الجملة أو في البيت بعد البيت ، ثم في القطعة بعد القطعة أو في القصيدة بعد
القصيدة . وأما أن تكون القصيدة مرسومةً بالرامز (أو الاستعارات البعيدة
المطرفة) فأمر خارج عن سُنَّةِ الْعَرَبِ وعن منهاج العقل جملة . وأحب أن
أذكر هنا أن كلمة « مشوه » ليست اختراعاً لي . ولكنهم في اللغة الألمانية
يطلقون على طريقة الرسم التي تختلف السنة المألوفة في الرسم (التي لا تحاول
التقل عن الطبيعة ولا تحسين الطبيعة ، بل تكتفي بأن يلقي الراسم على النسيج
الصورة كما تراءى له في خياله المعوج) اسم « الفن المشوه » Entartete
Kuenst ، ويدركون (أو كانوا يذكرون في أيام الحكم النازي) أن هذه
الطريقة من صنع اليهود حتى يشوه اليهود أذواقَ الشعوب في الفن كما شوّهوها
في السياسة والاقتصاد .

كنت مرة في المكتبة فوقفت أمام قسم الدوائيين ثم تناولت منها بضعة دوائيين
تسمى حديثة وقلبت صفحات بعضها تقليباً يسيراً ، من غير أن أقصد التقصي
والتفتيش ، وأكتفي من كل ما قرأت بالكلام التالي (ولا أحسبه أكثر الأقوال
تطرقاً وأعوّجاً) :

نبأ عن شعة أمرعت
في الثنایا نبأ نضر
نبأ عن ميسة الأرض في
سوفها والله يفتكر .

* * *

لا ضرورة إلى ذكر صاحب هذا الكلام لأن المقصود هنا « ما قيل » لا « من قال ». قد أعمل أنا فكري ، أو تعمال أنت فكرك ، في استجلاء المعنى الذي قصده صاحب هذا الكلام ثم نصل إلى ما قصد أو إلى قريب مما قصد . ولكن من احترام العقل أن نوفره لهما غير هذا الكد في ما لا طائل تحته ولا جدوى منه ولا فائدة فيه ولا معول عليه ولا نفع معه ثم لا سبيل إليه .

* * *

ونخص الآن أبي تمام بكلمة ، ما دامت هذه الملاحظات ستكلون مقدمة في دراسة حياته وشعره .

أبو تمام شاعر على المذهب الشامي مغرم بالتصنيع (تكلف أو وجه البلاغة) وقل أن أخلي بيّناً (تركه بلا وجه من وجه البلاغة) ، ثم هو كان يغوص على المعنى بعيداً ويسوقه أحياناً في اللفظ العسّير ثم يُنقله بالتكلف اللغطي . غير أن أبي تمام كان جاداً في ما يفعل ، وهو لم يفارق في ذلك مأثور العرب . وكثيراً ما كنت أنا أستغرب اللفظة في شعره فأرجع إلى القاموس فأرى أنه قد استعمل تلوك اللفظة في المعنى الذي هو لها في وضعها اللغوي في أيامه أو قبل أيامه . ومع ذلك فإن النقاد قد حملوا عليه من أجل هذا التطرف القليل حملات كثيرة وتحاملوا عليه ثم حملوا عليه من اللوم فوق ما يحتمله ذنبه في ذلك . وبعد فان لأبي تمام كثيراً مأثوراً أحسن فيه إلى جانب ذلك القليل المتطرف الذي أساء فيه من أجل هذا لا نرى المثل إلى ديوان أبي تمام أيضاً سهلاً ، ولا النظر فيه هيناً . إننا نحتاج في تفهم شعر أبي تمام عادة إلى دورة عقلية لا تستقر على معنى

من معاني أبي تمام الخاصة قبل أن تستعرض ما تستوعبه من اللغة والمجتمع والفلسفة والأدب . ثم لا يفي ذلك بما ت يريد فترجمُ أدرجك لستأنفَ النظر في الاستنباط والتخرير؛ فإذا أنت فعلت ذلك كلّه كنت أمّاً شعر أبي تمام

حبيب بن أوس كما قال ابن الرومي في وحيدَ المغنية :

ـ فَهِيَ الْعِيشُ مَا يَرَالْ مَنْ إِسْتَعْ... بِرْضٌ يُمْلِيْ غَرَائِبًا وَيَزِيدُ !
ـ وَيَلْاحِظُ الْقارِئُ أَنِّي قَدْ تَبَسَّطْتُ فِي شِرْحِ الْأَبْيَاتِ ، سَوَاءً مِنْهَا تَلْكُ الَّتِي
ـ هِيَ مِنْ بَابِ الْإِسْتَهْدَادِ فِي أَثْنَاءِ الْدِرَاسَةِ وَتَلْكُ الَّتِي جَمَعْتُ فِي الْمُخْتَارَاتِ .
ـ وَذَلِكُ ، فِيمَا رَأَيْتُ ، لِسَبَبِيْنِ :

السبب الأول : إن هذا الكتاب سيقع بين أيدي كثيرة ، كما هي الحال في شأن كل كتاب . فإذا كان الأدباء والمعتنون باللغة والأدب سيجدون فيه عدداً من الشرح هم في غنى عنها ، فإن هذه الشروح ستكون مفيدة جداً للناشئين في الأدب وللذين هم على عتبة الدراسة فيه .

السبب الثاني : إن شعر أبي تمام في ذاته يحتاج إلى عدد من الشروح : الكلمات التي تحتاج إلى الشروح في شعر أبي تمام كثيرة ، والتراتيب والمدارك وأوجه البلاغة والاشارات التاريخية كل هذه تحتاج في ديوان أبي تمام إلى شروح وتحتاج أحياناً إلى تبسيط في الشرح .

ومع أن الأبيات المستشهد بها في ثنيا الدراسة ، مع اعتبار المكرر منها أو التي ليست لأبي تمام أيضاً ، لا تنقص عن ثلاثة بيت ، فاني قد الحقت بهذه الدراسة خمس قصائد كاملة تقرب أبياتها من مائتين وخمسين بيتاً .

ولقد حرصت على أن تكون هذه القصائد المختارة كاملة لأنها في الدرجة الأولى قصائد لأبي تمام مشهورة جداً ، إن لم تكن أشهر قصائد أبي تمام كلّها . ثم ان أبو تمام يتصرف في أثناء القصيدة تصرفًا مختلفاً : فلا يستطيع الدارس أن يستجلي خصائصه كاملة في القصيدة إلا إذا كانت تلك القصيدة أمامه كاملة . لقد كان من الضروري ، على هذا الأساس ، أن يكون أمامنا ديوان أبي تمام كاملاً (كما يحسن أن نفعل ذلك في دراسة كل شاعر آخر) ، ولكن لا بد في كل

دراسة من الاختيار والتخيير ، ثم ان القارئ يستطيع . إذا أراد ذلك أو إذا احتاج إليه ، أن يرجِّع بنفسه إلى الديوان فيبلغ ما شاء من أمنيته .

وبعد ، ان شعر أبي تمام في الحقيقة متعة للعقل المنشطة بمعانه وبصناعته اللغوية . وأنا لا أنكر الطريق الوعر الذي يجهد القراء فيه أنفسهم إذا أرادوا أن يتذمّروا في هذا الفردوس الغريب . ثم أن ما نراه اليوم من هذا الأدب الخفيف الذي يدفع إلى الأسواق في الأغلفة الملونة يقتضي أن يوازن بدراسات لشعراء من نمط أبي تمام . لقد قيل منذ زمن بعيد : أن السكر مادة حلوة لذينة في الفم وفيها أيضاً شيء من الغذاء ، ولكنه لا يكفي لحفظ الحياة .

ان الأدب الإنساني الامامي قد يفيد في استجلاب النعاس قبل وقت النوم الطبيعي عند نفر من الذين اضطربت طبيعة النوم فيهم ، وقد يدغدغ خيال الذين يحبون أن يحيوّا على مائدة خيالهم وعلى الانفعال في أعصابهم أو بتحديث أنفسهم بالأمانى التي لا يستطيعون أن يتحققوها في حياتهم العادية ، ولكنه لا يصلح للذين استوت فيهم الطبيعة الإنسانية وملکوا أعصابهم في يقظتهم ومنهم وروضوا خيالهم على الاحتكاك بحقائق الحياة . ان الذين يريدون أن يدخلنوا لفافة من الأدب حتى يغرقوا همومهم الكبيرة عندهم هم ، والتي لا قيمة لها في حقيقتها هي . لن يصبروا على قراءة هذا الكتاب لأنهم لا يستطيعون الصبر على شعر أبي تمام وعلى الشعر الذي هو من تجْرُّ شعر أبي تمام . يكفي هؤلاء – إذا كانوا يصرُّون على موقفهم من الأدب وما هو الأدب – أن يكتفي أحدهم ببعضة أبيات من الأبيات المشهورة لعمر بن أبي ربيعة أو لأبي نواس وألا يجاوزوا هذه الأبيات إلى غيرها أيضاً . يجب نحن أن نذكر أن الكفاح هو قانون الحياة ، وأن «الأجر على قدر المشقة» أساس صحيح لمواجهة الحياة . ان الذي يعرف خمسماة كلمة من لغة قومه لا يستطيع أن يدرك من حقيقة أدبه وجماله ما يدركه الذي يعرف عشرين ألفاً . والذي لا يعرف إلا لغة واحدة لا يستطيع أن يدرك الحقيقة والجمال في عقليات الأقوام المختلفة كالذى يعرف لغتين أو ثلاثة لغات .

ان العقل لا يعرف المذاهب الاشتراكية المألوفة عند الذين لا يعرفون حقيقة الاشتراكية . نحن نستطيع أن نوزع على المحرومين ، وعلى غير المحرومين أيضاً ، خبزاً ولباساً وأراضيًّا وبطاقات لحضور الحفلات التمثيلية ولركروب الطائرة ، ولكننا لا نستطيع - مع الأسف - أن نوزع تذوقاً أدبياً وإدراكاً عقلياً وثقافة فنية على الناس ، ولا نحن نستطيعون أن ننقل ما تملكه أحياناً من هذه إلى أولادنا كما ينقل الأغنياء أموالهم وأملاكهم وأمجادهم الدنيوية إلى وارثيهم . لا سبيل لك إلى فهم الهندسة إلا إذا درست الهندسة كما يجب أن تدرس الهندسة ، وكذلك لا تستطيع فهم الشعر إلا إذا درست الشعر كما ينبغي أن يدرس الشعر . ان الطيب قد يضع لك الدواء في غلاف من السكر : إن عمل السكر في غلاف الدواء أن يقنعك بأخذ الدواء ؛ وأما الذي يشفيك فهو الدواء نفسه . أما إذا كنت تستطيع أن تأخذ الدواء المرّ بلا غلاف من السكر فاعلم عندئذ أنك لست مريضاً ، لأن المريض هو الذي لا يمكن أن يبرأ من مرضه .

أريد أن أقف هنا عن ضرب الأمثلة وأن أتقدم معلمك إلى دراسة أبي تمام على الأسلوب المألوف في الدراسات الأدبية التي ترمي إلى كشف جانب من الحياة الإنسانية أو تشيدت حقيقة من الحقائق الفكرية . وأنا على مثل اليقين أن في الفائدة الحقيقية متعدة حقيقة أيضاً .

أبو تَحَمَّام

جاسم

كان على يمين الطريق الأعظم الذي كان يمتد بين دمشق وطبرية بلدة صغيرة تدعى جاسم . هذه البلدة كانت تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ ، كما ذكر ياقوت^١ . وهي من كور حوران في كورة الجولان أو الجيدور ، والجولان والجيدور كورة واحدة . وزاد المقدسي في التفصيل فقال^٢ : « وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بربدين ، ثم إلى جاسم مرحلة ، ثم إلى فيق مثلها ، ثم إلى طبرية بربدا » .^٣

ويبدو أن جاسم هذه هي التي كانت تقع على الدرجة الأربعين من خطوط الطول وعلى نحو الدرجة ٣٦ والحقيقة ٤٠ من خطوط العرض . على أن هذه تبعد عن دمشق مسافة تختلف عمّا قدره ياقوت كثيراً^٤ . ثم إننا لا ندري ماقصد الأصفهاني بقوله^٥ عن أبي تمام : « إن مولده ومنشأه بناحية منبع بقرية

(١) ياقوت ٢:٨

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٨٧٧) ، ص ١٩٠ .

(٣) هذه مسافات تعرف بالتقريب (راجع تاج العروس ٢٧٢:٢ ، ٢٩٨) .

(٤) انظر موقع جاسم على الخارطة في :

Al - Muqaddasi , Blanches VIIa et VII b (pp. 160 - 161).

تقع جاسم على نحو ٣٢ كيلومتراً من فيق ، وعلى نحو ٧٥ كيلومتراً جنوب دمشق ، وعلى نحو ٣٥ كيلومتراً شمال أذرعات .

(٥) آلاعاني ١٥:٩٦ (بولاق)

يقال لها جاسم ». أَلْعَلَّ هنالك غير منبج التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب ؛ أم أَنَّ هنالك غير جاسم التي تقع في حوران ، إلى الجنوب الشرقي من دمشق ؟ أو لعلَّ الأصفهاني وَهِمَ فاراد أن يجعل مولد أبي تمام قريباً من مولد تلميذه البحيري ، والبحيري كان مولده في منبج^١ .
وكان أهل أبي تمام ينزلون بجاسم وبعيجاء ؛ وبعيجاء أيضاً من قرى حوران^٢ .

في جاسم

كان رئيس الأسرة التي خرج منها أبو تمام رجلاً نصرانياً اسمه ثدومن العطار^٣ . ولهذا الاسم قراءات مختلفة : ثدوس ، تدرس ، ثدوس الخ ؛ لعلَّ أقربها إلى الصواب ثذوس (ثاذوس) المجزوءة من ثيودوسيوس اليونانية في الأغلب^٤ . وهكذا يبدو أن ثدوس هذا كان من الحالية الرومية (اليونانية ، البيزنطية) التي كانت في الشام (سوريا) قبل الفتح الإسلامي ؛ أو أنه جاء إلى الشام بعد ذلك .

وينكر نجيب محمد البهبي^٥ أن يكون أبو تمام يوناني الأصل ثم يرى أنه عربيٌ صريح . أما نصرانية أبي تمام فلا يستغربها البهبي في أول الأمر ، لأنَّ أبي تمام — فيما يرى البهبي — نشأ في طيء ، وطيء عند « هذه القبيلة الوثنية النصرانية اليهودية المسلمة ذات الاتصال الوثيق بالفرس والروم في المحاهلية

(١) ياقوت ٧٥٠:٣ .

(٢) ياقوت ، تحت عيجاء (طبعة مصر ٢٤٥:٦)

(٣) أخبار أبي تمام ٢٤٦ ؛ وفيات ١: ٣٣٤ .

(٤) كما قرأها مرغوليوس (Enc Isl I 109) ؛ أو ثيدوس ، كما قرأها رـ new (Enc. Isl. new

(٥) ed. I 153 GAL I 83 — ونحن اليوم نقول « قسطة » مجزءة من قسططين ،

وثيؤ مجزءة من ثيودوسيوس . وفي القاموس (٢٢١:٢) : سدوس (بضم السين

وفتحها) رجل طائني .

(٦) أبو تمام الطائي ، الصفحة (٦)

والإسلام »^١ ، بعدهنـ يصر البهبيـ على نسبة أبي تمام إلى طيء دمـاً ولادةـ، ويرى أن نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائـتهـ . وهو يعتذر عن ذلك بقوله^٢ : « فقد رأينا من قبل كيف كانت النصرانية في طيء وكيف بقيت فيهم بعد الإسلام » . وأخيرـاً ، بعد أن يجادل البهبيـ في عشر صفحات كبيرة عن نصرانية أبي تمام وطائـتهـ يعود فينـكر أن يكون أبو تمام أو والـهـ نصارـيينـ ويقول^٣ : « ودعـكـ من نصرانيةـ أبيـ ، فـماـ كانتـ الاـ منـ افـرـاءـ خـصـومـ أبيـ تمامـ » .

انـ البـهـبـيـ ، فيـ ذـلـكـ كـلـهـ . قدـ بـذـلـ جـهـدـاًـ مـضـيـعاًـ : لـقـدـ أـرـادـ أنـ يـغـمـسـ قـبـيلـةـ بـأـسـرـهـ فـيـ الـنـصـرـانـيـةـ وـفـيـ الـحـضـارـةـ الـيـونـانـيـةـ ، قـبـلـ الـإـسـلـامـ وـبـعـدـهـ . لـيـزـيدـ شـخـصـاًـ وـاحـدـاًـ فـيـ الـعـرـبـ . وـبـعـدـ فإـنـهـ نـفـصـ بـعـدـ صـفـحـاتـ ماـ كـانـ قـدـ غـزـلـهـ . ثـمـ إـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ أـكـثـرـ مـاـ كـانـ الـابـ لـوـيـسـ شـيخـوـ الـيـسـوـعـيـ قـدـ حـاـوـلـ فـعـلـهـ قـلـ نـصـفـ قـرـنـ مـنـ الزـمـنـ^٤ .

مولده

ولـدـ أـبـوـ تـامـ حـبـيبـ بـنـ ثـدوـسـ الـعـطـارـ فـيـ الثـلـثـ الـاخـيرـ مـنـ الـقـرـنـ الثـانـ لـلـهـجـرـةـ . وقدـ روـىـ الـأـنـبـاريـ عـنـ تـامـ اـبـنـ الشـاعـرـ^٥ اـنـ ذـلـكـ كـانـ سـنـةـ ١٨٨ـ هـ ؛ وـعـدـ اـبـنـ خـلـكـانـ^٦ غـيرـ عـامـ ١٨٨ـ اـعـوـامـ ١٧٢ـ ، ١٩٠ـ ، ٥١٩٢ـ . اـمـاـ اـبـنـ عـساـكـرـ فـاعـتمـدـ^٧ السـنـةـ ١٨٨ـ وـشـكـ فـيـ السـنـةـ ١٩٠ـ ؛ وـالتـارـيـخـ الـأـوـلـ اـحـسـنـ اـنـظـاماًـ فـيـ تـرـجـمـةـ أـبـيـ تـامـ ، وـأـكـثـرـ اـتـسـاقـاًـ مـعـ حـوـادـثـ حـيـاتـهـ .

(١) أبو تمام الطائي ٢٨ .

(٢) مثله ٢٩ .

(٣) مثله ٦٢ .

(٤) شـعـرـاءـ الـنـصـرـانـيـةـ بـعـدـ الـإـسـلـامـ ٢٥٩ـ٢٥٦ـ .

(٥) نـزـهـةـ الـأـلـبـادـ ، ٢١٤ـ ، ٣٢٥ـ .

(٦) وفيات ١٥٢ـ ؛ مـطـبـعـةـ الـوـطنـ ١ـ : ٢١٧ـ .

(٧) تـهـذـيـبـ التـارـيـخـ الـكـبـيرـ ١٨:٤ـ ، ٢٦ـ . رـاجـعـ فـيـ مـوـلـدـ أـبـيـ تـامـ اـيـضاًـ اـخـبارـ أـبـيـ تـامـ ٢٧٢ـ ؛ هـبـةـ الـأـيـامـ ٩ـ ؛ يـاقـوتـ ٢:٨ـ ، ٤:١٩ـ ، اـعـيـانـ الشـيـعـةـ ٤:٤ـ الخـ .

ثم بدا لثدوس العطار - لسبب من الاسباب - ان يترك جاسم وينتقل الى دمشق . فلما نزطا افتتح حانوت خمر - صنعة كانت محصورة في غير المسلمين وغير العرب - وارسل ابنه حبيبَا يشتعل عند حائل (وفي رواية قرّاز - باع قر وهو الحرير) .

نشأ حبيب وشب في دمشق؛ ورأى فيها قوماً يحسرون عليه. فلما بلغ سنًا تقرب من سن الرشد ، وبدأت مواهبه بالظهور اعتنق الاسلام واصبح شديداً الحماسة في الدفاع عنه ، واشد حماسة في مهاجمة اعدائه . ويكتفي ان تلقي نظرة واحدة على قصائده في مدح الخلفاء لتعلم ان اسلامه كان وطيداً متيناً ، وانه لم يعتنق الاسلام حباً في اجتناب الدنيا اليه^١ . ويلوح لنا أنه اسلم وحده وبقي اهله على دينهم ، كما يلاحظ في قوله^٢ :

نَأَيْتُ ، فَلَا مَالًا حَوِيتُ ، وَلَمْ أَقِمْ فَأَمْتَعَ ، اذ فُجِّعْتَ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ .
بَخِلْتُ عَلَى عِرْضِي بِمَا فِيهِ صَوْنَه رَجَاءَ اجْتِنَاءِ الْجَوْدِ مِنْ شَجَرِ الْبَخْلِ .
عَصِيَتْ شَبَّاً حَزَمِي لطاعة جيرة دعْتُنِي إِلَى أَنْ افْتَحَ الْقَفْلَ بِالْقَفْلِ ؛
وَيَلْفَتْ مِنْ نَظَرِنَا وَرُودَ كِتَابِ عَلَيْهِ بَنَعْيٌ أَحَدُ أَهْلِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ

(١) أمراء الشعر ١٤٤.

(٢) ديوان خ ٤٢١.

(٣) كان من الاحرز أن أبقى مع أهلي ، ولكنني فارقهم (سافرت الى مصر) وأنا اطبع بنيل الغنى من أيد بخيلاً.

(٤) عصيتك شباً (حد) حزمي (أي : تخليت عن إرادتي في متابعة السفر) لطاعة جيرة (تنفيذاً لرغبة أهلي) الى أن أفتح القفل (أتغلب على الصعب وأنال الغنى) بالقفل (بالرجوع الى بلدي) . - ورد التعبير « أفتح القفل بالقفل » بضم القافين في شرح الخياط (ديوان خ ٤٢١) ، وشرح شاهين عطية (بيروت ١٨٨٩ ، ص ٣٧٧) وعند البهبي (أبو تمام الطائي ٨٩) ، ولم أجده لذلك وجهاً فاخترت أن أجعل القفل الاولى بالضم بمعنى الاداة من الحديد يغلق بها الباب (كناية عن الصعب وانسداد باب الرزق) وأن أجعل الثانية بالفتح من قفل قفلان وقولاً بمعنى دفع .

موسحًا بالسوداد^١. ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعرًا فقضى ابو تمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، وأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابو تمام شعر ديك الجن فاكتسب منه الصناعة اللغظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال الققاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قوله : ان ابا تمام يقتفي مذهب ديك الجن .

ولعل ابا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعريته^٥ ؛ وأخذ عنه أيضاً الإجادة في الرثاء^٦ .

وفي حمص أيضاً انتسب أبو تمام – في الأغلب – إلى طيء بالولاء ، فقيل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم – كما هو معروف في التاريخ – انتسب بالولاء إلى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يُنبط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان س ١: ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢: ١٤٢ - ١٤٩ (بولاق) ، طبعة دار الكتب ١٤ : ٥١ - ٦٨ .

(٤) مثله ، ١٤٢: ١٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، رابع ١٤٢: ١٢ ، سطر ٣ .

(٦) العدة ٢: ١١٩ .

سواءهم . أما رأي الأب شيخو^١ في رد نسبة إلى طيء فلا تقويم عليه حجة واحدة . إننا نقول أبو تمام الطائي كما نقول مسلم بن الوليد الأنصاري وأبو نواس الحكمي وبشار بن برد العقيلي وكلهم غير عرب . أضف إلى ذلك قول ابن خلkan^٢ : « وقد لفقت له نسبة إلى طيء ». فأبوا تمام إذن كان طائياً بالولاء لا طائياً بالنسبة . ولعل افتخاره بطيء إنما هو بأمه الطائية^٣ من جهة أمها أيضاً . ثم ليس الإثبات بدليل على طائية أمه بأهون من الإثبات بدليل على طائيتها هو .

* * *

لم يقتصر وجود أبي تمام في حمص على التعلم والتخريج فقط ، بل ترك أصدقاء هنالك كان يخن إليهم ؛ فله في آخر مدحه في سليمان بن نصر^٤ :

فبحقي لما خصصت أبا الطيب مني بطبيب من سلام .

وثنائي ، من قبل هذا ومن بعد ، وشكري غض عبد السلام .

فأما عبد السلام فهو ديك الجن ، وأما أبو الطيب فابن عم ديك الجن^٥ .

الرحيل إلى مصر

هجر أبو تمام حمص إلى مصر ، في سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ للهجرة (٨٢٣م) في الأغلب « طليباً للمال » ، نرى ذلك ظاهراً يبيناً في جميع قصائده الأولى ، وخصوصاً ما كان منها في الفخر أو الوصف . لقد كان من الحق أن يذهب إلى بغداد لا إلى مصر ؛ سوى أنه في ذلك الحين لم يكن قد بلغ من الشعر رتبة

(١) شعراء النصرانية بعد الإسلام . ١٥٧-٢٥٦ .

(٢) وفيات الاعيان ١: ٣٣٤ (٢١٤: ١) مطبعة الوطن

(٣) ديوان خ ٢٧١ ؛ راجع تحت ، ص ٣٩

(٤) ديوان خ ٤٧٢ .

(٥) ديوان خ ٢٨٣-٢٨٢ .

(٦) غ ١٢: ١٤٢-١٥١ سطر ١٦-١٧ .

تَلْفِيْتُ الْأَنْظَارِ . ثُمَّ اَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي أَخْدَى يَقُومُ بِهِ فِي مِصْرَ لَا يَدْلِي عَلَى أَنَّهُ قَصْدُهَا كَشَاعِرٌ ؟ فَقَدْ كَانَ يَوْمَ ذَاكَ حَدَّثَ يَسْقِي الْمَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ^١ لِيَكْسُبَ مَعَاشَهُ ؛ أَفَمَا كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ فِي دَمْشَقَ أَوْ حَمْصَ ، أَوْ فِي بَلْدَةٍ أَقْرَبَ مِنْ مَصْرَ ؟

يَلْوَحُ لِي أَنَّ أَبَا تَمَامَ أَرَادَ أَنْ يَبْتَدِعَ عَنْ أَهْلِهِ فَقَدْ أَسْلَمَ وَحْمَاهُ ، دُونَ أَهْلِهِ ؛ فَلَمْ تَكُنْ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هَادِئَةٍ فِي دَمْشَقَ ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ فِي حَمْصَ بَعِيدًا عنْ دَمْشَقَ كَثِيرًا ، فَشَدَ الرِّحَالَ إِلَى مَصْرَ .

أَبُو تَمَامُ فِي الْمَسْجِدِ

كَانَتِ الْمَسَاجِدُ فِي صَدِرِ الْإِسْلَامِ وَمَا تَلَاهُ إِلَى زَمْنِ قَرِيبِ مَرَاكِزِ الْعِلْمِ فَانْتَهَى أَبُو تَمَامُ فِرْصَةً وَجُودَهُ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، يَسْقِي الْمَاءَ ، لِيزْدَادَ عَلِمًا : كَانَ يَلْازِمُ حَلْقَاتَ الْأَدْبِ خَاصَّةً ، فَإِذَا طَلَبَ أَحَدُ شَرْبِهِ مَاءً سَقَاهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ يَسْتَمِعُ إِلَى إِمْلَاءِ الْأَدِيبِ أَوْ مَنَاقِشَةِ أَصْحَابِهِ . وَلَعِلَّ ذَلِكَ كَانَ فِي السَّنَوَاتِ الْأُولَى مِنْ الْقَرْنِ الْمَجْرِيِّ الثَّالِثِ ؛ وَعُمْرُهُ يَوْمَ ذَاكَ نَحْوُ عَشْرِينَ عَامًا . أَمَّا بَيْتُهُ :

وَانَّ الَّذِي أَخْدَانِيَ الشَّيْبَ لَلَّتِي رَأَيْتُ ، وَلَمْ تَكُمُلْ لِيَ السِّبْعَ وَالْعَشْرَ ؛

فَلَا يَعْلَمُ أَنَّ يَعْنِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ شَيْبَهُ بَدَأَ قَبْلَ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ؛ وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَالَ الْقَصِيْدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتِ يَوْمَ بَلَغَ هَذِهِ السَّنَ . وَبَعْدَ أَنْ سَقَى أَبُو تَمَامَ الْمَاءَ فِي جَامِعِ مَصْرَ ، وَاسْتَقَى الْعِلْمَ وَفَوْنَ الْقَرِيفِ ، تَرَكَ السِّقَايَةَ وَاتَّصَلَ بِرَجُلٍ حَضْرَمِيٍّ يَدْعُونَ عِيَاشَ بْنَ لَهَيْعَةَ ^٣ وَأَخْذَ بِمَدْحُوهِهِ . وَلَكِنَّ عِيَاشًا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ كَانَ يَعْدُ أَبَا تَمَامَ وَيَمْنِيَهُ ثُمَّ يَمْطِلُهُ . وَلَا أَرَى وَجْهًا لِرَوْاِيَةِ الصَّوْلِيِّ ^٤ : « قَالَ أَبُو تَمَامٍ : أَوَّلُ شِعْرِيْ قَلَمِيْهِ :

(١) مَسْجِدُ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ فِي الْفَسْطَاطِ (زَرْهَةُ الْأَلَابَاءِ ٢١٣) .

(٢) حَسْرَمُوتُ : مَقَاطِعَةٌ فِي جُنُوبِيِّ جِزِيرَةِ الْأَرَبِ ؛ وَطِيَّهُ أَيْضًا مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ .

(٣) هَكُذا يَضْبِطُهَا أَبْنُ خَلْكَانٍ ٢: ٤٣ .

(٤) أَخْبَارُ أَبِي تَمَامٍ ١٢١ .

تفى جَمَحَاتِي ، لَسْتُ طَوْعَ مُؤْتَبِي ؛ وَلِيسْ جَنِينِي ، إِنْ عَذَلْتِي بِمَصْحِي^١ !
وَمَدَحَتْ بِهِ عِيَاشُ بْنُ هَيْعَةَ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافَ دَرْهَمٍ ». أَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ
لَا تَسْقُفُ مَعَ عَتَابِ أَبِي تَعَامَ لِعِيَاشَ مِنْذَ اتِّصَالِهِ بِهِ وَلَا مَعَ هَجَائِهِ لِهِ فِي آخِرِ
الْأَمْرِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَانْ نَفَرَآ رَدَدُوا هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَقَبَلُوا أَنْ يَكُونَ عِيَاشَ قَدْ أَجَازَ
أَبِي تَعَامَ عَلَيْهَا^٢ .

وَمَا كَادَ الْعَامُ الْأَوَّلُ يَمْرُ عَلَى الْمَدْحَةِ الْأَوَّلِيِّ فِي عِيَاشَ بْنَ هَيْعَةَ حَتَّىٰ ضَاقَ
أَبِي تَعَامَ ذَرْعَأَ عَيَاشَ وَقَالَ يَعَاتِبَهُ^٣ :

— الْفَطَرُ وَالْأَضْحِي قَدْ اَنْسَلَخَا ، وَلِي أَمْلَ بِبِابِكَ صَائِمٌ لَمْ يُفْطِرِ .
— حَوْلَ ، وَلَمْ يُنْتَجَ نَدَاكَ ؛ وَإِنَّمَا تُتَوقَّعُ الْحُبْلِي لِتَسْعَةِ أَشْهُرٍ^٤ .
وَلَا مَمْ يَجِدُ أَبِي تَعَامَ مِنْ عِيَاشَ سَوْيَ مَطْلَ عَلَى مَطْلِ أَخْدَ يَهْجُوهُ هَجَاءَ مَرَا ،
وَيَعْرَضُ بِأَصْلِهِ وَيَصِمُّهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ ». ثُمَّ هَجَاءَ أَيْضًا بَعْدَ مَوْتِهِ^٥ .
وَأَصْبَحَتْ إِقَامَةُ أَبِي تَعَامَ الْآنَ فِي مَصْرٍ ضَئِيلًا ، لِضيقِ ذَاتِ يَدِهِ وَلِضيقِ
مَذَاهِبِهِ فِي بَلَدٍ نَّشَيَّبَتْ فِيهِ الْعَصَبِيَّاتُ (الْفَنُّ) :

بِمَصْرَ : وَأَيْ مَأْرِبَةِ بِمَصْرٍ وَقَدْ شَعَبَتْ أَكَابِرَهَا شَعُوبُ^٦ !
وَذَلِكَ فِي الْأَعْمَمِ الْأَغْلَبِ بَيْنَ عَامِي ٢١٠ وَ ٧٢١١ هـ (٨٢٦ م) وَمَا بَعْدِهِمَا .

(١) دِيْوَانُ خ٢٢-٢٥ . - تَقَىٰ : أَتَقَىٰ ، اَحْذَرِي . جَنِينِي : الَّذِي أَحْمَلَهُ فِي جَنِينِي (قَلْبِي) .

- اَذَا لَمْ تَنِي وَأَرَدْتَ اَنَا اَنْ اَسْمَعَ مِنْكَ وَاطْلِعَ لَكَ فَانْ قَلَبِي لَا يَوَافِقُنِي عَلَى مَا اُرِيدُ مِنْهُ .

(٢) راجِعٌ مثلاً ابْوَعَامَ الطَّائِي لِلْبَهِيَّيِّ ٨١ .

(٣) دِيْوَانُ خ٣٩٥-٣٩٧ ; راجِعٌ اعْيَانُ الشِّعْيَةِ ٣٩٦:١٩ - ٤٠٣ .

(٤) الْفَطَرُ عِيدٌ يَنْتَهِي بِهِ صِيَامُ رَمَضَانَ ، وَالْأَضْحِي عِيدٌ يَقْعُدُ بَعْدَ سَبْعِينِ يَوْمًا مِنْ عِيدِ الْفَطَرِ - اِمَا مَنْزَلُ عِيَاشَ فَكَانَ بِالاسْكَنْدَرِيَّةِ (راجِعٌ الدِّيْوَانُ خ٣٢ ص٥٠٣ الْبَيْتُ الثَّالِثُ ؛ وَص٣٢
الْبَيْتُ الْثَّالِثُ عَشَرُ) .

(٥) دِيْوَانُ خ٦٥٠٥ ، اعْيَانُ الشِّعْيَةِ ١٩:٤٠١ .

(٦) دِيْوَانُ خ٤٩٥-٤٩٦ .

(٧) خ٤٧٣ ، اي مات اَكَابِرَهَا .

(٨) الطَّبَرِي٢:١٠٨٦، ١٠٩١، ١٠٩٤، ١٠٩٩ - ١٠٩٩ .

وكان أهل أبي تمام قد حرصوا على أن يرجع إليهم ابنهم . وأخذت نفس أبي تمام أيضاً تنازعه إلى الرجوع . غير أن كِبِيرَ نفسه كان يأبى عليه أن يرجع وهو لما يَرْكَلُ فقيراً . وكيف يمكن أن يرجع من رحلة له فقيراً و هو الذي يقول : ما آبَ من آبَ لم يظفر بحاجته ، ولمَّا يغِبْ طالب بالنُّجُحِ لمَّا يخِبِ^١ ؛ غير أن الشاعر يعود إلى نفسه فيذكر حنان أمه وتشوقها إليه فيؤدّي أن يطبعها في رغبتها ، ولكنّه يرى استحالة ذلك ملء عينيه ، فيقول^٢ :

لها حسب إذا انتسبت حبيب^٣ ،
لها من طيءٍ أم حسان^٤ ،
تعني أن يعود لها حبيب^٥ ،
وكمن عدوية من سي عمرو
نجيبةٌ عشر ، وأبٌ نجيب .
مُنِّي شططاً ، وأين لها حبيب ؟

ثم يبدو حنينه أيضاً إلى دمشق وأصحابه فيها ؛ ويذكر ما مر عليه في مصر بعد خمسة أعوام وشهرين كانت كلها أمني وضنكأً ، ثم تعرض هو في أثناءها لحجر أهله وأسفهم ، ثم لبذل ماء وجهه ؛ وبعد هذا كله آب بالخيبة^٦ .

نَأَيْتُ فَلَا مَلَّا حَوْيَتُ ، وَلَمْ أَقْمُ
بَخْلَتُ عَلَى عِرْضِي بِمَا فِيهِ صَوْنُهُ
عَصِيتَ شَبَّا حَزْمِي لطاعة جيرة
وَأَبْسُطَ مِنْ وَجْهِي الَّذِي لَوْ بَذَلْتُهُ
وَكَانَ وَرَأَيْ ، مِنْ صَرِيمَه طيءٍ
وَمَعْنِي وَوَهْبٍ ، عَنْ أَمَامِي مَا يُسْلِي .
فَلَمْ يَكُ ، مَا جَرَعْتَ نَفْسِي ، مِنَ الْأَمَى :

ولم يَكْ ، مَا جَرَعْتَ قَوْمِي ، مِنَ الثَّكْلِ .

(١) في نهاية الارب للنويري ٣:٩٥ ما آب من آب ...

(٢) ديوان خ ٤٧٢ .

(٣) ديوان خ ٤٢١-٤٢٢ ، راجع فوق ، ص ٢٤ .

(٤) ديوان خ ٤٢٢ .

في هذه الأثناء كان أبو تمام قد هاجى نفراً من الشعراء في مصر وهاجواه.
من هؤلاء شاعر اسمه يوسف السراج كان يحمل على أبي تمام لغوض
شعره^١.

ولم يطُل مقام أبي تمام بعد ذلك في مصر كثيراً، بل تركها. آياً إلى الشام،
وهو لا يزال شديد التأثر بالمذهب العلوي. ولعل أبو تمام ظل في مصر إلى سنة
٢٤٦ هـ (٨٢٩ م) لأنَّه أدرك فيها مقتل عمير بن الوليد الباذغسي الحراساني
عامل مصر الذي قتل في ربيع الأول سنة ٢١٤ هـ في أثناء فتنة داخلية؛ وقد
رثاه وحضر للعزبة به^٢.

الرجوع إلى الشام (سورية) فالعراق

رجع أبو تمام إلى الشام، ولعله لم يصل إليها قبل ٢١٥ - ٢١٦ هـ (٨٣٠ م)،
فسعى ليتصل بالمؤمن، وكان المؤمن يومذاك يتوجول في الشام بعد أن خرج
إلى حروب الروم وانتصر مراراً^٣، فلما دخل أبو تمام عليه مدحه؛ ولكن لم
يظفر منه بما يؤمن ولا بأدنى مما كان يؤمن؛ بل بدر من الخليفة نحو الشاعر ما
صرفه عن بغداد مرة واحدة. إنَّ المؤمن كان قد انتقام على آل علي، فأوغر
صدره^٤ أن يرى أبو تمام يمدحهم ويعرض ببني العباس^٥.

طاف أبو تمام الآن في ما بين النهرين، وفي أرمينية، وفي شمال سوريا؛
ولكنه قضى معظم أوقاته في الموصل.

(١) ديوان خ ٤٨٩، ٤٩١؛ الواسطة ١٨ - ١٩؛ أبو تمام الطائي ٨٥ - ٨٧.

(٢) الديوان خ ص ٣٥٩، ٣٦١، ٢٩٠ - ٢٨٩؛ خصوصاً ص ٣٦١ س ٣ والطبرى ١١٠١:٣.

(٣) غزا المؤمن أرض الروم عدة مرات بين ٢١٥ و ٢١٧ هـ (الطبرى ١١٠٣:٣، ١١٠٤، ١١٠٩).

(٤) لعل أبو تمام لقى المؤمن في دمشق؛ أما القصيدة التي مدحه بها فهي: د من ألم بها فقال سلام
ديوان خ ٢٧٩؛ وفي أبياتها أنها أول ما قاله الشاعر بعد رجوعه من مصر.

(٥) ديوان خ ١٦١ - ١٦٦.

بعد موت المؤمن في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) أمن أبو تمام وكثُرَتْ قصائده ويزغ نجمه . فلما سمع به المعتصم حمله إليه فقضى أبو تمام عنده مدة لم يجد في أثناها لديه ما يضارع طموحه فتركه وولى وجهه شطر خراسان ليمدح واليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وقد اشتدت الفتنة فيها من آثر بابك الخرمي . وتوجه أبو تمام من العراق نحو نيسابور . وفي طريقه مر بقُوَّمْس ونزل فيها عند صديق له هو عبد الله الدامغاني^١ . ثم ان أبو تمام انتهز فرصة إقامته بنيسابور ، مع عبد الله بن طاهر ، فاتصل بالقائد أبي دلف العجلي^٢ ، وبالقائد حيدر بن كاووس الأفشين^٣ ، وبالقائد أبي سعيد محمد بن يوسف الشعري ، وسوى هؤلاء كجعفر بن دينار الطائي . وقد بقي أبو تمام في خراسان إلى أواخر سنة ٢٢٢ هـ حينما تركها عبد الله بن طاهر قادماً إلى سامرا^٤ ومعه التأثير بابك الخرمي فوصل إليها في صفر من سنة ٢٢٣ هـ ، وقد صاحب عبد الله بن طاهر في مقدمه على سامرا أبو تمام والقائد الأفشين . وفي سامرا أدخل المعتصم^٥ الشعراً على الأفشين ليمدحه ، فمدحه أبو تمام بقصيده^٦ :

بَذَ الْجِلَادُ الْبَذَ فَهُوَ دَافِنٌ مَدَانٌ بِهِ إِلَّا الْوَحْشُ قَطْبِين٦.

(١) ياقوت ٤: ٢٠٣ .

(٢) وفي رواية خيدر (شرح التبريزي ٢: ٧٢) .

(٣) سامرا مدينة على أربعين كيلومتراً شهلاً بنداد بناها المعتصم وجعلها مسكنراً لجنده الاتراك ثم اتخذها عاصمة .

(٤) انظر تحت ، قصة بابك ، ص ٥٠

(٥) ديوان خ ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(٦) بذ : غلب ، تغلب على . الجلاد : القتال ، الحرب . البذ (بالذال المعجمة وبالذال المهملة أيضاً) : مغرب بنت الصنم ، وهو هنا مكان فيه صنم كبير لبودا كان في جبل عال منيع ، وكان بابك الخرمي قد اتخذ معلقاً (راجع القاموس ١: ٢٦٧ ، ٢٦٨) . - يقول أبو تمام : تغلب العرب بالجلاد (بالحرب) على جبل البذ وهدموه حتى صار مدفوناً تحت أنقاضه ، ولم يبق به قطرين (ساكن) الا الوحش (أي أصبح مهجوراً) .

في العراق وببلاد الروم (آسية الصغرى)

في منتصف سنة ٢٢٣ هـ (قبيل منتصف ٨٣٨ م) تجهّز المعتصم لمحاربة الروم متوجهاً نحو عمورية ، وكان معه الأفшин وأبو تمام . وبعد الاستيلاء على عمورية وإحراچها (رمضان ٢٢٣ هـ - آب ٨٣٨) عاد المعتصم إلى سامراً فأنشده أبو تمام قصيده السائرة على وجه الدهر : « السيف أصدق إنباء من الكتب »^١ ، وذلك في مطلع سنة ٢٤ هـ أو في آخر سنة ٢٢٣ .

هنا يعرضنا أمران أولهما زمان ذهاب أبي تمام إلى الحج ، فإن أبو تمام يقول في ديوانه انه حج مع أبي سعيد الغري^٢ ؛ ونعلم من موضع آخر في الديوان أن أبي سعيد حج حِجَة يغلب على الظن أنها كانت بين ٢٢٣ و ٢٣٠ هـ وهي على الأغلب في عام ٢٣٠ هـ . ثم نحن لا ندري إذا كانت حجة أبي سعيد هذه هي التي حج في عامها أبو تمام ؟ أم تلك غيرها ، فيكون الشاعر إذن قد حج مررتين .

والأمر الآخر زمن تأليف « ديوان الحماسة »، وجُل ما نعلم « أن الثلج اعترضه في همدان بفارس في أثناء ذهابه إلى مدحع عبدالله بن طاهر » ، وقيل بل في أثناء رجوعه : فاشتغل بتأليف هذا الكتاب ريثما يذوب الثلج ويستطيع الشاعر أن يتبع مسيره . وعلى كل فإن ذلك كان في أواخر سنى أبي تمام أيضاً . وفي هذه الأثناء كان الشاعر قد نال حظوة عند المعتصم وعنده أمراء البلاد ورجال الدولة : كأحمد بن أبي دواد ومحمد بن عبد الملك الزيارات وجعفر الخياط القائد وغيرهم .

* * *

لم يألف أبو تمام الاستقرار في بلد من البلدان مدة طويلة . فما أن هدا قليلاً في سامراً ، بعد فتح عموريَّة ، حتى عاد سيرته من التَّطْوَاف بين سنى

(١) واجهها في المختارات .

(٢) ديوان خ ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٣) ديوان خ ٢٩٣ .

٢٢٥ و ٢٢٩ للهجرة (٨٤٠ - ٨٤٤ م) . زار أبو تمام في تلك الأثناء حوران وحمص ، ثم عاد إلى سامراً في سنة ٢٢٦ هـ ليمدح المعتصم بعد إحراق الأفшиين سنة ٢٢٦ أيضاً^١ . وفي هذه الحقبة اتصل أبو تمام بأبي المغيث موسى بن إبراهيم الراقي ، والي دمشق من قِبَلِ الخليفة المعتصم^٢ . ويسأله محسن الأمين^٣ عما إذا كان أبو تمام قد حضر بنفسه إلى دمشق أو أنه أرسل إلى أبي المغيث قصيلته^٤ :

أقشِيبَ رَبِيعُهِمْ ، أَرَاكَ دَرِيساً وَقِرِي ضِيوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيساً
من الموصل . «ومكث أبو تمام مدة ينتظر معروف أبي المغيث موسى بن إبراهيم فلم يدرك منه رسولاً ولم يبلغه مأمولًا»^٥ ، فأخذ يمدحه مرة ويعاتبه أخرى . بعدها هجاه ولكن عاد فمدحه^٦ .

وفي هذا الدور أيضاً – فيما يبدو – اتصل أبو تمام بمالك بن طوق التغلباني يوم كان مالك يقاتل الثائرين على الخليفة في بادية القراء الحزراري (الفرات الأعلى) . ويفيدونا أيضاً أن أبو تمام ظل متصلةً بمالك بن طوق إلى ما بعد عزله عن الجزيرة ، جزيرة ابن عمر^٧ .

وكذلك يبدو أن أبو تمام لقيَّ البحري في هذا الدور . كان أبو تمام يومذاك شاعراً ملء السمع والبصر مشهوراً ، وكان البحري لا يزال حدث السن

(١) راجع ديوان خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) أمراء دمشق في الإسلام ٨٩ ، راجع ١٢٦ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٨٨ .

(٤) ديوان خ ١٧٥ - ١٧٨ .

(٥) يا مسكنهم الجديد ، أراك قد أصبحت دريساً (مدروساً ، خراباً) وأرى أن قري ضيوفك (حظ زائرتك ، ضيائتهم) لوعة (حرق في القلب وألم من حب أو هم أو مرض) ودريساً (حمى من لوعة الحب) = كانت ديارهم عامرة زاهرة فامتحن وأصبحت تحزن من يراها .

(٦) هبة الأيام ١٦٧ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ - ٣٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ ، ٣٨٣ .

غموراً^١ . وكان اللقاء اتفاقاً في حمص عند النائد أبي سعيد محمد بن يوسف. الثغرى في حديث طويل هو أكثر اتصالاً بالبحترى وشاعريته منه بأبي تمام^٢ ولعل ذلك كان في بعض شهور سنة ٢٢٦ هـ (٨٤١ م) .

وبعد عام أو بعض عام رأينا أبو تمام من جديد في سامرا يعزى الواشق بأبيه المعتصم وبهنه بالخلافة بقصيده الميمية^٣ :

ما للدموع تروم كل مرام^٤ ، والجفن ثاكل هجعة وَنَام !
ويبدو أن أبو تمام حجَّ بعد ذلك ثم بقي نحو عامين في العراق . إلا أن كثرة تطوافه في الأرض ، إلى جانب انغماسه في الشراب ، والملذات أيضاً ، كانتا قد أنهكَا جسمه — قبل أن تقدم به السن كثيراً — فآخر أن يُخْلِدَ إلى شيء من الراحة بعيداً عن مشاغل الدنيا وعن إرهاق النفس بالمدائح . في ذلك الحين تولى بريد الموصل :

كان بين أبي تمام وبين الحسن بن وهب صداقة وثيقة وإناء خالص . وفي الحسن بن وهب في المناصب وظلت الصداقة والمنادمة والأحماس^٥ . بينهما على حالها . ولما سُمِّ أبو تمام تكاليف الحياة رغب إلى صديقه في أن يعيشه على اعتزال الكفاح في الحياة . فعرض الحسن^٦ بن وهب على أبي تمام أن يُولِّيه منصبأً فاختار أبو تمام أن يتولى بريد الموصل^٧ ، لأنه كان قد قضى في الموصل زمناً

(١) هناك خلاف على لقاء أبي تمام بالبحترى لأول مرة ، وخلاف على ما كان في هذا اللقاء ، وما أقبى ذلك اللقاء (رائع غ ١٦٩: ١٨ ؛ وفيات ١٣١: ٢ ، مطبعة الوطن ٣ : ٩٧ - ٩٨ ، أخبار البحترى ٦٣، ٥٦ - ٦٥) .

(٢) راجع أخبار أبي تمام ١٠٥ ؛ هبة الأيام ١٣ وما بعدها ؛ أخبار البحترى ٦٣ - ٦٤ ، أعيان الشيعة ٤٣٧: ١٩ وما بعدها .

(٣) ديوان خ ٢٧٥ - ٢٧٩ .

(٤) ما للدموع تهي غزيرة ، في كل جهة (وفي كل حين) .

(٥) الأحماس : المزاح بالفاظ مكشوفة . راجع أخبار أبي تمام ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢٦٩ .

(٦) أخبار أبي تمام ٢٧٢ . — كان البريد لنقل الرسائل والأشياء ، والأشخاص مما يتعلّق بأعمال الدولة ، كما كان رجال البريد (الموظفون في ديوان البريد) ينقلون أخبار البلاد والناس إلى الخليفة .

أيام تخفيفه من المأمون. وكانت ولاية أبي تمام على بريد الموصل ولالية شرف يستجم فيها أبو تمام ويقبض منها راتباً ، مع العلم بأن أعمال هذا المنصب في الأصل كثيرة متعبة . غير أن أبي تمام لم يكث في هذا المنصب أكثر من عامين اثنين ، من أوائل سنة ٢٢٩ هـ (أواخر عام ٨٤٣ م) إلى وفاته^١ .

وفاته ـ

اختلف الرواہ في سنة وفاة أبي تمام^٢ ، كما اختلفوا في سنة مولده ، اختلافاً كبيراً بين سنة ٢٢٨ وسنة ٢٣٢ للهجرة . ويبدو أن أبي تمام قد توفي – في أوّل الأقوال وأحسنها اتساقاً مع حوادث حياته – في المحرم من سنة ٢٣٢ (أيلول ٨٤٦) ، وهو يتولى بريد الموصل^٣ ، وعمره نحو ثلاثة وأربعين سنة . ودفن أبو تمام في الموصل^٤ خارج الميدان على حافة الخندق^٥ ، وتقول العامة: هذا قبر تمام الشاعر^٦ . وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي^٧ قبة عليه^٨ . أما اليوم فان رفاته في حديقة البلدية في ضريح ضخم^٩ .

ورثى أبي تمام نفر كثيرون منهم ديك الجن أستاذه والبحري تلميذه^{١٠} ، ومنهم صديقه ومددوه أباه محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب ، وصديقه الشاعر علي بن الحجم وسراهم^{١١} .

(١) راجع أخبار أبي تمام ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ ياقوت ٢: ٨؛ راجع ١: ٤٢٠؛ وفيات ١: ٢٣٧؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، ٢١٦: ١ ٢١٧، ٢١٧ هـ الایام ٦٣-٥٣؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣٦٧-٣٥٧.

(٢) أخبار أبي تمام ٢٧٣-٢٧٤ ؛ تاريخ بغداد.... أخبار البحري (ص ٦٦) سنة ٢٢١ هـ؛ وفيات (وستنبل) رقم ١٤٦؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧؛ ياقوت ٢: ٨؛ هـ الایام ٤٩؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣؛ راجع ١٢ .

(٣) ياقوت ١: ٨؛ ٤٢٠؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣؛ راجع ١٢؛ الخ .

(٤) ياقوت ١: ٤٢٠؛ ٤.

(٥) وفيات ١: ٣٣٩، ١٥٣؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، السطر ٢١ .

(٦) هـ الایام ٤٩؛ وفيات ١: ٣٣٩ .

(٧) هـ الایام ٤٩ ، حاشية ٥ .

(٨) العمدة ١: ٤٣؛ أخبار أبي تمام ٢٧٥ - ٢٧٩؛ وفيات (آخر النزجة)

صفاته و أخلاقه الخاصة

ليس لدينا ما يدل على صفات أبي تمام سوى قول ابن خلkan^١ : « كان أسمراً طويلاً فصيغ الكلام فيه تمتة بسيطة ». وقد نقلها عنه كثيرون : « وإن جملة للأباري : « وكان موصفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس ». ثم ليس في ديوانه ما ينافي هذه الأحكام .

من أجل هذه التمتة البسيطة اشتري له أبو سعيد التغري غلاماً أديباً فصيحاً اسمه الفتح بثلاثمائة دينار ليتلقى له قصائده . ولتكنا نعلم أنه كثيراً ما كان يتلقى قصائده بنفسه . وقبل إنما كان إنشاده قبيحاً^٢ وزاد ابن رشيق فقال « وكان في حبيب حبساً شديدة إذا تكلم ... » فقال فيه مخلد بن بكار الموصلي^٣ .

يا نبى الله في الشعر وياعيسى بن مرريم .

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلّم !

أما أخلاقه فكانت أخلاق شاعر عباسي : غير أنه لم يكن متهدكاً : بل كان يأتي ملذاته في سر^٤ .

آله

كان أبو تمام مُرَزَّئاً : مات نفر من أهله . من أخوة وأولاده ، في حياته . وقد مات نفر من هؤلاء في عام واحد^٥ :

تابع في عامِ بَنِيٍّ^٦ وإخوتي ، فأصبحت إن لم يخلفِ اللهُ مُفرداً .
أما أبواه فلا نجد إشارة إليهما في ديوانه إلا أن تكون الرسالة التي جاءت

(١) وفيات الاعيان ١: ٣٩٠ .

(٢) الاعاني ١٨: ٤٧ .

(٣) العمدة ١: ١٨٤ ، ٧٠ : مخلد مطبوعة في أخبار أبي تمام يضم الميم وفتح الخاموش تشديد اللام المفتوحة (ص ٤٩: ١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٢) .

(٤) راجع أعيان الشيعة ١: ١٩ : وما بعدها فيها إشارات كثيرة وشواهد على أخلاقه الشخصية .

(٥) ديوان خ ٣٦٣ .

(٦) إن لم يخلف الله : إن م يرزقني ولدأ من جديد .

إليه موشحة بالسوداء نعياً لأحدهما^١. وكذلك تعرف أخاً له كان اسمه سهينا^٢. ثم ان هنالك في ديوانه^٣ مرثية عنوانها «وقال في أخي له وحضر وفاته» تدل على أن الشاعر قالها في أخي له من النسب لا من الصدقة . ولكن ليس فيها ما يدل على أن هذا الأخ المرثي كان سهيناً أو أخي ثانياً له .

وتزوج أبو تمام امرأة توفيت وهي كأنثى صغيرة السن فرثاها^٤ . وكذلك كانت له جارية ، بمعنى الزوج لا بمعنى الولد ، ماتت في حياته أيضاً . وكان لأبي تمام أولاد لا نعلم من أي الزوجتين هم .

توفي لأبي تمام ابن اسمه محمد رثاه رثاء يدل على أنه لم يكن له آنذاك ولد غيره^٥ . وهنالك في الديوان مرثية تعدد واحداً وعشرين بيتاً في ابن له يكنيه أبا على^٦ وبذكر أنه كان يوم توفي وحيداً له وأنه قد بلغ مبلغ الشباب . ومطلع هذه المرثية^٧ :

كان الذي خفتُ أن يكونا
أنا إلى الله راجعونا .
أمسى المرجى أبو علي
مؤسسًا في البرى يمينا ،
حين انتهى واستوى شبابا
وحقق الرأى والظنونا .

ويبدو أن ابنه المرثي بهذه القطعة هو غير ابنه المرثي بالقطعة السابقة . يذكر الشاعر أن ابنه يسمى أبا على توفي بعد مرض . بينما هو لم يتكلم عن المرض في المرثية الأولى بل تكلم عن شمامته الناس به . ثم ان لأبي تمام ابن آخر اسمه تمام عاش بعده مدة^٨ ، وهو الذي يتنكى به شاعرنا .

(١) ديوان خ ١٤٣ = شرح التبريزى ٢ : ٦٩ .

(٢) ديوان خ ٣٤٣ ، البيت الثالث . هبة الأيام ١٢٢ . اخبار البحري ١٤٦ .

(٣) راجع ديوان خ ٢٩٢ .

(٤) ديوان خ ٣٥٦ .

(٥) ديوان خ ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٦) ديوان خ ٢٦٣ .

(٧) ديوان خ ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٨) اخبار ابن تمام ٢٦١ ، ٢٧٢ .

بِيَةُ أَبِي تَمَّامٍ

لا أقصد بوصف بيته أبي تمام دراسة أحوال الامبراطورية العربية في القرن الثالث الهجري (والقرن التاسع الميلادي). ان تلك الأحوال كانت تمثل مدينة العالم بأسره والتاريخ بعصوره . ولو أني تعرّضت لبيته أبي تمام بمثل هذا التفصيل^١ لاضطررت إلى أن أجزئه بأشياء عامة لا يجدوى تحتها لمن يتناول هذا الكتاب – وقد لا يكون لها صلة وثيقة أو غير وثيقة بأبي تمام وشعره . على أني سأخذ في هذا الفصل تلك العناصر والعوامل التي كان لها أثر بين في حياة أبي تمام وصلة ظاهرة بشعره .

١ — بيته الخاصة

احتياكه الأول بالشّعراً

لما ظهرت موهب أبو تمام – وكان قد رحل من دمشق إلى حمص – كان أكثر احتلاطه بآل أبي عبدالكريم الطائي ، وبعد السلام بن رغبان المعروف بدبك الجن ، كما مر بنا . ثم إن شبان حمص وشعراءها لم يبلغوا من الخلعة والفتوك ما بلغ إليه أبو نواس وعصابته ببغداد وضواحيها : لقد كان الرأي السائد في حمص مناهضة أمثال هؤلاء المتهتكين الذين كانوا يفسقون في سر . وكثيراً ما

(١) لما أصدرت الطبعة الأولى من دراسة أبي نواس (بيروت ١٣٥١ - ١٩٣٢) أخذ على محمد محمود شاكر في مجلة المقطف (مصر ، فبراير - شباط ١٩٣٢ ، ص ٢٤٠) أنني أو جزت جداً في الكلام على بيته أبي نواس .

كان هوَلَاءُ الْخَلْعَاءِ لَا يَنْجُونَ مِنْ قَبْضَةِ رِجَالِ الشُّرْطَةِ إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ^١ .
وَكَانُ مُجَانَ حَمْصَ يَرْتَادُونَ الْمِيَمَاسَ^٢ لِيُشْرِبُوا الْخَمْرَ أَوْ لِيُفْسِدُوا، وَلَكِنَّ
ذَلِكَ كَانَ حَيَاةً خَاصَّةً لَهُمْ لَمْ يَجْهُرُوا بِهَا، وَلَمْ يَتَهَكُوا تَهَكُّ بَشَارَ وَأَبْيَ نَوَّاسَ
وَمُطَيْعَ بْنَ إِيَّاسٍ^٣ فِي بَغْدَادَ . وَكَذَلِكَ كَانَ زَعِيمُ شُعَرَاءِ الشَّامِ وَأَسْتَاذُ أَبْيَ تَامَ،
دِيكَ الْجَنِّ الْحَمْصِيِّ ، كَثِيرُ التَّأْمُمِ مِنَ الْجَهْرِ بِمَا كَانَ يَغْلِبُ عَلَى طَبَعِهِ أَحْيَانًا مِنْ
حُبِّ التَّصْفَفِ ، ثُمَّ هُوَ فَوْقُ ذَلِكَ عَلَوَيِّ شَدِيدُ التَّقْوَىِ . وَهَكُذا مِمَّا يَقُولُ أَبْيَ تَامَ
فِي بَيْتِهِ مُسْتَهْرَةً كَمَا اتَّفَقَ لَأَبْيَ نَوَّاسَ .

وَهَنَالِكَ أَيْضًا مَلَاحِظَةً تَصَدِّقُ عَلَى كُلِّ زَمْنٍ ، هِيَ أَنَّ الدَّاخِلِ حَدِيثًا فِي دِينِ
يَكُونُ أَشَدَّ تَمَسِّكًا بِنَرْوَضِهِ وَشَعَائِرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الدِّينِ أَنفُسِهِمْ . وَأَبْيَ تَامَ
رَغْبَ فِي الْإِسْلَامِ — تَارِكًا بِلَادَهُ وَأَهْلَهُ — فَكَانَ حَرَيَاً باجْتِنَابِ كُلِّ مَا يُحْمِلُ
مِنْهُ عَلَى غَيْرِ الْإِخْلَاصِ .

مَصْرُ بَعِيدَةُ عَنْ فَسَادِ بَغْدَادِ

وَانْتَقَلَ أَبْيَ تَامَ إِلَى مَسْجِدِ مَصْرِ يَسْقِي الْمَاءَ فِيهِ لِمَاعِشِهِ ، فَكَانَ يَلْازِمُ الْمَسْجِدَ
مِنْذِ النَّجْرِ إِلَى مَا بَعْدِ الْعَشَاءِ فِي الْأَغْلَبِ — مَدْدَةً قَدْ تَبْلُغُ أَحْيَانًا سَتِ عَشَرَةَ سَاعَةً
أَوْ أَقْلَى قَبْلِيَّاً — . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ فَرَصَ اخْتِلَاطِهِ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ نَادِرَةً فَلَمْ
تُتَسَّعْ لَهُ فُرَصٌ^٤ يَقْتَدِي فِيهَا بِغَيْرِ رِجَالِ الدِّينِ وَأَعْلَامِ الْأَدْبِ . كَانَ أَبْيَ تَامَ
يَلْازِمُ هَذَا الْمَسْجِدَ وَافْقَادَ أَمَامَ حَلْقَةِ تَدْرِيسِهِ ، فَإِذَا طَلَبَ أَحَدُهُمْ شَرْبَةً مَاءً
سَقَاهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ يَخْتَلِسُ الرَّأْيَ بَعْدَ الرَّأْيِ وَالرَّوَايَةَ بَعْدَ الرَّوَايَةِ .
وَلَا رِيبَ فِي أَنَّ مَصْرَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ غَيْرَ بَغْدَادٍ : كَانَتْ بَعِيدَةً عَنْ فَجُورِ

(١) راجع شِيئًا مِنْ أَخْبَارِ دِيكَ الْجَنِّ فِي الْأَغْنَىِ (١٣٦: ١٢) (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَبِ: ١٤٥١-٦٨).

(٢) الْمِيَمَاسُ مَنْزَهٌ فِي حَصْنِ كَثِيرِ الْأَشْجَارِ يَتَدَقَّقُ فِيهِ نَهْرُ الْعَاصِي فِي كَسْبِهِ جَالًا؛ وَكَانَ الْمِيَمَاسُ
مَنْزَهًا لِلْخَمْرِ وَلَا يَرْزَالُ، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ لَمْ يَقْصُدْهُ . وَقَدْ بَنَى الْيَوْمَ فِي بَنَاءِ حَدِيثٍ يَجْذِبُ نَفَرًا مِنَ
الْمُتَنَزَّهِينَ وَلَكِنَّهُ ضَيَّعَ شِيئًا مِنَ الْجَهَالِ الطَّبِيعِيِّ لِذَلِكَ الْمُتَنَزَّهِ .

(٣) راجع مَثَلاً أَخْبَارَ أَبْيَ نَوَّاسَ لَمَّا مُنْظَرَ .

الروم والفرس والمجوس وعن حاناتهم السرية ؟ أو هي لم تكن في ذلك كما كانت ببغداد ، ولم يكن فيها من يطلب اللعابة حتى في المسجد ، أمثال عصابة أبي نواس الذين كانوا ينهون المدرس بحملة مجونة على الأستاذ .

من استقى أبو تمام علمه ؟

كان أبو تمام رجلاً حبب إليه الأدب عامه والشعر خاصة ، فكان يستفيد مما يمر به من ذلك . فهو في هذا الباب عِصاميّ وفَرْ أوقاته على الاستفادة ثم لم يترك له اجتهاده متسعاً للّهو .

لا نستطيع : مما لدينا من أخبار أبي تمام ، أن نعرف شيوخ أبي تمام ؛ ولكن الصولي^١ ذكر جماعة روى أبو تمام عنهم ، منهم العطاف بن هرون ، وكرامَة بن أبان . وأبو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل الأموي ، وسلامة بن جابر النهادي ، ومحمد بن خالد الشيباني ، وقلابة الحرّمي ، ومالك بن دَلْهَم وعمرو بن هاشم السريوي^٢ . وذكر محسن الأمين هذه الأسماء وزاد عليها صهيب بن أبي صهباء الشاعر^٣ . قد يكون هؤلاء شيوخاً لأبي تمام تلقى العلم والأدب عليهم وتخرج على أيديهم . وقد يكونون شيوخاً اتفق أن سمع أبو تمام منهم حديثاً بعد حديث وكتب عنهم إملاء بعد إملاء .

كان أبو تمام حافظاً للقرآن . عارفاً بالحديث وبعلوم العربية ؛ كثير الاطلاع على التاريخ : ما عمّ منه وما خصّ . حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة . أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان - مما يبدو لنا في ديوانه - إماماً كبيراً .

أثر مذهبة فيه

وكان مما اكتسبه أبو تمام في حمص مذهبة العلوى . ونحن نعلم أن أتباع

(١) أخبار أبي تمام ٤٤٩ - ٢٥٨ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٥ . في أبي تمام الطائي (ص ٧٣) : صهيب بن أبي الصهبان (أو الصهباء) الشاعر (أيضاً) .

المذهب العلوى أشد الناس محافظة على الفرائض والنواقل وأبعدهم في الحماستة الدينية حتى ليكونون أحياناً مفترطين فيما يظنونه التقوى . فهذا ، إذن ، عامل آخر يحجز أبا تمام عن ارتياض اللهو علينا ؛ وهذا شيء نعرفه من حياته .

وأبو تمام لم يكن متشيعاً يُعْجَب بآل البيت ويأسى لما نزل بهم من المصائب فقط ، بل كان شيئاً يعتقد إمامتهم ويدرك في إثبات الإمامة لعليّ مذهبهم . وشعره في ذلك كله ظاهر الدلالة . ولقد جمع محسن الأمين^٢ طرفاً صالحاً من شعر أبي تمام الدال على شيعيته . أما أبرز قصائده في هذا الباب فهي^٣ :

أظبية^٤ ، حيث استنتَتِ الكتبُ العُفْرُ ،

رُوَيْدَكِ لَا يغتالُكِ اللومُ والزجرُ !

التي قاها في مطلع حياته قبل أن تقبل عليه الدنيا ، وحينما كان في مصر في الأغلب . وقد جاء في هذه القصيدة :

أفاعيلَ أدناها الخيانةُ والغدرُ ^٥ .	فعلَمَ بأبناءِ النبيِّ ورَهْطَهِ
يَدَاهِيَّةَ دَهَيَّةَ لَيْسَ لَهَا قَدْرٌ ^٦ .	— وَمَنْ قَبَلَهُ أَخْلَقْتُمُ لَوْصِيَّهِ
فَلَا مِثْلُهُ أَخٌ وَلَا مِثْلُهُ صَهْرٌ ^٧ .	أَخْوَهُ — إِذَا عُدَّ الْفَسَخَارُ — وَصَهْرُهُ ،
وُشِدَّ بِهِ أَزْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ^٨ .	كَمَا شُدَّ مِنْ مُوسَى بِهَارُونَهُ الْأَزْرُ .

(١) راجع الفرق بين « متيشع » و « شيعي » ، ابن الرومي للمؤلف (الطبعة الثانية) ص ٩-١٠ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٥٣٠-٥٤٣ .

(٣) ديوان خ ١٦٦-١٦٦ .

(٤) حيث تناولت (تابعت) الثلاث السمراء الاولى .

(٥) رهط الرجل : جماعته . أفاعيل جمع أفعولة : عمل الشر والخداع .

(٦) وصيه ، يقصد أبو تمام علي بن أبي طالب . يرى الشيعة أن الرسول كان قد أوصى لعلي بالخلافة بعده . الداهية اندهياء : المصيبة العظيمة . ليس لها قادر : ليس لها (لظمها) مقتبل اتفاقاً به .

(٧) أخوه (ما آخني) الرسول بين المهاجرين والأنصار آخني بيته وبين علي . صهره : زوج ابنته (فاطمة) .

(٨) الأزر (في الاصل) : الظهر . شد به أزر النبي : جعل له سندأً و معيناً . كما شد من موسى =

وَيَوْمَ الْغَدَيرِ اسْتُوضِحَ الْحَقُّ أَهْلُهُ
 أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوْهُمْ بِهَا
 يَمْدُدُ بِضَيْعَيْهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ
 أَحْجَاجَةً رَبَّ الْعَالَمِينَ وَوَارِثَ الْ
 وَلَوْلَمْ يَخْلُفْ وَارِثًا لَعَرَّاتُكُمْ

= بهارونه الازر : كما جعل هرون معياناً لموسى (راجع القرآن الكريم سورة طه ، ٢٠ : ٣١) .
 « هرون أخي ، اشدد به أزري وأشركه في أمري » .

وفي غزوة تبوك (٥٩) اصطحب الرسول كبار الصحابة وخلف علياً مكانه على المدينة .
 وظن علي أن فعل الرسول كان تفضيلاً للصحابية عليه ، فقال له الرسول : ألا ترمي أن تكون
 ممن يميز له هرون من موسى ؟ (تختلفني في الناس كما خلف هرون موسى في بني اسرائيل لما
 صعد موسى لميقات ربه) .

(١) يوم غدير خم (بضم الخاء) . خم غيبة فيها غدير على يسار الطريق من المدينة إلى مكة . في
 الثامن عشر من شهر ذى الحجة من سنة ١١ خطب الرسول بعد حجة الوداع في من كان معه
 من الحجاج قبل أن يتفرقوا ، ثم أخذ بيده علي ورفعها .. وقال : « فمن كنت مولاه فهذا
 علي مولاه . أللهم وال من والاه وعاد من عاده » الخ . كما يروى الشيعة . وهم يرون أن
 هذه الولاية تقوم مقام الوصية لهم بالخلافة (راجع مختارات اسماعيلية ، دمشق ١٣٧٨ - ١٤٥٨
 م ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠) ; وذخائر العتبى من مناقب ذوى القربي
 تأليف . الحافظ حب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى (القاهرة ١٢٥٦ھ) (ص ٦٧) .
 استوضح الحق أهله : بان الحق للذين يحبون الحق . بفيحاء : في أرض منبسطة مكشوفة (علنا)

(٢) ليقر بهم عرف : ليتاح لهم أن يعرفوا . ويتألم نكر : ليستعد عنهم الجهل .

(٣) يمد بضميه : يرفع (الرسول صل الله عليه وسلم) عضد (يد) علي بن أبي طالب ليشهد
 الناس على أنه مولى المسلمين . خبر : علم (راجع مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦ ص ٣٤٢ وما بعده) .

(٤) إصر : قرابة . - يا حجة أللهم على عباده ووارث نبيه (يقصد علي بن أبي طالب) ،
 ألا يقر (هؤلاء الذين فلوا بأبنائه علي ما فعلوا من الامور المذكورة في آيات تسقى هذا
 البيت) بمهد أخذ عليهم أو بقرابة يعرفونها لعلي بالرسول) .

(٥) لو لم يكن للرسول وارث الثالث أمور معيبة تتحقق من تصبيه (لو ترك الرسول المسلمين
 بلا وصية لكان ذلك عاراً عليهم) .

جعلتُ هوايَ الفاطميَّين زُلْفَةَ^١
إلى خالقي ما دُمْت أو دام لي عمرًا.
وكوَفِي ديني ، على أنَّ منصبيَ شَامَ^٢ ونَجْرِي أَيَّةَ ذُكِرَ النَّجْرَ.
مقامه عند المدحدين

رجع أبو تمام من مصر فأقام عند مدحدين — في الشام وبغداد وخراسان — وكاهم من الخلفاء والأمراء ورجال الدولة الذين قاموا على انتهاض حاشية الأمين الفاسقة في زعمهم . أفترضن أنَّ الذين ينتقمون من الأمين أنه أخذ شاعرًا فاسقًا كأبي نواس — وهم إنما أثاروا عليه هذه التهمة حتى خلعواه وحاربوه ثم قتلواه ليشيدوا دولتهم — يتسللون في أمر دينهم وسلوكهم ليُرْمُوا بما رُمي به الذين جاءوا قبلهم؟ كان هذا أيضًا يصد الشاعر عند عبته إذا اشتهره .

حياته الخاصة

ولكنَّ هذا كله لم يكن ليمنعَ الشاعرَ من إطلاق عواطفه فيما حوله في شيءٍ من الحذر والتساءل .. فلقد أحبَ بعض الجواري ، وكثيراً من الغلمان ؛ ويظهر أنَّ عواطفه أحيانًا كانت تتغلب على مبادئه فيسرف في شرب الخمر وإنفاق المال ، وفي اتباعَ أهواءِ النفس حتى يُسْفَت إلى ما انحطَ إليه أبو نواس ؛ لولا انه متكتم قليلاً ، وإنَّ أبا نواس متهتك مستهترٌ .

العنصر الشخصي

كان أبو تمام من الشعراء الذين شعرو بقيمتهم الذاتية شعوراً حقيقياً . لقد روَى عن جميع الشعراء أنهم فاخروا أقرانهم ، وأشاروا إلى مقدرتهم في أثناء مناقضات متباعدة المرامي ؛ ولكنَّ أباً تمام كان أول من أخذ بالنظر إلى نفسه ثم إلى

(١) زلفة: تنزيلاً إلى الله .

(٢) وكوفِي ديني : اتخذت دين أهل الكوفة (التشيع لعليٍّ وآلِه)، مع أنَّ منصبي (مكان، سكنى) ونجرى (أصلٍ ، نسبٍ) شَامَ (من أهل الشام ، أموي) أية ذكر النَّجْرَ : مهما كان أصلِي ، عربي أو رومي (؟).

(٣) راجع الأغاني ٢١: ٣٤ .

شعره موَكداً صفاتهما العالية. إنها يكتفي أن ينشرهما، بل يتخد منها موضوعاً يتابعه في أماكن كثيرة من قصائده. تراه يقول من مدحه في عياش ابن طبيعة: **شجىٌ في حلق الحادثات مُشرقاً**^١ به عزُّه؛ في الترَّهات ، **مُغَرِّبٌ**^٢ كأن له دِيَناً على كل مشرقٍ — وانْكَبْتُ بِجَدَّه في حزونه **مُقْصِرًا**^٣ خطراتِ الْمَمَّ في بدني علمًا بأَنِّي ما قصرت في الطلب^٤. وغيرها مما تجده أيضاً في قصيده: أهن عوادي يوسف وصواحبه^٥.

وقد أجمل الأستاذ المنقدي^٦ ذلك فأشار إلى « صبره على المشاق لبلوغ المني ، وشدة إعجابه بنفسه ... فإذا قرأت ديوانهرأيته مفعماً بما يدل على أنه نشأ مغامراً في سبيل المال والجاه . وقد زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاء ... » فلا عجب إن كان أبو تمام ، إذن ، واثناً بنفسه إلى حد الغرور أحياناً ، يغريض ما يقوله على الناس فرضاً ، ويعتقد آماله قبل أن تقع . ولا تحملنـ ذلك منه على العفو أو العتب فقد جاء به في أعظم مواقفه جيداً ، لنُصْعِي إلى أبي تمام يقول (ديوان خ ٧) :

ولقد رجوت ، فهل لديك بحاجة ،
إني امتحنك لا لفائدة ، ولا
لكنـ أروم به احتياطك ؟ إنه
فيما لديك لبعيني وغينائي .
 فهو يقول : أنا لا أمدحك طمعاً باللائزة ، ولا « تملقاً » كما يفعل الشعراء :
ولكن لأريك عظمة شعري^٧ ... ثم انظر قوله « أنا (من) عرفت » ، أو قوله

(١) راجع أيضاً الأغاني ٢١: ٣٤ .

(٢) الترَّهات : القفار . ديوان خ ٢٥ .

(٣) خ ٤٧١ .

(٤) ديوان خ ٤٣ ، راجعها في « المختارات » .

(٥) أمراء الشر ١٧٧ - ١٧٨ .

(٦) ديوان من ، ص ٤٥ وحاشية ٧ ؛ خ ، ص ٧ .

ولاني لأرجو عاجلاً أن ترددني مواهبُه بحراً ترجي مواهبي .
وسنرى في مكان آخر أن «آراءه لم تشتبه» ، وانه «فاق فطنة الفيلسوف»^١
وقد انتقل هذا الروح إلى شعره أيضاً ففخر به وفضله ، وقارنه بصلة
المدح : ثم قرن نفسه بالمدح :

وان كان لي طوعاً وليس بجاهدٍ .
عدوك ، فاعلم أنني غير حامد .
وألبسته من أمهاط قلائدي^٢ .
عبدالعزيز ؛ ولست دون وليد^٣ .
لسوابع التعماء غير كنود ،
وببلغة ، وتدبر كل ورید^٤ .
بأخيه ، أو كالضربة الألخندود^٥ .
بالشذر في عنق الكعب الرود^٦ .

وبيندر أن ترى له مدحه لم يفتخر فيها بنفسه وشعره^٧ :

(١) ديوان خ ٤٣ ، ٨٤ ، ٤٠٤ .

(٢) خ ١١٩ .

(٣) خ ٩٥ .

(٤) خ ٨٤ = هنا بيت من قصيدة يعتذر ابو تمام بها الى قاضي الدولة احمد بن ابي دواد ،
ويستفتح بخالد بن زياد الشيباني فيقول : مثل في الاعتذار اليك مثل زياد بن المها وبما استجار من
الوليـد بـاـيـوب بـنـ سـلـيـان بـنـ عـبـدـ الـمـلـك ، وـ بـعـدـ العـزـيز بـنـ الـوـليـدـ فـشـفـعـاـهـ . وـ ماـ خـالـدـ الـنـيـ
يشـفـعـ لـيـ يـاقـلـ مـهـيـاـ ، وـ ماـ أـدـتـ بـاـقـلـ مـنـ الـوـليـدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ . رـاجـعـ اـمـرـاءـ الشـعـرـ صـ ١٧٩
(رـاجـعـ دـيـوـانـ شـرـحـ التـبـرـيـ ١ : ٤٠٠) .

(٥) حـذـاءـ : قـارـصـةـ .

(٦) الـاخـدـودـ : الشـقـ فيـ الـأـرـضـ . الـفـرـبةـ الـاخـدـودـ : الـفـرـبةـ بـالـسـوـفـ تـحدـثـ جـرـ حـأـوـاسـاـ .

(٧) الشـذـرـ : قـطـعـ مـنـ الـذـهـبـ اوـ الـفـضـةـ توـضـمـ بـيـنـ الـلـؤـلـؤـةـ وـ الـلـؤـلـؤـةـ فـيـ الـمـقـدـ .

الـكـعـابـ : الـنـتـاءـ اـداـ بـرـ نـهـادـاـ . الرـوـدـ : الـلـيـنـةـ ، الـنـاعـمةـ .

(٨) صـ ١٧٩ - ١٨٠ .

وما كان حفص " بالغتير إلى حمدي .
 فصاغ ذا سلكاً بهياً من الرِّفَدِ ؛
 ولا فاته من فاخر الشعر ما عندى^١ .
 - بقوافٍ هن البوافي على الده ر ، ولكن أثمانهن مواضٍ^٢ .
 ثم لا يذهبن بك الظن إلى أنه يدعى ذلك ويتظاهر به ؛ فقد رُكِبْ ذاك في
 نفسه ؛ روى الأصنهاني^٣ أن أبو تمام أنسد عبد الله بن طاهر قصيده « أهن
 عوادي يوسف وصواحبه ؟ » فثار عليه ألف دينار ، فلم يمس منها شيئاً بل
 تركها للغلمان يلتقطونها حتى وجد عليه ابن طاهر ؛ وقطعه زماناً . ثم قلب
 ديوانه حتى تصل إلى هذه الأبيات فتحسب أبو تمام إنما يتكلم عن نفسه لا عن
 المدوح :

ماذا ترى فيمن رأاك مدحه
 قد كابر الأيام حتى كذبت
 لا تنس من لم ينس مدخلك ، والمني
 بكر ، فقد بكرت إليك بمدحه
 لا شيء أحسن من ثانئي سائراً ،
 أهلاً ، وصارت في يديك مصائره^٤ ؟
 عنه ، ولكن القضاء يكابره .
 تحت الدجى يزعمْ أنك ذاكره .
 غر التصائد ؛ خير أمر باكره .
 وتداك في أفق البلاد يسايره^٥ !

٢ - العناصر المساعدة

دخل أبو تمام بغداد بعد وفاة المؤمن ، وقد لبست من الثيافة الأجنبية ثوباً

(١) ديوان خ ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) ديوان خ ١٨٨ .

(٣) الاغاني ٩٩:١٥ (بولاق) .

(٤) كذبت عنه : انتئت عنه وجنت ، ومعنى البيت ان الشاعر غالب الأيام فتهراها ؛ ولكن
 قضاء الله هو الذي يطالبه الآن .

(٥) ديوان خ ١٥٦ .

قشياً بفضل سعيه لنقل كتب الإغريق خاصة . ويحسن هنا أن نقول : إن أبا تمام جاء بعد روح من الزمن فرأى الكتب منتشرة ، والثقافة شائعة في الناس . بدأ الخلفاء بالنقل منذ أيام المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ، ولكن الثقافات المتضمنة في الكتب المنقولة اقتضت وقتاً حتى انتشرت بين الناس .

أما الجوالي اليونانية والفارسية والهندية ، سواء منها التي اعتنقت الإسلام – قد عماً أو حديثاً – أو التي بقيت على أديان آبائهما ، فإنها كانت كتاباً حية في المجتمعات وحلقات الأدب والعلم والحدّال . وإذا كان بشّار بن بُرد وأبو نواس وأبو العناية ومعاصروهم قد رأوا هذه الحركة في أوطاها ، وترعرعوا إليها في طفولتها فإن أبا تمام قد شهد عنوانتها وعاش في إبانها .

الثقافة اليونانية

ُهزم النفوذ الفارسي في معركتين : الأولى يوم فتك الرشيد بالبرامكة وأتباعهم ومواليهم وصنانعهم ، فقضى على نفوذ الفرس في الحكم ، وقلص ظلّهم الوارف عن قصر الخلد ؛ والثانية يوم ترك المأمون مرو وأتى إلى مدينة السلام ، ثم ما عتم فيها أن أعلن ترك الخضراء والرجوع إلى السواد : شعاربني العباس ؛ فقضى على أمل الفرس المستتر وراء النظرية العلوية في الخلافة ؛ غير أن ذلك لم يتعرض للثقافة الأدبية بشيء .

إلى جانب هذه الثقافة الأدبية الفارسية ازدهرت ثقافة علمية إغريقية . في بينما كنت ترى الناس يستمرون إلى الغناء الفارسي أو المنقول عن الفارسية ؛ أو تراهم يصغون إلى قصاصات الحرافات الفارسية أو يتفقهون بالأدب الفارسي والكيسنة الفارسية ، اللذين استخرجهما ابن المفعع وأمثاله ، كنت تراهم يتجادلون في الفلسفة اليونانية ويتناقشون في كتب الإغريق العلمية . وكان للهند أيضاً ثقافة رياضية في بلاد الإسلام كلها . غير أن العرب لم يستفيدوا من أدب اليونان الفي .

وكان أظهر هذه الثقافات في شعر أبي تمام الثقافة اليونانية ، ولا عجب فقد

كانت الرؤى الشائعة بعد المأمون كما أن الثقافة الفارسية كانت الرؤى في عصر هرون الرشيد . ولعل هذه الثقافة كانت أقرب إلى عقلية أبي تمام ، ربما لصلة نسبة بالروم ، وهو لم يتحرر من بيته اليونانية إلا يوم أسلم دون أفراد أسرة على ما رأينا .

ثم توفي المأمون وترك وراءه ذرعة من الحرية العقلية لم يعرفها الإسلام من قبل ولا عرفها من بعد : لقد تناولت هذه الذرعة الدين بأوسع مظاهرها وفي أقدس مظاهره كالقول بخلق القرآن ، وجدال أهل الكتاب بلا قيد ولا رقib ، ثم التفكير في ما حفظه الدين من الروايات . وحسبك في هذا المقام أن تعرف أن هذه كانت من قبله كثراً أو أقرب شيء إلى الكفر . ولا ريب في أن أبي تمام احتك بهذه أيضاً – وهو الشاعر العالم – واستفاد منها حتى ظهر بعض أثرها في حياته وشعره .

الزندقة والشعوبية

اتهم حبيب بن أوس بالزندقة ككثيرين غيره ؛ والزندقة يومذاك تهمة سياسية أو دعوى على رجل أتهم بما لا يمس الدين في أساسه . فيكتفي أن يكون الإنسان متهمتكاً في قوله دون عمله حتى يرمي بالزندقة . وقد يكون ملحداً كافراً فلا يسمونه إلا زنديقاً . من أجل ذلك ترى أن هذه الكلمة مطاطة باستطاعتك أن تجمع فيها الأصداد والافتئاء . وقد اتهم أبو تمام بها ، قيل لأنه لم يصل الظهر في يوم بارد .

أما الشعوبية فلم تظهر في شعر صاحبنا ولا في حياته ؛ ليس ذلك فقط بل انه هجا من آهموا بها وبالزندقة هجاء مرأ . فلا عجب إذا بحثنا فيها عند الكلام على هؤلاء .

الأحداث والفتوح

لم يمثل الناحية القومية الدينية بمعناها الواسع حتى ذلك الوقت شاعر كما

مثلها أبو تمام . ثم جرى كثيرون على أثره وحاولوا أن يلحقوا به ، ولم يبلغه ويتقدم عليه غير شوقي .

كان فخر الباهلي بقبيلته فحسب لا يعدو بضعة آباء خوفاً من أن يلتقي بجد قبيلة الشاعر الذي يفاخره ؛ وجاء العصر الأموي فكانت التناقض التي نسأليها نحن هجاء سيمياً ، فخرأً محدوداً وشائماً كثيرة لا تعدو أيضاً قبيلة واحدة ، أو أسرة واحدة . أما أبو تمام فقد مدح الخليفة ، وهو رأس الامبراطورية العربية الإسلامية ؛ ومدح رجال الخليفة - وأكثرهم عرب - إذا كانت سيرتهم وأعمالهم في رضى الخليفة ، كما سرى عند الكلام على فنون أبي تمام . ولقد أجاد الشاعر في جميع هذه القصائد إجاده عظيمة ، وخلق منها في ديوانه ناحية بارزة تسجل فيها نفسه الكبيرة سينماً مسلولاً على أعداء الخليفة الداخليين والخارجيين ، ومنطقاً فصحيحاً ، وشعرأً فخماً . ولننوجز الآن الكلام على خمسة من هذه الأحداث .

١ - العلويون

يظهر عطف أبي تمام على العلويين جلياً في عدد من قصائده ليلة اليهم : كان يعتقد بحقهم في الخلافة وأيسى لما أصاب رجالهم على يد العباسيين . وكان المأمون قد مال إلى العلويين ثم انقلب عليهم ^١ .

خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالطافان من خراسان . وبعد معارك متعددة انهزم فنجا إلى نسا ، فأخذه عامل نسا وأرسله إلى عبدالله بن طاهر أمير خراسان . وأرسله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم فوافق وصوله إلى سامرا في ربيع الأول من سنة ٤٢١٩ هـ (آذار ٨٣٤ م) فحبسه المعتصم ، ولكن محمدأً احتال في ليلة الفطر (آخر رمضان = ٢١٩ تشرين الأول ٨٣٤) ، وقد استغل الناس بأمر العيد ، للهرب . ولم يعرف أحد مكانه بعد ذلك .

(١) راجع قصيته : أطيبي حيث استنت الكتب خ ١٦٦ - ١٦١ ، (وفوق ، ص ٤١-٤٣) .

(٢) تاريخ الكامل ٦: ٢١٢ .

ب - بابك الحرمي

الحرمية « دين الفرح » ، ويعلم أتباعها على الأخذ بالملذات وعلى « الاباحية » فيتزوج الرجل أمه أو أخته أو ابنته ؛ ويومنون بتناسخ الأرواح . ولم ناجية ثانية في مذهبهم هي كره العرب وكراهيتهم ، والعمل على رد المزدكيه - دين الفرس الشعبي - ؛ على أن هذه الحركة لم تقو إلا بعد اتصالها ببابك^١ في حديث يطول . فلما قويت قام ببابك يحارب المسلمين معتصماً ببابك البَدَأَ منذ أيام المؤمنون . وقبل أن يتوفى المؤمنون أخذ في وصيته على أخيه المعتصم عهداً لزاماً بأن يتغلب على ببابك ولو أتفق كل ثمين . ولقد صدح العتصم بذلك فلم يغز الروم ، ولم يوجهه جيشاً إلا إلى حرب ببابك حتى انتصر عليه^٢ . أثارت هذه الحادثة حمية أبي تمام الدينية وخلدها في قصائد كثيرة من عيون قصائده في شعر يتدفق حماسة وبلاعة ، ثم قدم الأفشين ببابك الحرمي على سامرا سنة ٢٢٣ هـ فقتل ببابك فيها وصلب .

ج - فتح عمورية

كان الروم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب ببابك فجعلوا يغزون على البلاد الإسلامية ؛ او يُوَوْنِون اليهم بعض التأثيرين على سلطة بغداد . وقبيل اسر ببابك أغاث ثيوفيلوس^٣ ، ويسميه العرب : توفيل بن ميخائيل ، على

(١) ببابك في الفارسية تصنف باب ؛ وبالباب بالفارسية : الاب ، الخليل . وبابك تطلق على المرب ، والمعلم . وهو اسم ملك أيضاً . Steingass, Persian - English Dictionary , London, p. 135.

(٢) طالت حركة ببابك عشرين سنة وروي انه قتل في اثنانها ٥٥٥،٥٠٠ انسان ثم تغلب الأفشين على ببابك واستخلص من في يديه من المسلمين وأولاً دهن . وقد كان المعتصم الأفشين بعشرين مليون درهماً (نحو نصف مليون ليرة ذهبية) .. وادخل عليه الشعراً يدحوه وامر لهم بصلات ايضًا ، وذلك في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٢٣ ف قال فيه ابو تمام قصيده : « بد الجلد البد فهو دفين » الطبرى (مصر) ١٠: ٢٢٣- ٢٢٦- ٤٢٨ خ ؛ تاريخ الكامل ٦: ١٣٥ .

Cf. Finlay, Hist. of Byz. Emp. ch. III. Sect. ii (٣)

زِيَّطْرَة^١ : مولدِ امَّ المُعْتَصِم ، وقيل بل مولد المعتصم ؛ وخر بها ثم أوقع بأهلها . في هذه الانباء اتصل بالمعتصم ان امرأة هاشمية صرخت ، وقد هاجمتها العلوج : « وآمِعْتَصِمَاه » . فصرخ وهو على سريره : « لبَيْكِ » . ونهض من ساعته . واستعد اعظم استعداد (٥٢٢٣) .

لقد خرب توفيق مدينة لها ذكرى في قلب المعتصم ، فاراد المعتصم ان يقابلها بمثل عمله ؛ فسأل عن اعظم مدينة عند الروم ، فقيل هي عموريَّة . ولعل لذلك سبباً آخر هو ان عموريَّة بلد الدولة الحاكمة ومولدها وإليها تسب . ففتح عموريَّة ، اذن ، كان مغامرة شعرية جميلة فوق ما انطوت عليه من الهمية التاريخية التي حملت الروم دُلَّا^٢ تلمسه في قصيدة فتح الفتوح^٣ .

د - مازيار

كان مازيار هذا قد اظهر الخلاف على امير خراسان عبد الله بن طاهر ؛ وفي عام ٢٤٤ هـ خرج عليه بطرستان وامتنع عن ارسال الحراج . لكن عبد الله تمكَّن بوساطة احد عماله من ان يقبض على مازيار ويرسله الى ساما ، فيقتله المعتصم عام ٢٥٥ هـ .

ه - حرق الأفشين

لما ظهرت حركة بابك ارسل الأفشين لقتاله ؛ ولكن الأفشين جعل يطاول بابك ، فثارت هذه المطاولة شكًّا حوله ، وظنها الكثرون محايَا للتأثير وعطناً عليه . ثم تابعت سلسلة من الأدلة جعلت الأفشين متهمًا لدى الخليفة : منها ارساله الأموال الى اشروسنة (بين نهر سیحون وبلدة سمرقند) سراً ، قبل لتأييد الدعوة الى الدين المجوسي وردة ؛ وقد ثبت ان أهالي اشروسنة كانوا يبدؤن

(١) زبطة Zapetra بلهة بين ملطية وسيساط والحدث ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ (ياقوت ٩١٤ : ٢) .

(٢) « السيف أصدق انباء من الكتب .. »

كتبهم الى الاشين بهذا العنوان : « الى الله الاله ... » ؛ وانه كان لدى الاشين كتاب في الديانة القديمة مُحملٍ بالذهب والجواهر ؛ وانه كان يكاتب اتباعه ويكتابونه متربصين بالعرب الدوائر . وزاد في النقمة على الاشين سعيه بعد الله ابن طاهر وطمعه بإماراة خراسان مكانه .

كل هذه البيانات تجمعـت لتدبر الاشين فلم ير المعتصم بدأ من قتلـه ؛ ولكن السياسة اضطرته الى تجاهـل امره حتى ينجـلي الموقف في خراسان ؛ فتركـه اميراً عاماً للجند في المـشرق ، ولكن جعلـ على بعض اقسام الجند قادة يطمئـنـ الى ولائهم : منهم ابو سعيد محمد بن يوسف التغري ، وابو دلف العـجيـلـيـ ، يساعدـهما عبد الله بن طاهر والـيـ خراسان .

وتغلـب المسلمين على بـاـبـكـ وـلـمـ يـقـتـلـ المـعـتـصـمـ الاـشـينـ ، لـحـصـهـ عـلـىـ الـاسـتـفـادـةـ من مواهـبـهـ العسكريـةـ فـيـ حـرـبـ الروـمـ ايـضاـ بـعـدـ انـ عـزـمـ عـلـىـ مـهـاجـمـةـ عمـورـيـةـ . فـلـمـ فـتـحـ عـمـورـيـةـ وـغـلـبـتـ الروـمـ ؛ وـلـمـ خـضـدـ الخـلـيفـةـ شـوـكـةـ الثـائـرـينـ فـيـ المـشـرقـ وـمـكـنـهـ اللهـ مـنـ اـعـنـاقـهـمـ ، لـمـ يـقـتـلـ المـعـتـصـمـ فـيـ الاـشـينـ مـأـرـبـةـ فـقـتـلـهـ وـصـلـبـهـ ، ثـمـ اـحـرـقـهـ . فـأـضـافـ اـبـوـتـمـامـ اـلـىـ قـلـائـدـهـ الـخـالـدـةـ قـلـادـةـ جـدـيدـةـ . وـانـشـدـ المـعـتـصـمـ مـدـحـةـ جـدـيدـةـ يـبـدـأـهاـ بـيـسـطـ تـهـمـ الاـشـينـ ، وـيـنـهـيـهاـ بـطـلـبـهـ اـلـىـ الخـلـيفـةـ اـنـ يـعـقدـ لـابـنـ الـوـاثـقـ وـلـاـيـةـ الـعـهـدـ . وـذـلـكـ عـامـ ٢٢٥ـ^١ :

الـحـقـ أـبـلـجـ ، وـالـسـيـوـفـ عـوـارـ^٢ ؛ فـحـنـدـارـ مـنـ أـسـدـ الـعـرـبـ حـنـدـارـ !

(١) ابن الأثير ٢١٠:٦، خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) ابنـجـ : ظـاهـرـ ، وـاضـحـ : عـوـارـ (جـ عـارـيـةـ) بـحـرـدةـ .

الخَصَائِصُ الْأَدْبَيَّةُ فِي شِعْرِه

ان الأمم تختلف في أساليب تفكيرها ، نعلم ذلك مما نراه عندها من بناء جسمها ونراكيب كلامها وأنواع مجازها واستعاراتها وكتاباتها – كل أمة حسب بيئتها وتطورها وثقافتها . وكذلك أفراد الأمة الواحدة فانهم يختلفون أيضاً في طرائق تفكيرهم . قوة وضعنا أو بُعدَّ غَورٍ وقرب مُتناول ، كل حسب بيئته واستعداده الطبيعي والفكري وحسب ثقافته .

١ - خصائصه المعنوية

لم تبرز هذه الظاهرة في شاعر عربي بروزها في أبي تمام ؛ حتى قال النقاد عن شعره إنه معقدٌ : وعن معانيه أنها مقتسرة مأخوذة بعنف . على أننا لو انعدنا النظر لوجدناه يفكر بطريقة صحيحة ، ولكنها بعيدة عن مألوف الرجل العادي . إن أبي تمام مثقف حافظ ، مطلع على الحركات الفكرية التي كانت في أيامه ؛ وهذه عناصر كلها تتضادر على صبغ تفكيره بصبغة تظاهره غريباً في نظر القارئ العادي ، وليس هو على الحقيقة كذلك . ثم أي فضل لشاعر – او لأي رجل آخر – اذا كان يحرك لسانه بما انتجه قرائح الناس ؟

ولقد صدق ابن رشيق حين قال^١ : « وانما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لم يشعر به غيره ؛ فإذا لم يكن عنده توليد معنى ، ولا اختراعه ... او صرف

(١) المدة ٩٦: ١ .

معنى عن وجه الى آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ؛ ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي ، مع التقصير ... » ثم قال : « وانما السبق والشرف في المعنى^١ ! ». .

وإليك هنا مثالين من تقصير الناس في فهم معاني أبي تمام .
خطأ الآمدي^٢ أبا تمام في قوله^٣ :

فَلَوْيَتَ بِالْمَعْرُوفِ أَعْنَاقَ الْمُتَّىِ ، وَحَطَمْتَ بِالْإِنْجَازِ ظَهَرَ الْمَوْعِدِ .
فَرَعَمَ اسْتِعَارَةَ الظَّهَرِ لِلْمَوْعِدِ قَبِيْحَةً ، وَالْمَعْنَى الْمُسْتَخْلَصُ مِنْ حَطْمِ الظَّهَرِ
رَدِيَّاً ؛ وَلَا أَرَى إِلَّا أَنْ أَبَا تَمَامَ تَخَيلَ أَنْ يَنْجِزَ الْإِنْجَازَ وَعَدَّاً قَبْلَ أَنْ يَقْطَعْهُ ثُمَّ
يَسْتَغْفِي عَنِ الْوَعْدِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَيَعْطِيُ الْمُعْتَفِينَ حَالًا^٤ ، فَلَا يَجْرِي الْوَعْدُ عَلَى
لِسَانِهِ . وَكُلُّ مَا فِي نَقْمَةِ النَّقَادِ مِنْهُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْمَعْنَى مِنْ حِيثُ لَمْ يَتَعُودْ النَّاسُ أَنْ
يَنْظُرُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ . وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامَ نَفْسِهِ^٥ :
بِرِّ الْوَعْدِ أَخْزِيَ الْعَارِ ، إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبَهُ ثَائِي مَقْدَمَةَ الْمَوْعِدِ .

وَخَطَأَهُ الآمدي أَيْضًا^٦ فِي قَوْلِهِ^٧ :

يَقِظَّ ، وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْصَانٌ عَلَى نَاثِلٍ لَهُ مَسْرُوقٌ .
وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْآمدي لَمْ يَتَعُودْ أَيْضًا أَنْ يَرَى النَّاثِلَ (العطاء) مَسْرُوقًا .
أَنَّ مَا يَكُونُ مَسْرُوقًا ، فِي رَأْيِهِ ، هُوَ مَالُ الْمَغْصُوبِ ؛ أَمَّا مَا يَعْطِيهِ الرَّجُلُ فَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَسْرُوقًا . وَلَا رِيبٌ عَنِي أَبَدًا فِي أَنَّ أَبَا تَمَامَ قَصَدَ أَنَّ الشَّاعِرَ
يَأْخُذَ الْمَدْوَحَ بِالشِّعْرِ الْجَمِيلِ حَتَّى يُسْلِبَهُ مَالًا^٨ مَا كَانَ لِيُعْطِيهِ إِيَاهُ لَوْلَا

(١) الصدفة ٧٤:١ ، السطر ٥ - ٦ .

(٢) الموازنة ٩٥ .

(٣) ديوان خ ١١٣ .

(٤) انظر شرح الاسود ١:٢٦٥ ، امراء الشعر ١٥٥ .

(٥) ديوان خ ١٣٠ .

(٦) الموازنة ٩٩ .

(٧) ديوان خ ٢٢٠ ؛ سر الفصاحة ٢٥٠ .

هذا الشعر .

وعلى كل فلنذهبْ كُنْ أَنَّ الْأَمْدِي — جد متحامل على أبي تمام، جد محابٍ للبحري .

شفق أبي تمام بالإغراب

قال الأ müdّي في كتابه «الموازنۃ بين أبي تمام والبحري» ، على لسان صاحب أبي تمام : «إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقّة معانيه وقصور فهمه (هو) ، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر »^١ . وكان مثال ذلك ما جرى يوم قصد أبو تمام عبدالله بن طاهر ومعه قصيدة يمدحه بها مطلعها : أهن عوادي يوسف وصواحبه^٢ . فلما عرضها على كاتبين لعبدالله بن طاهر قالا له : «لم تقول ، يا أبي تمام ، ما لا يُفهَمُ ؟ فأجابهما فوراً : «لم لا تفهمان ما يقال ؟» . فكان هذا مما استحسن من جوابه^٣ . ثم انھما سرّا بأبيات منها سروراً حملهما على رفعها إلى عبدالله بن طاهر .

وكان في الأ Müdّي تحامل على أبي تمام ، ومع ذلك فانتاب نجده يقول^٤ : «..... لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعاني ودقائقها والاغراب فيها أو الاستنباط لها ». ولكنه يقول أيضاً : «أبو تمام يتبرّج شعره عند التفتیش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح »^٥ .

ولا ريب في أن أبا تمام كان يوغل في طلب معانيه . ولقد أنصف كتاب أمراء الشعر^٦ في نقل رأي ابن رشيق^٧ : «وأما حبيب (أبو تمام) فيذهب إلى حزونته اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً أو كرهاً ؛

(١) الموازنۃ ٩ .

(٢) راجع مبة الأيام ٢٦ وما بعدها ، ١٣٤ .

(٣) الموازنۃ ١٧٠-١٧١ .

(٤) الموازنۃ ١٥ .

(٥) ص ١٩٤-١٩٣ (الطبعة الثانية ١٦٠) .

(٦) العدة ١: ١٠٩ .

يأتي للأشياء من بعد ، ويأخذها بقوه » ...

« ويراد بذلك هيامه بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفهمها إلى تأمل ومشقة . تراه يعطي مقاصده بشيء من الإبهام ، فإذا كشفه بان لك جمال خلاب يستهويك ويزيدك ترناحاً بها . ومن هنا (تنشأ) هذه الصوربة التي يعاينها من يطالع ديوانه : فإنه قد يقف حائراً أمام طلاسمه وغموض معانيه ، حتى إذا راضت له بالدرس والتفكير رأى فيها ما يلنته من صور جميلة ومعان رشيقه ^١ ». كل شعر يبدأ نهضة فهو غامض : كذلك الشعر الجاهلي الأول ، فشعر امرىء القيس أكثر غموضاً من شعر زهير للزمن الذي بينهما ، وشعر الطير ماتح أشد تعتمداً من شعر جرير ! وكذلك شعر مسلم بن الوليد أحياناً ، وشعر ابن الهارض : وكذلك أيضاً شعر شكسبير والروائيين الإفرنجيين الأول وشعر غوته سيد شعراء ألمانيا . ولعل أشعار فيرجيل ودانتي لا تخرج على حدود المبدأ الذي نتحذه .

فنعجب بعدئذ ، إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذي أوجد طريقة الشاميين ، وكان أولَ من حلَّ الشعر العربي بالصناعة الفظية المقصودة ؟ فمن إغراط أبي تمام ، إذن ، قوله :

— وقد كانت الأرماح ابصرنَ قلبَه فأرمدها سترَ القضاء المددَ ^٢ .
— بكتَكَ ما ماريَتَ في أنه بُردُ ^٣ .
— قد كان عذرةً مغربَ فافتضَها بالسيف فحلَ المشرقِ الأفشنِ ^٤ .

(١) امرأة الشعر ١٩٤ (الطبعة الثانية ١٦٠ - ١٦١)

(٢) خ ١٠٢ - يتخيل الشاعر هنا ان للرماح عيوناً ابصرت المقتول (من بابك الخمي) ولكن قضاء الله الذي لم يكن قد حان بعد مد بين عيون الرماح وبين قلب بابك سترةً امرأها فاصلت المقتل (ونجا ببابك) .

(٣) خ ١٢١ - يخبرنا أبو تمام ان المدوح (محمد بن الهيثم) لين البر يكة طيب النفس ، حتى لو ان اخلاقه تجس باليد لما شكل انسان في أنها ثوب من الحرير رقيق . راجع سر الفصاحة ٤٤٩ .

(٤) خ ٣٢٦ - ما زالت مدينة البد (معقل بابك) بكر محصنة بعيدة المنال حتى استطاع القائد الأفشنين التركي (المشرقي) ان يكون اول بان بها (متزوج بها = اول من أخذها عنوة) .

— ورَكْبُ يُساقون الرِّكابَ زُجَاجَةً من السير لم تَفْصِدْ لِمَا كَفَ قاطِبٌ؛
 فقد أكلُوا منها الغواربَ بالسُّرِىِّ ، وصارت لها أثباً حَمِيمَ كالغواربَ^١.
 ولكن يجب ألا نجْفَلَ كثِيرًا من الغموض والتعميد في الشعر ، كما يقول
 نفر من النقاد ، فان الشعر لا يمكن أن يكون الكلامَ المُتَدَاوِلَ المأْلُوفَ . من
 من أجل ذلك وجب أن نغترِّ للشعراء كثِيرًا ما يظهر في شعرهم من ذلك .
 « ولو كان التعقيد وغموض المعنى يُسقّطان شاعرًا لَوَجَبَ ألا يُرِي لأبي تمام
 بيتٌ واحدٌ ؛ فانـا لا نعلم له قصيدة تسلـم من بيت أو بيتين قد وَقَرَ من التعقيد
 حظـهما وأفسـد به لفظـهما . ولذلك كثـر الاختلاف (أي اختلاف الناس) في
 معانـيه ، وصار استخراجـها بـاـباً منـفـرـاً يـنـتـسـب إـلـيـه طـائـفةـ منـ أـهـلـ الأـدـبـ ،
 وصارت تـنـطـارـحـ فيـ المـجـالـسـ مـطـارـحةـ أـبـيـاتـ الـمعـانـيـ وـالـغـازـ الـمـعـمـىـ »^٢ .
 وهذا يـكـادـ يـكـونـ عـامـاً فيـ الشـعـرـ كـلـهـ ، قالـ الجـرجـانـيـ :^٣ « وـلـيـسـ فيـ الـأـرـضـ
 بـيـتـ مـنـ أـبـيـاتـ الـمـعـانـيـ لـقـدـيـمـ أـوـ مـحـدـثـ إـلـاـ وـمـعـناـهـ غـامـضـ مـسـتـرـ ؛ وـلـولاـ ذـلـكـ
 لـمـ تـكـنـ إـلـاـ كـغـيرـهـ مـنـ الشـعـرـ ، وـلـمـ تـنـرـدـ فـيـهـ الـكـتـبـ الـمـصـنـفـةـ ، وـتـشـغـلـ
 باـسـخـراـجـهاـ الـأـفـكـارـ الـنـارـغـةـ »^٤ . علىـ أـنـ الـذـيـ يـوـخـذـ عـلـىـ أـبـيـ تمامـ أـنـ دـيـوانـهـ
 مـشـحـونـ بـالـغـمـوـضـ وـالـتـعـيـدـ .

قوى الفكر غواص على المعاني

قال المبرد^٦ «أبـي تمامـ استـخـراـجـاتـ» لـطـيفـةـ وـمـعـانـ طـرـيـفـةـ ، وـهـوـ صـحـيـحـ

(١) خـ ٤١ ؛ اـمـرـاءـ الشـعـرـ ١٩٦ - ١٩٧ - يـجـعـلـ اـبـوـتـامـ السـيـرـ خـرـاـ صـرـفـاـ «ـغـيرـ مـزـوـجـةـ» يـدـيرـ هـاـ الرـكـبـانـ بـيـنـهـمـ فـتـورـهـمـ شـدـةـ فيـ سـيـرـهـمـ مـنـ غـيرـ تـفـكـيرـ بـمـالـ ؛ ثـمـ انـ اـجـهـادـ النـيـاقـ بـالـسـيـرـ قدـ اـذـابـ سـنـاـهـاـ ؛ وـكـانـ السـيـرـ الـكـبـيرـ اـيـضاـ قدـ اـنـحـلـهـمـ هـمـ اـنـفـهـمـ فأـصـبـحـتـ أـجـاهـمـ التـحـيلـةـ كـانـهـاـ هـيـ سـنـاـمـ الـاـبـلـ (رـاجـعـ اـيـضاـ شـرـحـ التـبـرـيـزـيـ ٢٠٩:١) .

(٢) الـوـاسـطـةـ ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) الـوـاسـطـةـ ٤٣١ .

(٤) الـافـكـارـ الـفـارـغـةـ : الـيـ لـيـسـ لـهـ مـشـاغـلـ .

(٥) الـوـاسـطـةـ ٤٣٢ .

(٦) اـخـبـارـ اـبـيـتـامـ ٩٦ - ٩٧ ؛ اـخـبـارـ الـبـحـرـيـ ١٦٤ - ١٦٥ .

الخاطر حسن الانزاع (للمعاني وللصور الشعرية) . وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وما أشبهه إلا بعائص يخرج الدرّ والمخشليبة^١ » . والصولي يقول^٢ : « إن أبا تمام يصنع الكلام ويختبره ويتعب في طلبه حتى يُيدِّعَ ، ويستغير ويُغَرِّبُ في كل بيت إن استطاع وأبو تمام لا يسقط معناه البتة ، وإنما يختلُّ في (بعض) الوقت لفظه . فإذا استوى له اللفظ ف (ذلك) هو الجيد من شعره النادر الذي لا يُتعلّق به » .

- تفاوت شعره

بدأ الأمدي حجاجه عن البحري وحملته على أبي تمام بقوله^٣ : « ووْجَدَتْ — أطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ — أَكْثَرَ مِنْ شَاهِدَتْهُ وَرَأَيْتَهُ مِنْ رُوَاةِ الْأَشْعَارِ الْمُتَأْخِرِينَ يَزْعُمُونَ أَنْ شِعْرَ أَبِي تَمَامَ لَا يَتَعَلَّقُ بِجَيْدِهِ جَيْدٌ أَمْثَالُهُ ، وَرَدِيْئُهُ مَطْرُوحٌ مَرْذُولٌ » . وعلى هذا سار الأصفهاني فقال^٤ : « وَالسَّلِيمُ مِنْ شِعْرِ النَّادِرِ شَيْءٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ أَحَدٌ ، وَلِهِ أَشْيَاءٌ مُتَوَسِّطَةٌ ، وَ(أَشْيَاءٌ) رَذِيلَةٌ جَدِّاً » . كل هذه الأحكام ترجع بلا ريب إلى قول البحري عن أبي تمام وعن نفسه^٥ : « جَيْدِهِ خَيْرٌ مِنْ جَيْدِي ، وَرَدِيْئِي خَيْرٌ مِنْ رَدِيْئِي » .

ولقد أنصف الجرجاني لما استعرض أقوال النقاد في أبي تمام ثم وزن بين هذه الأقوال وبين شعر أبي تمام ، وقد استشهد ببعض غرره وقلائده ، فقال^٦ : رأيت أبا تمام يترقى في هذه^٧ الدرج العالية ويتصرف لهذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب ». ويلوم الجرجاني

(١) خرز أبيض يشبه اللؤلؤ .

(٢) أخبار البحري ١٦٥ - ١٦٦ ، راجع ٥٧ - ٥٨ ؛ غ ٩٦:١٥ .

(٣) الموازنة ١ .

(٤) غ ٩٦:١٥ .

(٥) أخبار البحري ٥٧ .

(٦) الوساطة ٦٥ ، راجع ٢١ ، ١٨ ، ٦٢ ، ٧٨ - ٧٧ .

(٧) في الأصل « هنا » . - الدرجة (بالضم ، أو بفتح ففتح ، أو بضم وفتح) : المرقاة .

أبا تمام — مع شدة حبه له — على أنه يأتي بالأبيات الرائعة الأنثقة ، ثم يأتي له في أنثأها بيتٌ ضعيف فيقتلق هذا البيت الضعيف في موضعه وتتخلخل القطعة كلها . إن البيت الضعيف إذا جاء في أثناء أبيات بارعة أو متينة أشتد ضعفه بروزاً ، كما أن البيت البارع المتن إذا وقع في الأبيات السخينة الركبة ضاع جماله ولحنته هجنة . ويتمنّى الحرجاني أن لو كان أبو تمام قد حذف الأبيات الغنة الركبة من ديوانه ولو ذهب في ذلك نصف شعره . ويرد الحرجاني أكثر عيوب أبي تمام إلى شدة تكلفه للمعاني البعيدة وإلى الجيد في تطلب البديع ؛ فان التكلف ، في رأي الحرجاني^٢ ، « قد يكون سبباً إلى طمس المحاسن » .

التشبيه والاستعارة

ويتبع أغراط أبي تمام في المعاني عموماً ، بُعد تشابهه واستعاراته . ولكن لا يعزّن عن بالك أن الناس يميلون إلى ما أُلِفوا ويصدرون عما لم يَعْرِفوا . وقد صرّح بذلك الأدمي^٣ فقال عن أبي تمام : « ولو ... اقتصر من القول على ما كان تَمْذُرُ آَحْذَوَ الشعراً المحسنين ... لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراً المتأخرین » . وعلى هذا انتقد له « رقيق حواشي الحلم » لأنّه ما علم أحداً من شعراً الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقّة ، وإنما يوصّف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ... »^٤ وانتقد له : من الهيف لو أنّ الخلاخلَ صَرِيتْ لها وُسُحا جالت عليها الخلاخل . فقال « وهذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطق به العرب ... »^٥ : لأن

(١) قال الحرجاني: « ولست أقول هذا غضباً من أبي تمام ، ولا تهيننا لشره ، ولا عصبية عليه لنفيه . فكيف وأنا أدين بتفصيله وتقديره ، وأنتحل موالاته وتعظيمه ، وأراه قبلة أصحاب المعاني وقدوة أهل البديع » (الوساطة ١٨) .

(٢) الوساطة ١٨ .

(٣) الموازنـة ٥٦ .

(٤) الموازنـة ٥٧ ، ثم ٥٧ - ٥٩ ، راجع الوساطة ٧٦ .

(٥) الموازنـة ٥٩ ، الوساطة ٧٦ .

العرب يجعل الملاخل ضيقاً في الأرجل ، وتحب النساء البدنات . وانتقد له « عرض الدهر » ، « والزمان لا عرض له على الحقيقة »^١ . وأخذوا على أبي تمام من استعاراته قوله^٢ :

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قوداً ركوباً ،
وقوله : « يا دهر قوم من اخدعنيك^٣ ... » فالآمدي لا يعترف للشتاء باخدين
« عرق العنق » ، وإنما هما للبشر أو للحيوان على الأقل . ثم إن الأستاذ ضومط
يساير الآمدي إلى حدّ يقول : « إنه (أبي تمام) يصور الشتاء بغيراً
صعباً وقد ركب المدوح فعاصره في سيره فضربه ضربة شديدة في كل من
اخدعه فدل وأطاع : ... ان الاستعارة بالكتابية في البيت بعيدة عن المألوف ،
ويصعب على الذهن تصورها » .

فأنت إذا رأيت الأسس التي ، اتخذها النقاد لنقد شعر أبي تمام ، علمت أنها
صحيحة بالإضافة إلى أنفسهم — أي إلى ما ألفوا وما لم يألفوا — لا بالإضافة إلى
ما يمكن أن يفهم منها بعد إعمال الفكر . ولا ريب عندنا في رجاحة رأي ابن
رشيق : « والفلسفة وجرا الأخبار باب آخر غير الشعر ، فان وقع فيه منها
شيء فقدر . ولا يجب أن يجعل نصب العين ويكونا مُتَكَثِّفاً واستراحة ؛ وإنما
الشعر ما أطرب ، وهز النفوس وهز الطياع ... » ، ثم نقل ابن رشيق رأى
الباحث في مكان آخر فقال : « أجود الشعر ما رأيته متلامح الأجزاء سهل
المخارج ... فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وإذا كان الكلام على هذا
الأسلوب الذي ذكر الباحث لذ سماعه وخف محتمله وقرب فهمه وعدُّ
النطق به^٤ ... »

على أن تكلف أبي تمام قد جعل كثيراً من استعاراته سيئة لنفرتها في النونق

(١) الموازنة ٨٢ .

(٢) ديوان خ ٢٧ ، الوساطة ٦٨ ، راجع ٤٤٦ ؛ سر الفصاحة ١١٧ ؛ راجع أمراء الشعر ١٦٢ .

(٣) الموازنة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ٤٤٦ ، الوساطة ٤٤٦ ، مجلة الكلية آذار ١٩١٤ .

(٤) للعدة ١ ، ٨٣: ١ ، ١٧١ - ١٧٢ .

واستحالتها في العقل كقوله مثلاً^١ :

بasherat أسباب الغنى بمدائحِ ضربت بآبوباب الملوك طبولا .
ومرد هذه السيدة عند أبي تمام ، في رأي الجرجاني ، ان الشعراء كانوا يجرون
في الاستعارة « على نهج منها قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمام
ومال إلى الرُّخصة فأخرجه إلى التعدي ». .

ولكن يجب ألا نقر النقاد على كل شيء أخذوه على أبي تمام ، أو على غيره ،
فقد لا يكون المعنى من السوء بحيث يظلون ولا الاستعارة من بعد بحيث
يحسبون . روى الجرجاني^٢ بيت أبي تمام (ديوان خ ٧٥) :
شاب رأسي ؛ وما رأيت مشيباً إلا رأس إلا من فضل شيب الفواد .
ثم قال : « وهذا مما استقعِب من استعاراته » ، يقصد استعارة الشيب للفواد
(للقلب) . ولعل الجرجاني قد أتى في ذلك من استغراب تفر من جلسة
أحمد بن أبي دواد لهذا البيت . هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح
أحمد بن أبي دواد ، هي^٣ :

سعدت غرابة النوى بسعاد وهي طوع الإيمان والإنجاد .
قيل لما وصل أبو تمام إلى البيت : « شاب رأسي » قال بعضهم :
وكيف يشيب الفواد ، فرد عليهم أبو تمام قيل ، بيت ارتجله :
وكذاك القلوب في كل بؤس ونعم طلائع الأجساد .
قد تكون الاستعارة بعيدة : « أي تشبيه القلب بانسان يشيب رأسه » ،
ولكن المعنى صحيح . يقصد أبو تمام - مما رأينا من البيت الذي ارتجله ردأ على
من اعترضه في ذلك - أن الشيب في الرأس علامه على ضعف الملة الحسدية .
ان الشيب الطبيعي يأتي من التقدم في السن ، والتقدم في السن يجعل الجسم

(١) الوساطة ٣٩ .

(٢) الوساطة ٢٥٠ .

(٣) ديوان خ ٧٨ - ٧٥ .

ضعيفاً . فالشيب الذي يأني أيضاً مع تقدم السن هو عالمة ظاهرة على الضعف المستتر في الجسم . وصرف التبريري البيتين يُسرِّي ; إذ قال في معنى البيت الأول : « أَيْ مَا شَبَتْ لِكَبِيرَ ، إِنَّا لِلْهُمَّوْمُ ». وقال في شرح البيت الثاني « أَيْ كُلَّ مَا يَحْدُثُ بِالْجَسْمِ فَاعْلَمَ أَنَّهُ بَدَأَ بِالْقَلْبِ أَوْلَأَ »^١ .

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ شِعْرَ أَبِي تَمَامَ لَيْسَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي يَقْرُبُ فَهْمَهُ وَيَعْدُبُ النَّطْقُ بِهِ . وَلَكِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي تَطَرَّبُ لَهُ الْعُقُولُ الْمُشَفَّةُ وَالْأَفْكَارُ النَّيِّرَةُ وَأَهْلُ الْإِطْلَاعِ الْوَاسِعِ ؛ وَكُلُّ ذَنْبٍ أَبِي تَمَامَ عِنْدُ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّهُ بَحْثٌ عَنْ أَوْجَهِ لِلشَّبَهِ جَدِيدَةٍ وَاسْتِعْلَامَاتٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَأْلُوفِ أَوْحَى بِهَا إِلَيْهِ اطْلَاعَهُ الْوَاسِعُ وَفَكْرُهُ الْقَوِيُّ وَرُوحُهُ الْوَثَابُ ، فَاسْتَبَعَهَا النَّاسُ وَاسْتَغْرَبُوهَا وَحَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا . وَيَنْصُفُ الْجَرْجَانِيُّ حِينَما يَقُولُ : إِنَّ إِسَاعَةَ الشَّاعِرِ فِي بَيْتٍ أَوْ فِي قَصِيَّةٍ لَا تَسْقُطُهُ مِنَ الشَّعَرَاءِ وَلَا تَنْقُدُهُ فِي شَاعِرِيهِ^٢ . إِلَّا أَنْ نَفَرَّأُ مِنَ النَّقَادِ الْمُحَدِّثِينَ كَانُوا يَفْضُلُونَ الْجَاهِلِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ (الأُمُويَّ) ثُمَّ يُقِرِّرُونَ لِلْطَّبَقَةِ الْأَوَّلِيِّ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَمْثَالَ بَشَارَ وَأَبِي نَوَافَ بْشَيِّءٍ مِنَ الْفَضْلِ ثُمَّ لَا يَرَوْنَ فَضْلًا لِمُتَأْخِرَ قَرْبُ زَمَانِهِ مِنْ زَمَانِهِمْ^٣ . وَكَانُ هُؤُلَاءِ يَتَحَمَّلُونَ عَلَى الشَّاعِرِ الْمُحَدِّثِ وَلَوْ كَانَ مُحْسِنًا . وَرَبِّما سَمِعَ أَحَدُهُمُ الشِّعْرَ غَيْرَ مُنْسَوِّبٍ فَاسْتَحْسَنَهُ وَطَرَبَ لَهُ ، ثُمَّ إِذَا نَسَبَ ذَلِكَ الشِّعْرَ إِلَى قَائِلِهِ ، وَكَانَ قَائِلُهُ مُحَمَّدًا ثَانًا ، ذَمَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْ رَأْيِهِ الْأَوَّلِ^٤ . وَعَلَى هَذَا كَانَ بَعْضُ النَّقَادِ يَنْفَضُونَ يَدِهِمْ مِنْ أَبِي تَمَامَ مَرَةً وَاحِدَةً^٥ .

كثرة اختراعه

قال ابن رشيق^٦ : « وَأَكْثَرُ الْمُولَدِينَ مَعْنَىً وَتَوْلِيَّاً ، فِيمَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ ،

(١) ديوان ، شرح التبريري ١: ٣٦٠ .

(٢) راجع الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) راجع الوساطة ٤٨ ، ٤٣٣ .

(٤) راجع الوساطة ٤٨ ، ٥٠٠ ، ٤٣٣٧٨ .

(٥) الوساطة ٤٨ .

(٦) العدة ص ١٨٩ .

أبو تمام » ؛ ولكنه شخصياً يميل إلى إعطاء هذا المركز لابن الرومي^١ ، مع أنه كان قد شرّكهما فيه قبل بضع عشرةَ صفحةً^٢ حيث قال : « وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً ، فيما يقول الخذاق ، أبو تمام وابن الرومي .. »

والآخراع عند ابن رشيق خلق المعاني التي لم يُسبق إليها ، والإيتان بما لم يكن منها قط . وأما ابن الأثير فأشد تحفظاً في أحکامه ؛ جاء في كتابه^٣ « قد قيل إن إبا تمام أكثر الشعراء المتأخرین اختراعاً للمعاني ، وقد عدّت معانیه المبتعدة»، فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . وأهل هذه الصناعة يُنكرون ذلك ؟ وما هذا من أبي تمام بكثير !^٤ » .

وإلى هذا أيضاً ذهب أبو الفرج الأصفهاني^٥ فقال عنه « شاعر مطبوع ، لطيف الفضة ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ». إلا أن النقاد لا يتفقون على أنه مطبوع .

اعتداده بشعره

نظر أبو تمام إلى نفسه فرأى قوة فكره ورأيه فقال^٦ :

فاسمع مقالة زائر ، لم تتشبهْ آراوه عند اشتباه اليد .
— ليت شعري ماذا يَرِيك مني ، ولقد فُقت فِطنة الفيلسوف .
وأنت كيـفـما قلـبـتـ في ديوانـهـ وـجـدـتـ فـكـرـاـ لـاـ يـكـلـ علىـ المـدىـ بلـ يـزـدـادـ دـائـماـ قـوـةـ وـنـضـجاـ ، وـكـأـنـكـ منـ معـانـيـ أـمـامـ سـيـلـ لـاـ يـنـقـطـعـ . وـيـكـفـيهـ فـخـرـاـ أـنـهـ جـرـحـ صـحـةـ تـلـكـ الـفـكـرـةـ التـائـلـةـ : « ما تـرـكـ الـأـوـالـ شـيـئـاـ لـلـأـوـاـخـرـ » ثم

(١) ص ١٩٠: ١ .

(٢) ص ١٧٧ .

(٣) المثل الثاني: ١٩٣: ١ .

(٤) لا شك في أنه يقصد المختبرة . انظر العدة ١: ١٧٠ .

(٥) راجع الباحث في الكلام على الفنون والأغراض : الحكمة والزهد .

(٦) الأغاني ٩٦: ١٥ .

(٧) ديوان خ ص ٨٤ ، ٤٠٤ .

دلّ على أن قول عنترة «هل غادر الشعرا من متدم؟ لا يعني أن الأقدمين أتوا على جميع المعاني؛ وعلى أن بيت زهير^١ :

ما ترانا نقول إلا مُعَاراً أو مُعَاداً من قولنا مَكْرُوراً

اما منحول او انه حكم شخصي خاص . أما أبو تمام فيقول عن قصائده
(ديوان خ ١٤٣) :

يقول من تَقْرَعُ أسماعه : كم ترك الأول لِلآخر !
وظفر ابن رشيق^٢ بهذا البيت فقال : « وعلى هذا القياس يحمل بيت أبي
تمام – وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع – : « يقول من تَقْرَعُ أسماعه ..»
فتفقد قوله : ما ترك الأول لِلآخر شيئاً .

وقال أبو تمام في مكان آخر فزاد بياناً وكشفاً !

فلو كان يَفْسُى الشِّعْرُ أَفْنَاهُ ما قَرَّتْ حِيَاضُكَ ، منه ، في العصور النواهِبِ
ولكنه صَوْبُ العقول ؛ إذا انجلت سحائبُ منه أَعْقَبَتْ بسحائبَ^٣ .
ويوُكَد لَنَا أبو تمام ذلك بقوله عن قصائده (ديوان خ ٨١) :
مُنْزَهَةُ عن السرَّاقِ الْمُوَرَّى ؟ مُكَرَّمَةٌ عن المعنى المُعَادِ .

(١) هذا البيت من قصيدة منسوبة لكمب بن زهير (ديوانه ، صنفه أبي العباس الحدين بمحلى بن زيد الشيباني ثعلب . ٨٣ ، Bibl. D.M.G. fol. 125a, Cod. Soc. 83) وليس في ديوان زهير (المجموع نفسه) . وليس هذا البيت في ديوان زهير (الظاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ = ١٩٤٤ م. وفي « شرح ديوان كمب بن زهير » من صنمة السكري (القاهرة ، دار الكتب ١٩٥٩ = ١٣٦٩ م ، ص ١٥٤) : ما أرانا نقول إلا رجيمًا الخ .

(٢) العمدة ١: ٥٧ .

(٣) ديوان خ ٤٣ ، ديوان ، الاسود ، ١٢٤ . لو كان الشعر مقداراً محدوداً يتنهى منه زمن طويل لكثرة ما أعلنت الشعرا على مدخله . ولكن صوب المقول (انسكاب من المقول كأنسكاب المطر من النافذ) كلها تللاشت غمامه (يتحولها مطرأ يسقط على الأرض) تمهما غمامه أخرى (راجع أيضاً المختارات) .

(٤) الأغاني ١٥: ٩٧ .

ومعاني أبي تمام على كثراً منها جيدة؛ وحسبك أن يقول **عمارة بن عقيل** وقد سمع له أبياتاً من قصيده: عدت تستجير الدمع خوف نوى غد: «لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، حتى لقد حجب إلى الاغتراب!»؛ يقصد بذلك قول شاعرنا (ديوان خ ١٠٠ - ١٠١) :

وطول مُقام المرأة في الحبِّ مُخلق لدبياجتَيهِ؛ فاغرب بِتَجددِ.
فاني رأيتُ الشمس زَيَّدَتْ محبةً، إلى الناس، وأنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ.

مطالعه وتخالصه وخواتيمه

في النقاد نفر يرون أن تكون مطالع القصائد بارعة جداً لأن المطالع أول ما يقرع الأذن من القصيدة، ويسمون ذلك براعة الاستهلال وحسن الابتداء. ويرى هؤلاء أن المطلع إذا كان حلواً الألفاظ واضحة المعنى متين التركيب ترك في نفس السامع أو القارئ أثراً باقياً قد لا يمحى ولو جاء في القصيدة عدد من الأبيات الرديئة. ومطالع أبي تمام بارعة في الأكثر، وخاصة في الحوادث الكبار، فمن مطالعه الجيدة:

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجيد واللعب .
- من سجايا الطلول ألا تُجيئها فصوابٌ من مقلتي أن تصوبرا .
- الحق أبلج ، والسيوف عوارٍ، فحذاري من أسد العرين حذار !
- كذلك يجل الخطب ولِيَمْدَحَ الأمرُ، فليس لعينٍ لم يفضِ ماوها عنده .
ولكن له أيضاً مطالع لم تستحسن لما فيها من التعقيد أو لنفترتها في النسق أو لغموض معناها . من هذه مثلاً (ديوان خ ٣٢١) :
ـ خشنت عليه ، أخت بني خشين ؛ وأنجح فيك قول العاذلين^١ .

(١) الأصل في خشن كسر الشين ، ولكن الرواية في الديوان بضمها . وبنو خشين قبيلة من اليمن (راجع شرح التبريزي ٢٩٧:٣) . - يقول : قسوت عليه ، أيتها الفتاة ، وقد صدقتك فيه قول العذال (الذئبين ، الاعداء) .

ومن خصائص الشاعر المجيد «حسن التخلص» : أي الانتقال في المصيدة من غرض إلى غرض (من الوقوف على الأطلال إلى الغزل فالي مدح فالحكم مثلاً) انتقالاً طبيعياً معقولاً سريعاً، لأن يتعثر الشاعر في انتقاله هذا فإذا به يقف في غرض وكأنه انتهى من مقصده ثم يبدأ فجأةً بالغرض التالي . وإذا كان التخلص من غرض إلى غرض في بيت واحد كان ذلك أحسن . وما يُحمد لأبي تمام من التخلص قوله في بيته يمدح بهما عبد الله بن طاهر ، وقد استغرب رفاته بعده سفره :

يقول في قوامِ صحيبي ، وقد أخذت منا السُّرى وخطى المَهْرِيَّةَ القُودٍ^١ :
 أمَطْلَعَ الشَّمْسَ تَبْغِي أَمْ تَوْمَ بَنَا؟ فقلت : كلا ، ولكنَّ مَطْلَعَ الْجَوَادِ^٢
 ويرى البرجاني^٣ أنَّ أباً تمام قد ذهب في التخلص كل مذهب واهتم به كل اهتمام . غير أنَّ حسن التخلص في ديوان أبي تمام قليل جداً ، ذلك لأنَّ أباً تمام شاعر مصنوع مقتدر ، لا شاعر مطبوع يجري على السجية . تأمل قوله مثلاً
 يمدح أباً سعيد محمد بن يوسف التغري (خ ١٠٨) :

تريلدين الزيدَ ، وليس عندي وراءَ محلَّ حبك من مزيد .
 أما ، وأبي الرجاء ، لقد ركبنا مطاباً الدهر من بيض وسود .
 فلائصُ شوقهن يزيد شوقاً وَيَمْنَعُنَ الرُّقَادَ من الرقود .
 إذا انبعثت على أملٍ بعيدٍ ، فقد أدنَتْ من الأمل البعيد .
 أَبَيْنَ فما يَزُرُنَ سُوئِ كريمٍ ؛ وحسبك أنَّ يَزُرُنَ أباً سعيد !
 فأبو تمام ينتهي من الغزل والنسيب فجأةً ثم يبدأ وصف الراحلة . غير أنه يختصر الانتقال من وصف الراحلة إلى المدح .

(١) خ ١٣٦ . - أخذت منا (نهكتنا، انتبهنا). السرى (السفر ليلاً) وخطى (خطوات ، سير ، سفر) المهرية (الياقات من المهرة في جنوب شبه جزيرة العرب) القود (جميع أنواد وقوداء : الأبل الذلولة المعوددة على السفر) .

(٢) أمطلع الشمن تبني ؟ : لماذا هذا الامان والإينال في السفر ...
 (٣) الوساطة ٤٧ .

وأبو تمام يُحسن اختتامَ القصائدِ كما يحسن مطالعها . وخطواتِيْم قصائدِ أبي تمام واضحةُ المعنى بِيَسَنَ القصدِ موجزةُ القولِ ترسخُ في الذهنِ بأدني تأمل . من ذلك قوله^١ :

كتبتُ ، ولو قَدِرْتُ – هوَ شوقاً إِلَيْكَ – لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْجَوَابِ !
وَخَمْ أَبُو تَمَامْ قَصْبِيَّةً مَدْحُوبَةً أَبَا دُلْفِيْعِجْلِيَّ بِيَسَنَ هَمَّا^٢ :
أَقُولُ لِأَصْحَابِيْ : هُوَ الْقَاسِمُ الَّذِي بِهِ شَرَحَ الْجَوَودَ التَّبَاسَ الْمَذَاهِبَ .
وَلَنِي لَأَرْجُو عَاجِلًاَ اَنْ تَرْدَئَ مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِيَّ .

مصادر معانيه

اذا تركنا المصدر الشخصي لهذه المعاني ، وما تعلمته ابو تمام ورواه فاستثنى منه ، ككثيرين من الشعراء ، رأيناه يأخذ المعاني أيضاً من أفواه الذين لا يقصدون ان يخرجوا ادبآ لأنفسهم .

جاء في الاغاني^٣ : « مِنْ أَبُو تَمَامْ بِمَخْتَثٍ يَقُولُ لَآخِرَ : جَئْتُكَ امْسٍ فَاحْتَجَبَتْ عَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ : السَّمَاءُ إِذَا احْتَجَبَتْ بِالْغَيْمِ رُجِيَّ خَيْرَهَا » ... قال من روی عنه الاصفهاني « فَتَبَيَّنَتْ فِي وِجْهِ أَبِي تَمَامٍ أَنَّهُ قد أَخَذَ الْمَعْنَى لِيَضْمُنَهُ فِي شِعْرِهِ ، فَمَا لَبَثْنَا إِيَامًا حَتَّى أَنْشَدَتْ قَوْلَهُ :

لِيَسْ الْحِجَابُ بِمَقْصِيْعِكَ لِيْ أَمْلَا ؛ اَنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجُبُ .
وَبِجَانِبِ هَذَا النَّوْعِ نَوْعٌ آخَرُ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَسْمِيَتِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ سُرْقَةٌ ، وَقَالَ آخَرُونَ أَنَّهُ ابْتِدَاعٌ .

يعتقد الامدي^٤ أنَّ أبا تمام شُغِفَ بالشعر و مطالعته « وَانَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ كَبِيرٍ

(١) ديوان ٥٧ ؛ اعيان الشيعة ١٩: ٢٣٢ .

(٢) ديوان ٤٣ ؛ اعيان الشيعة ١٩: ٢٢٢ ؛ راجع المختارات

(٣) الاغاني ١٥: ١٠٣ .

(٤) الموازنـة ص ٢٣ .

من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه». لذلك تتمكن من سرقة معانٍ كثيرة خففيّاً أكثرها لقلة اطلاع الناس على ما اطلع عليه ابو تمام». ويأتي هذا القول اثنان وثلاثون صفحة يردّ الآمدي فيها ابياناً لأبي تمام الى المصادر التي سرقت منها ، ويأخذه بها اخذآً شديداً ؛ مع ان الآمدي نفسه يقول حينما يعرض لسرقات البحري^۱ : « انه غير منكر ان يكون (البحري) اخذ منه (من ابي تمام) الاكثرة ما كان بيرد على سمع البحري من شعر ابي تمام فيتعلق معناه قاصداً الأخذ او غير قاصداً ... » و (ان هناك) ما يشترك فيه الناس ، وتجري طباع الشعراء عليه ؛ ... ثم اضاف الى ذلك قوله^۲ : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرین ، اذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر^۳ ... »

ليس من المستغرب ان يكون ابو تمام قد أخذ عادداً من معانيه من غيره ، ولكن المستغرب أن يتبع التقاد المتعاملون عليه الناظر ثم يزعمون أن كل بيت شاكلت لفظة^۴ من لفظاته لفظة^۵ في بيت شاعر آخر بيت مسروق^۶ .

لكن هذا كله لا يعني أن أبو تمام لم يُلِمْ^۷ بمعاني الشعراء . لقد ألم أبو تمام بمعنى النابغة المذيباني في تحليق الطيور فوق الجيش الذاهب إلى الحرب : «إذا ماَغَزَوا بِالجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَابَ طَيْرٍ »^۸ فقال^۹ :

وقد ضللت عقبان^{۱۰} أعلامه صحي^{۱۱} بعيقban طير^{۱۲} في الدماء نواهيل^{۱۳} .

أقامت مع الرایات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تُقْتَل^{۱۴} .

(۱) الموازنة ص ۲۲ .

(۲) الموازنة ص ۱۲۴ .

(۳) راجع في السرقات الشعرية الوساطة للجرجياني ۱۷۸-۲۰۹ .

(۴) راجع الوساطة ۲۰۲ وما بعدها ، وخصوصاً ۲۰۵ وما بعدها ، ۲۱۶-۲۷۰-۲۹۷، ۲۷۱-۲۷۰ .

(۵) ديوان النابغة (بيروت ۱۹۲۹-۱۹۴۷م) ص ۱۰ ؛ ديوان مسلم بن الوليد ۳۰۸-۳۰۹ .

(۶) ديوان خ ۲۴۸ ؛ راجح تفصيل ذلك في أخبار أبي تمام ۱۶۲-۱۶۶ .

(۷) المتناب (بالضم) : طائر من الجوارح . والمقاب : الرایة ، وجميئها عقبان (بالكسر) .

وكان أبو تمام شديد الإعجاب بصرير الغواني مسلم بن الوليد وبأبي نواس ، وقد أقسم مرة ألا يصلي حتى يحفظ شعرهما^١ . ثم ان أبو تمام كان يتبع مذهب مسلم بن الوليد في البديع^٢ فليس بعجب أن يكون قد ألم بمعان كثيرة له^٣ . وكذاك ألم أبو تمام بمعان لأوس بن حجر الجاهلي^٤ ولمسلم بن الوليد العباسي^٥ ولأستاذه ديك الجن^٦ ولغيرهم أيضاً .

لا يتسع المقام هنا لذكر عناصر السرقة في الشعر كما فعلها ابن رشيق عن المصادر التي استثنى منها^٧ : فالنقول متشعب والحكم نسي ذائي . غير أن ما لا يغتسل أن يأخذ الشاعر قول شاعر آخر بظله المخصوص ، ثم يسوقه في ألفاظ مختلفة أو مختلفة . أما إذا راقه معنى ورأى أن بعض نواحيه قد خفيت على صاحبه فجلا تلك المعاني فهو كأنه قد اخترع ذلك المعنى أو أبدعه . وأحسن مثال على ذلك ما رواه الأصفهاني^٨ فقال :

« حدثني هارون بن عبد الله المهابي قال : كنا في حلقة دعبل ، فجرى ذكر أبي تمام ؛ فقال : دِعْبِلَ كَانَ (أبو تمام) يَتَّسِعُ مَعَانِيَ فِي أَخْذَدِهَا . فقال له رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك ، أعزك الله ؟ قال : قولي :

وَإِنَّ امْرَءاً أَسْدِي إِلَيْهِ بِشَافِعٍ
يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ .

(١) ديوان مسلم . ٢٤٧ .

(٢) ديوان مسلم ، ٢٢٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) ديوان مسلم ٢٩٩-٢٩٨، ٢٩١، ٢٨٨، ٦٠، ٤٥؛ ٢٦-٢١، ٢٩٨، ٢٩١، ٢٨٨، ٦٠، ٤٥؛ راجع أخبار أبي تمام عام ٧٨ .

(٤) أخبار أبي تمام ٥٣ - ٥٤ .

(٥) ديوان مسلم ٢٨٧ عن كتاب المحب والمحبوب والمسموم والمشروب للمرى الرفاه ؛ أخبار أبي تمام ١٧٢ .

(٦) المدة ١ : ٦٤ .

(٧) المدة ٢ : ٢١٥ - ٢٢٦ .

(٨) الأغاني ١٥ : ٩٧ - ٩٦ . أخبار أبي تمام ٦٣ - ٦٥ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال ^١ :
 فلقيتُ بين يديك حلوَ عطائِه ، ولقيتَ بين يديَّ مِرْ سُؤَالِه .
 وإذا امْرُوْ أَسْدِي إِلَيْك صنِيعَةً من جاهِه ، فكأنَّهَا مِنْ مَالِه !
 ... فقال : والله لئُنْ كَانَ أَخْذَه مِنْكَ لَقَدْ أَجَادَ فَصَارَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ ؛ وإنْ
 كُنْتَ أَخْذَتَه مِنْهِ فَمَا بَلَغْتَ مِبْلَغَه ... »
 وقد اتفق أيضًا أن اختار أبو تمام في حماسته بيتين في الأدب لأحد
 الشعراء ^٢ نراهما في إحدى مخطوطاته ، ومطلعها (ديوان خ ٤٨٥)
 إذا جاريَتِ فِي خُلُقِ دُنْيَا فَأَنْتَ وَمَنْ تجاريَه سَوَاء .
 قيلَ قَالَ مَعْرِضًا فِيهَا بَعْضُ بَنِي حُمَيْدٍ لَأَنَّهُ لَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يَهْجُوَهُ لِمَا لَآلَ
 حُمَيْدٍ مِنَ الْحُبِّ فِي قَلْبِهِ وَالْوَفَاءِ مِنْ نَفْسِهِ ؛ وَلَا رِيبٌ فِي أَنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ السُّرْقَةِ
 صَحِيحٌ ؛ وَلَوْظَفَ الرَّآمِدِيَّ بِهِذِينَ الْبَيْتَيْنِ لِأَلْفَيْنِ فِي مَثَابَ أَبِي تَمَامَ كِتَابًا جَدِيدًا .
 وَلَقَدْ فَطَنَ التَّبرِيزِيُّ شَارِحَ دِيَوَانِ الْحَمَاسَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ أَبَا تَمَامَ
 اشْتَقَ مَعْانِيَ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ اخْتَارَ لَهُمْ فِي « الْحَمَاسَةِ » ، فَنَدِيَ أَخْذَ
 مَعْنَى مِنَ الْحَارِثِ بْنِ هَمَامَ الشَّيْبَانِيَّ ^٣

وَحَمَلَ دَعْبِلَ عَلَى أَبِي تَمَامَ مَتَهِمًا إِيَّاهُ بِسُرْقَةِ أَجْمَلِ مَرَاثِيهِ « كَذَا فَلِيَجِلَّ » .
 مِنْ مَرَاثِيَّةِ لَأَبِي مُكْنِيفِ الْمُزَّنِيِّ ، مِنْ وَلَدِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى ، فِي ذَفَافَةِ بْنِ
 عَبْدِالعزِيزِ الْعَبَسيِّ ^٤ ، هِيَ ^٥ :
 أَبْعَدَ أَبِي العَبَاسِ يُسْتَعْبُ الدَّهْرُ ؛ وَمَا بَعْدَهُ لَدَهْرٌ عُتْبِيٌّ وَلَا عَذْرٌ ؟
 أَلَا أَيْهَا النَّاعِيَ ذُفَافَةَ ذَا النَّدَى ، تَعْسِتَ وُشْلَتَ مِنْ أَنَامِلَكَ الْعَشْرِ !

(١) ديوان خ ٢٤٠ ؛ شرح التبريزي ٢ : ٦٠ .

(٢) ٢٠ : ٢ .

(٣) شرح ديوان الحماسة

(٤) الوساطة ١٨٨ - ١٨٧ .

نجوم ، ولا كذّلت لشاربها الخمر .
نجوم سماء خرّ من بينها البدر .
فأصبح في شغل عن السفر السفر .
ويبيكي عليه البأس والمجد والشعر .
وذرّخراً لمن أمسى وليس له ذخر .

ولا مطرّت أرض اسماءً ، ولا حرّت
كأن بني القعاع ، بعد وفاته ،
توّقّيَتِ الامالُ بعد ذُفافته
يُعزّونَ عن ثاوٍ **تُعزّى** به العلي ؛
وما كان إلا مالاً من قلّ ماله ،

ثم نظم مرثيته في أبناء حميد الطوسي فقال :
كذا **فلِيَجِلَّ** الخطب ، وليفدح الأمر ،

فليس لعين لم يفيضْ ماوها عذرْ .

بعد ذلك أثبت البيت الرابع بعد وضع كلمة : نبهان مكان القعاع ؛ وغير
ذفافة في البيت الخامس فجعلها محمداً ؛ ثم أثبت البيتين : السادس والسابع
من غير تغيير .

على أن دعبل بن علي **الخزاعي** هو الذي لفّق هذه الرواية ، وتحلّ أبا
مكنت هذا الأبيات التي زعم أبا تمام سرقها . ولا ريب في أن أدني معرفة
بالشعر والبلاغة تحيل الالتحام بين الأبيات الثلاثة الأولى وبين الأربعه الأخيرة .
فالثلاثة الأبيات الأولى أشبه شيء بشعر عنتر المنحول في القصص ، بينما
الأربعة التالية تنطق بشاعرية فياضة وعبرية لا شك فيها .

ولم يغب شيء من هذا على النقاد المعاصرين لأبي تمام ولا على رواة الأدب ،
فقد قال علي بن الجهم الشاعر أن دعبلًا كان يكذب على أبي تمام ويضع عليه
الأخبار . وقد ذكر الصولي ^١ ذلك فقال : « وقد رأيت ، أعزك الله ، بعض
هولاء الجهلة يصحف على أبي تمام ثم يعيّب ما لم يقله قط ». ويبدو أن لذفافته
المزني هذا مرثية من بحر مرثية أبي تمام في محمد بن حميد وعلى روتها ، ولكن
لا صلة لمرثية أبي تمام بها . ثم ان الأبيات التي زعم دعبل أن أبا تمام أخذها من

(١) أخبار أبي تمام ص ٦١ .

مرثية أبي مكفت تم حوار فيها حتى توافق غرضه — وهذا مدار التهمة
— غير موجودة في شعر أبي مكفت أصلًا^١.

والواقع أن نفراً من الناثرين والشعراء كانوا يأخذون من معاني أبي تمام
إعجاباً بها . حتى أن إبراهيم الصولي^٢ الذي ما اتكل يوماً على غير ما يجيش في
صدره لم يملأ إلا أن يقتبسَ من أبي تمامَ معانِيَ وردت في أبياته التالية^٣ :

إذا مارق^٤ بالغدر حاول غدرة ، فذاك حرريَّ أن تئم حلائله^٥ .
فان باشر الأصحار فالبيض^٦ والقنا
قراء، وأحواض المنيا مناهله^٧ .
وانَّ يَسْنُ حيطاناً عليه فانما
أولئك عَقالاتَه لاماقة^٨ .
وإلاَّ فأعلمْه بأنك ساخط ودعه، فان الخوف لا شك قاتله^٩ .
فقال مقتبساً : « وصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ هبة الأيام ١٤٨ - ١٤٩ ؛ أعيان الشيعة ٤٢٣-٤١٩: ١٩

(٢) ابن خلكان ٢٦: ١ المطيبة الوطنية ١٦-١٥: ١ ؛ والصolu هذا هو ابراهيم بن العباس ابن محمد بن صول ، توفي ٥٤٣ نصف شعبان (ابن خلكان ١ ٢٨: ١)

(٣) أخبار أبي تمام ١٠٢-١٠٣ . الأغاني ٩٨، ٩٧: ١٥ ، الديوان ٢٣٢-٢٣١

(٤) اذا مارق (خارج من الدين ، مرتد ، لأنه ثار على الخليفة) بالغدر حاول غدرة (نكث بالعهد وخالع البيعة للخليفة من عنقه بالثورة) ، فذاك حرريَّ ان (خلقيل به أن ، يجب ان) تئم حلائله (ان تفقد نساؤه ، أن يقتل فتصبح حلائله أيامي) .

(٥) باشر : ولِي الامر بنفسه . الاصحار : الخروج من المكان المستقوف الى المكان المكشوف او من المدينة الى الفضاء المحيط بها . البيض والقنا : السيوف والرماح . قراء : ضوافته ، طعامه . المتأهل جمع منهل : مكان الماء الذي يستقي منه الناس ويشربون . — اذا جسر ان يخرج بنفسه (يلقى المسلمين في معركة مكشوفة ، فإنه سلافي حتفه) سيموت : سيأكل من السيوف والرماح وسيشرب أحواض الموت .

(٦) وان بين حيطاناً عليهم (اسواراً للامتناع وراءها من هجوم الجيوش الاسلامية ، فانما أولئك (تلك الحيطان) عقالاته (جدران ، سجن حوله) . والمقالات (بضم العين وتشديد القاف) جمع عقال : داء في رجل الدابة اذا مشت ظلمت ساعة ثم انبسطت) (القاموس ١٨: ٤ ؛ الديوان بشرح التبريزي ٢٨: ٢) . والأليق ان يكون المعنى : ان تلك الحيطان تمسكه وتمعن حركته ، العقال جمع مقل : الحصن .

يعتقلاهم فأنزلوه من **ـ مَعْقِلٍ إِلَى عِقَالٍ** ». أما الشعراء الذين أخذوا من معاني أبي تمام فكثيرون منهم البحتري والمتني وسواهما^١ وقد أُعجِب أيضاً بهذه المعاني الشعراء حتى الأعداء منهم قد عجل^٢. وأعجب من هذا كله وأغرب أن أبي تمام ظل قوي الفكر طول حياته ؛ فإنه « اخترم (مات) وما استمتع بخاطره ، ولا نُزح ركي^٣ (بُر) فكره حتى انقطع رشأ عمره^٤ (جبل عمره) ».

العروبة والاسلام في شعر أبي تمام

ولد أبو تمام رومياً نصراانياً ، ثم دخل في الإسلام قبل أن يبلغ من العمر سنّاً تستحكم فيها العقيدة في النفوس فهماً أو تقليداً . والصابيون من عقيدة إلى عقيدة ، والنازعون عن مبدأ إلى مبدأ ، والمنقلبون من سياسة إلى سياسة ، تعظم عصبيتهم للحال الجديدة التي صاروا إليها وتزيد تفرقهم من الحال التي كانوا عليها . ثم هم يحرّضون على أن يقنعوا جماعتهم الجديدة بأنّهم قد اختاروا المذهب الجديد إيماناً واقتناعاً وروية . من أجل ذلك نرى لهم تلك الحمية المحاهلة ، وإن كانت حمية صادقة في كثير من الأحيان . إنهم يريدون أن يشهدوا قومهم الجدد على أنّهم قد قطعوا ما بينهم وبين ماضيهم مرة واحدة . وأبو تمام مثل بارع على هذه القاعدة .

ولقد سبق لنفر من الشعراء ، منذ صدر الدعوة الإسلامية ، أن نثروا في شعرهم أقوالاً تدل على تعاقبهم بالإسلام وشادوا بالعروبة أو العروبية من حيث اتصالها بالإسلام نفسه^٥ . ولكنني لا أعرف شاعراً قبل أبي تمام جعل ذلك وُكده في ديوانه ثم أخرجه تلك المخارج المتعددة المنازع والصور . وأنا لن أشغل نفسي

(١) راجع الوساطة ٢٠١ وما يهدأها .

(٢) الأغاني ١٥: ١٠٣ من .

(٣) الأغاني ١٥: ٩٨ .

Das Bild des Fruehislam ... 128-134. (٤)

هنا باستقصاء أبياته التي أشار فيها إلى آيات القرآن الكريم وإلى الأحاديث الشريفة إشارة أو اقتباساً أو تضميناً^١ ، فإن هذه كثيرة في ديوانه كثرةً تعبا على الحصر . وكذلك لن أتبع في شعره تفاصيل العبادات ولا فنون علمه بالأديان ، فما ذلك كله من قصدي هنا . ولكنني سأبسط رأي أبي تمام من الناحية السياسية القومية .

من الصعب أن نفرق في ديوان أبي تمام ، وفي دواوين غيره من الشعراء إلى عهد قريب ، بين العرب والمسلمين ، أو بين مدرك العروبة ومدرك الإسلام . مدح أبو تمام حفص بن عمر الأزدي فقال (ديوان خ ١٣١) :

فَأَنْتَ— وَقَدْ جَعَلْتُ خَرَاسَانَ دَاعِهَا
وَقَدْ تَغْلَبْتَ أَطْرَافَهَا نَعْلَ الْجَلْدِ^٢ ،
لَكِيمَا يَكُونُ الْخَرْمَنْ خَوْلَ الْعَبْدِ^٣ ،
وَرَامَوْ دَمَ الْإِسْلَامَ لَا مِنْ جَهَالَةِ
ضَمَّنَتْ إِلَى قَحْطَانَ عَدْنَانَ كَلْهَا ،
وَلَا أَمَاتَ أَنْجَمُ الْعَرَبِ الدُّجَى^٤ سَرَّتْ وَهِيَ أَبْيَاعَ لِكُوكَبِ السَّعْدِ !

وليس من المستغرب أن نرى أبو تمام يجعل العجم في الإسلام مثل العرب ، فإن العصور الوسطى لم تعرف جاماً سوى الدين . وهكذا قال أبو تمام يمدح

(١) الاستشهاد بآية من القرآن الكريم استشهاداً تاماً أو استشهاداً جزئياً .

(٢) أنت مبتداً خبره ضمت في البيت الرابع الذي يلي (راجع شرح التبريزى ٢ : ١٢١) . في ديوان خ ١٣١ : فأبْتَ (رجعت). بْحَتْ خَرَاسَانَ دَاعِهَا : لفظته ، ظهر داؤها (عمت الفتنة فيها) . نَعْلَ أَطْرَافَهَا : فَسَدَتْ (بالعصبية أي بالقتال بين قيس واليمين) . نَعْلَ الْجَلْدِ : فَسَدَ وَانْتَنْ (بسوء الدين أو بإهمال الدباغ) .

(٣) الاوباش (جمع وبش بفتح فتح) : الاخلاط من الناس والسفلة . خَزْر جمع أَخْزَرْ : من ينظر من طرف العين (من المكر أو العداوة) . الْخَوْل (بلفظ واحد للمفرد والمعنى والجمع والمذكر والمذكر) : العبيد والخدم .

(٤) أَمَاتَ أَنْجَمُ الْعَرَبِ الدُّجَى : تغلب العرب على خصومهم في الفتنة .

إسحق بن إبراهيم المصعي ويدرك شجاعته وهمته (ديوان ع ٣٠٣) :
 أطعْتَ رَبَّكَ فِيهِمْ ، وَالخَلِيفَةَ قَدْ أَرْضَيْتَهُ ، وَشَفَيتَ الْعَرَبَ وَالعَجَماً .
 وكل صلة عند أبي تمام تقطع سوى صلة المسلمين برسول الله^١ :

نرمي بأشباحنا إلى مملكتِ
 نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ :
 نَجْمُ نَبِيِّ صَالِحٍ ، وَهُمْ أَنْجَمُ الْ
 عَالَمِ مِنْ عَجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهِ ؛
 رَهْطُ النَّبِيِّ الَّذِي تُقْطَعُ أَسْ
 بَابُ الْبَرَائَا سَوْيَ سَبِّبِهِ .
 مَهْذَبٌ قُدِّتِ النَّبُوَةُ وَالْإِسْ
 لَامَ قَدَّ الشِّرَاكَ مِنْ نَسْبِهِ .^٢

من أجل ذلك كله كانت القدوة^٣ العظمى برسول الله وحده^٤ وكان فضلَ
 المسلم : خليفة أو أميراً أو قائداً أو فرداً من عامة الناس ، أن يكون في نصرة
 الإسلام^٥ ، والمحامي عن الإسلام^٦ ، وفارس الإسلام^٧ ، وأن يوطد أعلام
 المدى ويُقْرَر عود الدين^٨ . فإذا استغاث الإسلام وجَب على المسلمين أن ينجدوه^٩
 بما عرف عنهم من الشجاعة^{١٠} ، لأن الإسلام لا يعز إلا بمقارعة أعدائه إذا هم
 به أعداؤه^{١١} . والأسلام سيشكِّر ما يوليه إيهأهه من نجدة وظفر^{١٢} . ولا يفرق
 أبو تمام في ذلك الشكر لأهل تلك النجدة بين الإسلام والدولة والعرب ، قال
 أبو تمام ي مدح أبا سعيد محمد بن يوسف التغري ويصف شيئاً من بطولته في هزم
 بابك الحرمي ثم يختار في الإعراب عن الشكر له :

تَالَّهُ أَدْرِي ، الْأَسْلَامُ يَشْكُرُهَا ، مِنْ وَقْعَةٍ ، أَمْ بْنُ الْعَبَّاسِ أَمْ أَدَدُ^{١٣} ؟

(١) في الحديث المرفوع : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة إلا سببي ونبي » (شرح التبريزى ١: ٢٧٦) .

(٢) قدت النبوة والاسلام قد الشراك من نسبه : النبوة والاسلام ونسبة من معدن (أصل) واحد .
 الشراك زيق من الجلد ينخد من قطعة كبيرة من الجلد فيها لذلك مثيلان في النوع .

(١٠-٢) ديوان خ ١٠٩، ٢٠ (١٣٨، ٣٠٢، ٢٢٨، ٢٦١، ٢١٨، ٢٦١) مل التواي .

(١١) ديوان خ ٩٩ . - والله (لا) أدرى ، من أحق بشكرك على هذه المركبة : الاسلام ام بنو
 العباس (اي الدولة) ام ادد (قبيلتك) لأن ظفرك فيها كان قائداً للدين وللدولة ولقومك .

بأسرها ، واكتسى فخرًا به الأبد^١ .
 يَذْكُرْهُ بَدْرٌ وَلَمْ يُفْضِّلْ بَهُ أَحَدُ^٢ .
 إِنْ لَمْ تَتَبَّعْ ، أَنَّهُ لِلسَّيْفِ مَا تَلَدَّ^٣ .
 وَكَانَ الْإِسْلَامُ لَا يَزَالُ مَهْدِدًا مِنَ الْمَشْرِقِ وَمِنَ الْمَغْرِبِ : كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ
 الْأَعْجَمِ يَهْدِدُونَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرْقِ ، وَكَانَ الْرُّومُ الْيُونَانِيُّونَ
 يَهْدِدُونَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْغَربِ^٤ . وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِسْلَامُ أَنْ يَعِيشَ ، فِي
 ذَلِكَ الْحَيْنِ ، فِي سَلَامٍ مَعَ أَهْلِ الشَّرْكِ فَاضْطُرَّ اضْطُرَارًا إِلَى حِرْبِهِمْ . قَالَ أَبُو
 تَمَامُ فِي مَدِيْحَةِ أَبِي سَعِيدِ الشَّعْرَى لِمَنْاسِبَةِ قَتَالِهِ لِبَابِكَ أَيْضًا^٥ :

لَا أَبُوا حُجَّاجَ الْقُرْآنَ وَاضْحَىَةَ كَانَتْ سِيَوفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حَجَّاجًا .
 وَلَقَدْ انتَصَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ^٦ وَعَلَى الْرُّومِ (خ ١٥١) . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَبُو
 تَمَامُ أَنْ يَرَى الْحَرْبَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْأَعْجَمِ فِي الْمَشْرِقِ إِلَّا فِي لِبَاسِهِ الْمِدْيَنِيِّ^٧ :
 يَا رُبَّ فَتْنَةِ أَمَّةٍ قَدْ بَرَّهَا جَبَّارَهَا فِي طَاعَةِ الْجَبَارِ .
 مُوتُورَةٌ طَلَبُ الْإِلَهِ بَثَارَهَا ؛ وَكَفَى بِرَبِّ الْأَئِمَّةِ مَدْرَكَ ثَارَ^٨ .
 وَبِمَا أَنْفَرَأَ مِنَ الْدِينِ كَانُوا يَحْارِبُونَ الْعَرَبَ فِي الْمَشْرِقِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، فَانْ أَبَا
 تَمَامُ سَمَاهُمْ مُنَافِقِينَ^٩ . أَمَا أَبْرَزَ مَوَاقِفَ أَبِي تَمَامٍ فِي ذَلِكَ فَمُوقَفُهُ فِي قَصِيْدَتِهِ
 « فَتْحُ الْفُتوْحِ » ، وَهِيَ مُوجَودَةٌ فِي الْمُخْتَارَاتِ .

- (١) يوم : معركة . الابد : ما بقى من الدهر (سيفي الفخر بهذا الظفر في تلك المعركة إلى الأبد) .
 (٢) اذا قام الحساب : يوم القيمة . بدر : غزوة انتصر فيها الرسول على مشركي العرب
 (٣) احمد : جبل قرب المدينة جرت عنده معركة (٥٢) انهزم فيها المسلمون .
 – ان ظفرتك في هذه المعركة قد زاد في وجاهة غزوة بدر ، ومحنت هزيمة غزوة احمد .
 (٤) ان لم تتب : ان لم تدخل في الاسلام . لليسيف ماتلد : سيكون التبت في المعارك نصيب نسلها .
 (٥) ديوان خ ١٨١٤٢٨ ، ٢٩٥ ، ٢٨٠ ، ١٨١٤٢٨ .
 (٦) ديوان خ ٦٩ .
 (٧) ديوان خ ٢٦–٢٧ ، ١٤٨ ، ٦٩ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٢٦ ، ٢٩٢ ، ٢٨١ ، ٢٥٩ ، ٣٠ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ .
 (٨) ديوان خ ١٥٢ وما بعدها .

أول ما يطالعك في ديوان أبي تمام غرابةُ الألفاظ ، فأبو تمام مُغْرِم أحياناً بالألفاظ الغربية التي يقلَّ ورودها عند غيره . ثم انه كان يحب تلك الألفاظ التي كانت تدور في الأدب القديم وفي البيئة البدوية ، إذ كان من الذين يحبون الاقتداء بالقدماء^١ . وكذلك نجد عدداً من الكلمات يتراوَد في شعر أبي تمام : في البيت الواحد ، أو في أبيات من قصيدة واحدة ، أو في أبيات من قصائد مختلفة . لقد فعل أبو تمام ذلك كله ، بين الحين والحين ، « وأظهر التعجرف^٢ وتشبه بالبدَّ وَتَسِيرِي أنه حضري متاذب وَقَرَوِي متكلف »^٣ فجاء من الألفاظ الغربية الحوشية بمثل قوله :

قد قلت ، لما اطلخمَ الأمرُ وابعثت عشواءُ تاليةٌ غبْسًا دَهاريساً^٤ :
- فعَنْيقها يغضيدها ، ووَشِيجُها سعدانها ، وزميها تنومها^٥ .

(١) الوساطة ١٨ ، راجع ٢١-١٩ .

(٢) تعجرف الرجل : أظهر الجفوة في الكلام ، وتكبر .

(٣) الوساطة ٧٠ .

(٤) الديوان خ ١٧١ ، الوساطة ٧٠ . - اطلخم : أظلم . عشواء : (ناقة) ضعيفة البصر . تالية : قتابة ، تتبع . الغبس (جمع أغبس) : ذئاب في لونها كدرة (كلون الرماد) . الدهاريس جمع دهرس (بفتح الدال والراء) : الدهاهية ، الخبيث . - المعنى : خان الناقة بصرها فبمت ذنابا ضواري (في المصائب يشبه الأمر على الانسان فيلي نفسه في التهلكة من غير أن يدرى) .

(٥) الديوان خ ٣١٢ ، الوساطة ٧٠ . العنيق : الماعن . اليضيد : بقلة (قصيرة) ، قريبة من الأرض . الوشيج : شجر تجعل من أغصانه الرماح . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . الزميل : الرديف (إذا ركب شخصان على ناقة فالمتأخر منها هو الرديف) . التنوم : شجر له ثمر يدخل في العلاج ، وهو يخرج الدود من البطن . - المعنى : يصف أبو تمام ناقة تقطع الصحراء في أحوال صعبة حتى نهكها التعب فأصبح عنيقها يغضيدها (رأيها من التعب أصبح بمس الأرض كأنها تما عنق النبات الثابت على وجه الأرض) ، ووَشِيجها سعدانها . (أفضل طعام كانت تحصل عليه كان تلك الأغصان القاسية التي تصلح لتكون رماماً) ، وزميها-

غير أن ذلك لم يكن عادة لأبي تمام ألمها نفسه . فان أبي تمام كان – كما يرى الجرجاني^١ – إذا أراد أن يجري على سجنه جاءت ألفاظ شعره فصيحةً مألوفة ، فإذا قصد التكلف كثُرت في شعره تلك الألفاظ الغريبة الحوشية^{*} النافرة . ومع هذا فان أبي هلال العسكري قد تناول على أبي تمام وجانب الحق لما قال^٢ : « كان أبو تمام يتبع وحشى الكلام ويدخله في شعره ». ولكن مما لا ريب فيه أن أبي تمام قد جانب طريق الشعراء المطبوعين الذين يتباون ما يُملي عليهم طبعهم فيأتي شعرهم فصيح الألفاظ عذب التركيب . فإذا دلّهم الطبع على لفظة جزلة أو كلمة غريبة أزلوها موضعها لتصبحت في نفس القارئ أو السامع أثراً متصوداً أو لتبرز معنى ملموساً أو لتعين الشاعر على الإيجاز . أضف إلى ذلك كله أن للشعراء – في رأي ابن رشيق – ألفاظاً تدور في شعرهم؛ قال ابن رشيق^٣ : « وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يُعْدُّوها ولا أن يستعمل غيرها ». ومع ذلك فقد جاء عند جميع الشعراء شيء من الألفاظ الغريبة الحوشية^٤ .

ومن التكرار القبيح للكلمة الواحدة في شعر أبي تمام قوله^٥ :

المجد لا يرضي بأن ترضى بأن يرضي المؤمِل منك إلا بالرضا .
أو قوله^٦ :

= تومها (وقد فسد بطنها فأصابها إمهال = كانت تأكل الوشيج الحاسي ، القاسي ، فنؤلم بطنها) .

ثم تأكل التنم فتمثر بطنها) .

(١) الواسطة ٧١ .

(٢) كتاب الصناعتين (مستشهد به في أمراء الشعر ١٦٣) .

(٣) العمدة ٢: ٨٣ .

(٤) سر الفصاحة ٩١ .

(٥) ديوان خ ١٨٧ ، الواسطة ٧٠ .

(٦) سر الفصاحة ١٨٦ . – الكلمات الثلاث في الشطر الاول : « اسم ، سلمت ، سلمت »

مكرورة . السلام (بكسر السين) : جمع سلمة بفتح السين وكسر اللام) . الحجارة .

سلمي : جبل في بلاد طيء . السلام : شجر نضار (بضم التون) ، لا يستطيع ورقه .

فاسِلَمْ ، سَلِيمَتَ مِنَ الْأَفَاتِ ، مَا سَلِيمَتْ
سِلَامُ سَلَمَيْ وَمَهْمَا أُورِقَ السَّلَمَ .
ان ترديد هذه الألفاظ في بيت واحد مكروه جداً، وإن كان عدد منها يؤدي
معاني مختلفة .
وكذلك لأبي تمام ألفاظ يحب أن يبني عليها جانباً من استعاراته ككلمة
«أخذَع» (عرق في جانب العنق) في مثل قوله^١ :
وَضَرَبَتِ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعِيْهِ ضَرَبَةً غَادِرَتْهُ قَوْدَأَ رَكْوَبَا .
— يا دهر، قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعِيْكَ قَدْ أَضْجَجَتْ هَذِهِ الْأَنَامَ مِنْ خَرْقَائِكَ :
وسوى ذلك . على أن ترداد لفظ بضع مرات في ديوان كبير ليس عيباً كبيراً ،
وإن كنا نأخذ على أبي تمام أنه أجرى هذا اللفظ الواحد بضع مرات في
استعارة واحدة .

أما التركيب عند أبي تمام فهو متين لا شك في ذلك . ولكن تكلف أبي تمام
للمعاني البعيدة وغرامته بالصناعة وتطلبه للكلام الغريب أدخلت على شعره
 شيئاً من التعقيد أدى إلى شيء من الغموض . ولعل تكلفه للمعاني البعيدة هو
الذي اضطره إلى القبول بالتركيب المعقد إذا لم يستطع الإitan بركيب أكثر
وضوحاً لتعبير عن المعنى الذي تراءى له تغييراً يحيط بجميع جوانب ذلك
المعنى . من ذلك كله قوله^٢ :

خان الصناءَ أَخْ خان الزمانَ أَخْ
عنه فلم يتخونَ جسمَه الْكَمَدُ^٣ .
— يا يوم شرد يومَ لهويَ لهوَهُ
بصَبَابِيَ وأَذْلَّ عَزَّ تَجَلَّدِيَ^٤ .

(١) ديوان خ ٢١٠٤٢٧ . راجع أيضاً : «ولين اخادع الدهر الابي» (خ ٣٤٤؛ سر الفصاحة ١١٧).

(٢) راجع الوساطة ١٨ ، راجع سر الفصاحة ١٥١ .

(٣) ديوان خ ٣٦٦ . - اذا زلت مصيبة برجل فلم يتعلجم صديقه بالحزن له، فلتنزل تلك
المصيبة بذلك الصديق .

(٤) ديوان خ ١١١ . - أيها اليوم الذي استخف بجبي وتلهي (بالتهكم علي) فأفسد علي تمني
باللهو مع من أحب ثم فضح تصيري وأظهرني بمظهر الضعيف المسلوب الصير (راجع أيضاً
شرح البريزي ٤٥:٢ مع الماشية ٢) .

الصناعة في شعر أبي تمام

جرى لسان العربي ، منذ عهد بداوته ، بالفاظ متشابهة لفظاً متقاربة في المعنى أو متقاربة في المعنى دون المفظ يتضرر السامع أن تأتي معه ، وبالفاظ متضادة في المعنى . وقد كانت هذه الألفاظ تجري على لسان العربي بين الفينة والفينية لا يقصد إلى تأليفها أو رصفها . ثم جاء القرآن الكريم فكان فيه منها شيء غير يسير ، ولكنه غير مقصود .

ثم أخذ الناس يفطرون لعدوته هذه الألفاظ وطلاؤتها إذا انتظمت في التركيب على نسق مخصوص . ثم قصد إليها الأدباء والشعراء منذ أواخر العصر الأموي واتسع القول فيها في صدر العصر العباسي . قال المفاجي^١ : « وهذا إنما يحسن في بعض الموضع إذا كان قليلاً غير متتكلّف ولا مقصود في نفسه . وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلهم^٢ مج به من لهم مُسلِّم بن الوليد الأنباري وأكثَرَ منه ومن استعمال المطابق والمخالف حتى قيل عنه إنه أول من أفسد الشعر (به) . وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه » .

وفي الأغاني^٣ عن أبي تمام « وله مذهب في المطابق هو كالسابق فيه جميع الشعراء . وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والساوري في جميع طرقه » . وأنكر الأمدي على أبي تمام هذا الفضل بتة لأن الناس سبقوه إليه ؛ ثم عد « استثناره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنبه ، وأكبر عيوبه »^٤ . أما ابن رشيق فيظهر لنا بخلاف أنه أميل إلى الأصفهاني في تأكيد فضل أبي تمام ، فقد قال عن أبي تمام : « انه كان يجيد باب التصنيع »^٥ . وأما الجرجاني فذكر أن أبو تمام كان يجمع أحياناً المعنى البديع إلى الصنعة

(١) سر الفصاحة ١٨٤-١٨٧٣ .

(٢) لمج به : أغوى به ، أغرم به ، ثابر عليه .

(٣) ٩٦: ١٥ .

(٤) الموازنة ٨ .

(٥) العدة ٢ : ٣٢ .

اللطيفة^١ . وجعله مرة ثانية هو وأبا نواس « سيد المطبوعين وإمامي أهل الصنعة »^٢ .

الحناس والطباقي

كان أبو تمام يتكلف التجنيس والمطابقة (الحناس والطباقي) ويسوق فيهما المعانى البعيدة فتغلق على أفهم العامة وغير العامة أو تكاد ، ثم تنفر أحياناً في النونق . وكان العرب قد استحسنوا الحناس فى الجملة بعد الجملة ، وفي البيت بعد البيت ، كما استحسنوا أيضاً أن يكون التجنيس بين كلمتين فقط . إلا أن أبي تمام الذي تكلف كل شيء في شعره : تكلف أن يأتي بالتجنيس في كل بيت من أبيات قصائده وأن يحيانس بين الكلمتين والثلاث والأربع ، وربما ملأ البيت بالكلمات التي يحيانس بينها تجنيساً تماماً أو ناقصاً . وحرّص أبو تمام على أن يأتي في شعره بجميع فنون التجنيس ، ومثل ذلك كله فعل في الطباقي أيضاً . وبما انه يندر أن يأتي الحناس مستقلاً عن الطباقي فانني أخترت أن أعاجلهما هنا معاً .

لأبي تمام براعة في الحناس والطباقي وقف أمامها أنصاره وخصومه مبهوتين . بعد أن حمل الأمدي على أبي تمام ، في شأن الحناس ، ما شاء أن يحمل عليه ، قال مُقرراً له بالتقدير والبراعة^٣ :

لو « اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى كقوله :

(١) الوساطة ٣١ .

(٢) الوساطة ٧٩ . قال البرجاني : « وإنما شخصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيد المطبوعين وإمامي أهل الصنعة ». ومن الأصول عندي أن يقال : « بين سيد المطبوعين وبين إمام أهل الصنعة » (راجع الوساطة ٤٨) .

(٣) الموازنة ١١٧ ، واعتمت البيتين الاولين من الديوان (خ ٣١٢ ، ٣٥٦) . وقد ذكر الأمدي صدرها فقط .

نشرتْ فريدةً مدامع لم تُنظم ؛ والدموع يحمل بعض شجُوِّ المغرم^١.
 - جفوف الردى ! أسرعت في الغصن الربط ؛
 وخطبَ الرَّدَى والموت ! أبرحت من خطب^٢ ؛
 - قد ينعم اللَّه بالبلوى ، وإن عظمت ؛ وبيتي الله بعض القوم بالنعم^٣ ؛
 لسقط أكثر ما عيب عليه ». ثم ان هذه الآيات وأمثالها هي التي سماها كتاب
 أمراء انشعر^٤ « التائق البديعي ». وإليك الآن بضعة أبيات فيها رونق وماء ،
 وهي في ابن الزيات^٥ :

تُطلَّ الطلول الدمعَ في كل موقف ، وَتَمْثُلُ بالصبر الديار المواثيل .
 دوارس^٦ لم يخفِّ الربيع ربوعها ، ولا مرّ في أغفالها وهو غافل .
 فقد ساحت فيها السحائب ذيلها ، وقد أخملت بالنور منها التهمائل .
 منها الوحوش ، إلاّ ان هاتا اوانس ؟ قنا الخط ، إلاّ أن تلك ذوابل .
 هوى كانَ خلساً ؛ ان من احسن الهوى

هو^٧ جُلت في أفيائه وهو خامل !

واستحسن البحرجاني (الوساطة ٤٢) « التجنيس المستوفى » في قول أبي تمام :

(١) ديوان ٣١٢ . - الفريد : المؤلو . الشجو : الحزن . - سال من عينها دمع يشبه المؤلو ، ولكن لا يجمع في سلك أو خطٍ حتى يصبح عقداً (يقصد : بكت) . والدموع يحمل (يدل على أو يخفف) شيئاً من حزن المحب .

(٢) ديوان ٣٥٦ . - يا أيها الييس ، لقد أدركت النفنن قبل الاولان ؛ ويا مصيبة الملاك والموت ، ما أعظمك من مصيبة (يقصد : أيها الموت ، أتيت على هذه المرأة باكرأ في شبابها فكانت المصيبة بها عظيمة) .

(٣) ديوان ٣١٦ ، الموازنة ١١٧ .

(٤) ص ١٨١ وما بعدها .

(٥) ديوان ٢٥٥ - ٢٥٦ . - وقد مدح البحرجاني (الوساطة ٤١ ، ٤٤) البيتين الاول والرابع ، وقال عن البيت الرابع : « ومن أغرب أنافاته وألطاف ما وجد منه (من الطباقي) قول أبي تمام : منها الوحوش فطابق بهاتا وتلك ، وأحددها للحاضر والآخر للغائب ، نكانت نقىضين في المعنى وب منزلة الصدرين » .

ما مات من كرم الزمان فانه يحيى لدی يحيى بن عبدالله !
«فجناس بيعيَا ويحيى» ؟ وحروف كل واحد منها مستوفى في الآخر . وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعينين ، لأن أحدهما فعل والآخر اسم » . واستحسن الجرجاني لأبي تمام « الجناس النافق » في قوله (الوساطة ٤٣) :
يمدون من أيدي عواصِ عوااصِ تصول بأسافِ قواصِ قواصِ ؛
إذ أن «عواصِ» تتفص عن «عوااصِ» ، و «قواصِ» تتفص عن «قاوصِ» . على أن لأبي تمام شيئاً غيرَ قليل من الجناس السيء تتكلّف الجمعَ فيه بين الكلمات وخالف وجه البلاغة ، ثم ساق تلك الأبياتَ التي ورد فيها الجناسُ سيقةً غامضةً معقدةً . فمن تجنيسه السيء (ديوان خ ٣٠٢) :
قررت بقرآن عين الدين وانشترت بالأشترىن عيون الشرك فاصطلماماً .
— ذهبت بمذهبها السماحة فالثوابت فيه الظنون : أمنذهب أم مذهب .

(١) ديوان ٣٤١ ؛ الوساطة ٤٢ . — ان يحيى بن عبد الله يحيى (يعيد ذكرى) الكرم الذي كان في الزمن القديم ثم مات (نبي) .

(٢) قرآن بتشديد النون (لم يضبط النطاق الفاف) ، ص ٣٠٢ ؛ وضبطها التبريزى بالضم ، ٣ : ١٦٩ ؛ قرآن (بضم الفاف وتشديد الراء) قرية باليمامة (القاموس ٤ : ٢٥٩) : راجع ياقوت ، طبعة مصر ٤ : ٤٦) ، وليس المقصودة هنا . وقرآن (في ياقوت أيضاً) : قصبة البدن (بتشديد الدال) في أذربيجان حيث استوطن يابك . انشترت العين : انقلب جفنا الاذف . اصطلمت الاذن : قطعت من أصلها . وقمة صيلمة (بفتح الصاد وسكون الياء وفتح اللام) : مستأصلة ، ميبة . — قررت عين الدين (بردت ، اطمأنت ، رضيت ؛ انتصر الدين) (الاسلام) . انشترت عيون الشرك : انقلبت ؛ هزم الشرك . الاشتراك : مالك بن الحارث النخعي وابنه ابراهيم من أصحاب علي بن أبي طالب (وليسا المقصودين) . واشترا فرقية من بلاد الجبل عند همدان (تاج ٣ : ٢٩٠) في ناحية بين نهاروند وهمدان (ياقوت ، مصر ١ : ٢٥٤ ، راجع ٢٥٥) .

(٣) خ ٣٩ ؛ شرح التبريزى ١ : ١٣٦-١٣٧ . — السماحة : الكرم . مذهب (بفتح الميم) : طريقة ، سبيل ؛ منصرف ، مخالفة . مذهب (بضم الميم) : ثوب محل بالذهب (رباء ، ظاهر) . — ذهبت بمذهبها السماحة (غلت عليه ، اتبعت طريقته لأنه عظيم الكرم جداً فأصبح الكرم تبعاً له) . فالثوابت فيه الظنون (اختلفت في عمله الآراء وحارث) : لهذا مذهب له حقاً (طريقة وخلقاً وسجية) أمنذهب (بضم الميم) : رباء وظاهر بالكرم ؟

وكنا رأينا أن أهل الصناعة لا يقرّون التجنيس بين أكثر من لفظتين ، ولكنَّ أبا تمام تعدّى ذلك مرات كثيرة ، فقد قال مثلاً :

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت

سلام سلمى ومهما أورق السلم .

شعره وأسلوبه

ليس أبو تمام من الشعراء المطبوعين الذين يجري الشعر على لسانهم عفواً وسليقاً ، بلا تكليف ولا محاولة صنعة ، وإن كان صاحب الأغاني قد قال (١٥ : ٩٦) عن أبي تمام « إنه شاعر مطبوع لطيف الفيضة ». وقد جار الأنباري على أبي تمام لما قال فيه^٢ : « وكان يحب الشعر ، فلم يزل يُعانيه حتى قال الشعر وأجاده ». أما الآمدي فأبدى رأياً منصفاً لما قال^٣ : « وان كنت تميل إلى الصنعة والمعانى التي تُستخرج باللغوْص والفيكْرَة ، ولا تَلُوي على غير ذلك ، فأبُو تمام عندك أشعر (من البحري) ».

وكذلك اتفق أكثر النقاد – في نقل بعضهم عن بعض – على أن شعر أبي تمام مُنتفَاقٌ . ثم قال بعضهم إن شعر أبي تمام « لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة »^٤ . ومع كل هذه العيوب فقد دعا أبو تمام أشعر أهل زمانه ؛ وعده الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيارات أشعر الناس طرراً ؛ وكذلك فضله صديقه الشاعر علي بن الجهم على سائر الشعراء^٥ ؛ وفضله البحري على نفسه^٦ .

(١) راجع ص ٧٩

(٢) الموازنة . ٢

(٣) الموازنة . ٢

(٤) راجع أخبار أبي تمام . ٦٢

(٥) راجع الأغاني ١٥: ١٩٩٦، ١٩٨: ١٨٦٩٢، ٩٩: ١٦٨، أخبار البحري ١٤٧٦٦٠٥٧ - ١٤٨ .

وقد مر بنا شيء كثير من خصائصه التي تجتمع لتولّف أسلوبه.

مذهب أبي تمام في الشعر

يقول بروكلمن : «إن أبي تمام يمثل بشعره شعراء المقاطعات تمثيلاً صحيحاً، وهو المثال المحتذى في ذلك». وعلى هذا جعل بروكلمن شعراء العصر العباسي قسمين : شعراء بغداد خاصة وشعراء المقاطعات كالشام وخراسان^١. وتأثر به جرجي زيدان^٢ واتبعه في ذلك أحمد حسن الزيات^٣.

ومصدر هذا الحكم جملة وردت في الأغاني^٤ عند الكلام على ديك الجن الحمصي من أنه «يذهب مذهب أبي تمام والشاميين»؛ فكأنه جعل للشاميين خاصة مذهبًا مخالفًا لمذهب أهل بغداد في الشعر، ثم جعل أبي تمام المُتبَعَ، مع أن ديك الجن أقدم من أبي تمام وعنه أخذ أبو تمام بعض شعره^٥.

أما مذهب الشاميين فالتصنيع في الشعر بتكلف البديع، ثم هو – فيما يبدو – نطلب الشابية والاستعارات البعيدة والمغالاة في التجنيس والطباقي. وكان أول من نكلف البديع من المولدين مسلم بن الوليد^٦ وأفسد به الشعر^٧. ثم كثُر التصنيع في شعر أبي تمام.

عمود الشعر والمذهب الشامي

لما قارن النقاد شعر أبي تمام وشعر البحري بأشعار القدماء من الجاهليين

Geschichte der arabischen Litteratur, Leipzig (C. F. Amelangs (١) Verlag), 1901, SS, 79, 86 ff., (2. Ausg, 1909, ibidem); GAL I 71, 82, 83; Suppl. I 108, 133, 134.

(٢) تاريخ آداب آئلة العربية ، (القاهرة ١٩٣٠) ٢ : ٥٦ وما بعدها .

(٣) تاريخ الأدب العربي (مصر ١٣٤٧ - ١٩٢٨) ، ص ١٩٣ و ٢١٧ وما بعدها .

(٤) ١٣٦: ١٥ .

(٥) راجع فوق ، ص ٢٥ .

(٦) المدة ١: ١١٠ .

(٧) سر الفصاحة ١٨٤ .

والإسلاميين وجدوا بين شعر الطائين وبين شعر المتقدمين فرقاً ظاهراً . قال الأدمي عن أبي تمام إن « شعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^١ . أما البحترى فقال عنه الأدمي نفسه وعلى الصفحة الثانية من موازنته أيضاً : « البحترى أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، ما فارق عمود الشعر قط . وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام ». على أن الطائين كليهما شغلاً أنفسهما بتضييد الصناعة في شعرهما ، من جناس وطبق وتوبيات ، ومن استعارات وتشابه فيها من الإغراب فوق ما عرفه القدماء . ولكن البحترى كان أقل تكلفاً في إبراد أوجه البلاغة في شعره من أبي تمام .

وشغل الدكتور شوقي ضيف نفسه بدراسة التصنيع في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »^٢ ، وتبع في نطاق البحث الذي أخذ به نفسه « معاناة الشعر » منذ الجاهلية فكان يلمح على جانب « الصنعة » في دواوين الشعراء الذين جانبوها السجية والسليقة في نظمهم كثيراً أو قليلاً .

ووقف نجيب محمد البهبيبي جانباً كبيراً من كتابه « أبو تمام الطائي »^٣ على « صناع الشعر » وعلى العوامل التي أثرت فيهم ثم تكلم على « أصحاب المعنى » و « أصحاب اللفظ » ، وخلص من ذلك إلى الكلام على عمود الشعر . مما كان المرزوقي قد وضمه في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام .

وفي عام ١٩٥١ أصدر الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل كتابه « عبقرية أبي تمام »^٤ ، وعُتّي فيه بتوسيع المذهب الشامي وبالوقوف عند الصور البلاغية في الأبيات المفردة .

(١) الموازنة . ٢

(٢) الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .

(٣) القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .

(٤) دار العلم للملائين بيروت ١٩٥١ .

تاريخ المذهب الشامي

الأصل في الشعر أنه مطبوع ومصنوع : مطبوع يجري فيه الشاعر على السجية أو مصنوع يتكلّف فيه الشاعر شيئاً كثيراً أو قليلاً من التهذيب والتنقیح ومن التفنن في إيراد المعاني والألفاظ ومن القصد إلى استجمام التشابيه والاستعارات^١.

والأصل في الشعر العربي خاصة أنه جاهلي ، أي أن خصائصه المعنية واللغوية خصائص عربية بدوية غير متصلة بمحضارة أجنبية . ثم ان النقاد قسموا الشعراء الجاهليين أنفسهم قسمين : شعراء البدو وشعراء القرى (المدن) . وقلما حفل النقاد بشعراء القرى ، وقلما قدّموا أحداً منهم .

وبما أن الخصائص اللغویة أبرز للعين من الخصائص المعنية فقد اهتمَ النقاد كثيراً باللحوظ الشعراً وترأكبيهم وبما دخل فيها كلها من اللهجات ومن الكلمات المهجورة والأجنبية . وكذلك اهتمَ النقاد بشكل القصيدة . وبما أن العلاقات كانت أشهر الشعر القديم فقد جعل النقاد « المعلقة » ميدان الشعر كله وقدموها الشعراء الذين يقتربون بقصائدهم من شكل المعلقة ومن خصائصها المعنية واللغوية معاً .

وجاء الإسلام وانتشر العرب بالفتح في الأرض ودخل في الإسلام شعوب ما عرفت الجاهلية ولا كانت العربية لسانها ولا التاريخ الجاهلي جانباً من حضارتها؛ وكان في الموالي (المسلمين من غير العرب) والمولودين (المولودين من زواج عربي وغير عربي) ، وفي الذين احتكروا بهم أيضاً ، شعراء جعلوا يبحرون في نظم الشعر على السجية من فطريتهم وبيتهم ، ف جاء شعرهم مختلفاً للقصيدة الجاهلية أو للمعلقة على الأصح .

وخصائص المعلقة هي التي تلي :

إنها قصيدة طويلة تتالف من أغراض متعددة ، غرض واحد منها مقتصد

(1) راجع العدد ١٠٨ وما بعدها .

لذاته – وقد يكون فيها غرضان مقصودان – وعدد من «الأغراض المهدّدة» تأتي قبل الغرض المقصود وبعده . وتبداً القصيدة القديمة عادة ، أو المعلقة على الأصل ، بالوقوف على الأطلال ، ثم يخلص الشاعر إلى وصف راحلته والطريق التي سلكها ، ثم يطرق غرضاً آخر من الغزل أو الفخر أو الحمر قبل أن ينتقل إلى الغرض الأساسي المقصود الذي نظمت القصيدة من أجله . ويكون الغرض المقصود في بعض القصائد مدحّاً (كما عند النابغة مثلاً) ، أو غزواً (كما نرى عند امرىء القيس) ، أو فخراً وحماسة (كما عند عمرو بن كلثوم وعنترة) . الواقع أن كل غرض من أغراض الشعر يصلح أن يكون غرضاً مقصوداً لذاته ، إذا قصده الشاعر من نظم قصيده ثم عُيّ به وبسط فيه القول .

ولقد حرص الشاعر القديم على أن يجعل كل بيت من أبيات قصائده تامَّ المعنى في نفسه ، كما كان من المستحسن أن ينطوي البيت الواحد على معنيين أو أكثر . وكذلك حرص الشعاء القدامى على أن تكون معانيهم شريفة ، أي من المعاني الجميلة التي يُفتخر بها في العادة (كالكلام على الكرم والنسب والحمر والوفاء) لا من تلك المعاني المبتذلة التي تدور في أحاديث العامة أو في الحياة اليومية . أما الألفاظ فكان المختار فيها أن تكون جزلة (فخمة دالة على معان مقصودة بها وحدها) ، مع الفصاحة ومتانة التركيب . وكانوا يحبون في الوصف أن يكون مطابقاً للموصوف ، مع التمييز بين الموصوفات حتى لا يقتصر وصف عن موصوفه ولا ينطبق على غير ما قصد به . وأما إذا وقع التشبيه فيجب أن يكون واضحاً يَبْيَن الصلة بين المشبه والمشبه به دالاً بنفسه على وجه الشبه . وأما الاستعارة فيجب أن تكون بارعة قريبة يدركها العقل بأدنى تأمل مع الطرافة في الإشارة إلى المقصود . وكذلك كان الشاعر القديم يتخيّر الوزن المناسب ويتوخى النظم السهل في التركيب العذب الذي يجري ليتنا على اللسان سهلاً في الأذن لطيفاً في القلب ثم يترك السبيل للقافية الشرود أن تنزل في بيته حتى ليُخَيِّلُ إلى القارئ أو السامع أن هذا البيت لم يكن ليتمَّ إلا بتلك القافية وحدها .

ذلك كان « عمود الشعر » الذي أشار إليه النقاد ، وتلك كانت « طريقة » العرب (أي القدماء) . وبهذا « العمود » كان النقاد ، في صدر العصر العباسي وأوامده ، يقيسون أشعار الشعراء ويقدمون بعض الشعراء على بعض .

وقد كان الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك يحكمون شعرهم ، أي يرددون فيه النظر بالتنقية والإصلاح وبالحدف : حتى روا أن زهير بن أبي سلمي كان يقضي في عمل التصبيحة حولاً (عاماً) كاملاً : ينظمها في أربعة أشهر ، ويردد نظره فيها أربعة أشهر ، ثم يتعرضها على أهل الرأي من أصحابه أربعة أشهر . ولذلك سميت قصائده « الحوليات » ، وسمى هو « محيراً » لحسن شعره ، ولكنه عُذَّ بذلك أيضاً من عبيد الشعر الذين يتكلّفون إصلاحه ويشغلون به حواسِهم وخواطِرهم ^١ .

ويبدو أن نفرآ آخرين من شعراء الحالية لم يكونوا يذهبون هذا المذهب ، بل كانوا ينظمون متاطع قصاراً أو طوالاً ثم يقصرون تلك المقاطع على غرض واحد من الفخر أو الرثاء أو المجاء أو الغزل أو الوصف أو الحكم . وإذا كان

(١) قال المرزوقي في مقدمة شرح الحماسة (١١-٨: ١) : « ... فالواجب أن يتبيّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتبين تليد الصنعة من الطريف ، وقد يُمْنظَرُ نظام القريف من الحديث .. ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع من المطبوع » . والشعراء الذين ساروا على عمود الشعر « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف . ومن اجتاع هذه الاسباب الثلاثة كثُرت سوارُ الامثال وشوارد الايات ؛ ثم المقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم على تخيير من لذنة الوزن ، ومناسبة المستعار منه المستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما (اقتضاء اللفظ والمعنى) للفافية حتى لا تكون متأففة بينها . بهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، وكل بيت منه معيار (مقياس) . فعيار المعنى العقل (أي يجعل المعنى) مستانساً بغيراته (من المعاني المتصلة به) وانياً (بها) . وعيار اللفظ الطبع ، فما سلم ما يهجنه فهو المختبار المستقيم . وعيار الاصابة في الوصف حسن التمييز (أي اذليات الوصف على الموصوف حتى لا ينطبق الا عليه) . وعيار المقاربة في التشبيه حسن التقدير حتى يتبيّن وجه التشبيه بلا كلفة . وعيار التحام أجزاء النظم الطبع والسان فلا يضطرب تركيبه ولا يتغير فيه ، الانسان . وهذه الحصال هي عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبي شعره عليهما فهو عندئم المخلق المعلم والمحن المقدم . » .

نفر من الأدباء قد حفلوا بهؤلاء الشعراء واختاروا من أشعارهم مجاميع ، كديوان الحماسة لأبي تمام ، فان النقاد لم يحفلوا بهم كثيراً ، فتاریخ الشعر العربي في الجاهلية هو على الحقيقة تاريخ المعلقات وتاريخ شعراء المعلقات .

ولما جاء العصر الأموي وأخذ الشعراء الموالي والملدون يزدادون جعل « السائرون على عمود الشعر » يتجلّلون بهم ويسيرون منهم . ولما بدأ عمر بن أبي ربيعة يفرض شعره على تاريخ الأدب قيل فيه : « ما زال هذا الفتى يهدى حتى قال الشعر ^١ . وهكذا فارق عمر بن أبي ربيعة عمود الشعر فقصّر شعره كلّه على فن واحد . ثمّ قصر كل مقطوعة من شعره على حادثة واحدة ، فكان بذلك زعيم ما سمي فيما بعد بالمذهب البغدادي — قبل أن تبني بغداد بسبعين سنة — .

وسقطت دولة بني أمية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، وكان الشعراء الملدون قد زادوا في العدد على الشعراء العرب ، فأخذت الخصائص القديمة تختفي من القصائد شيئاً فشيئاً : أخذت القصائد تقصر والأغراض فيها تقل ، وجعل نفر من الشعراء يفارقون الجدّ في الشعر إلى المزاح ، وائر صانة إلى البطالة ؛ ثم أخذ الأسلوب يضعف أو يركّب لاهتمام الشعراء « المحدثين » باقتناص المعاني الجديدة وبالتعبير عما كان يختلج في صدورهم من الرغبات المتنافرة فقلّ لذلك اهتمامهم بالتركيب . واحتاج هؤلاء المحدثون أو الملدون في التعبير عن الأغراض الجديدة التي زخرت بها بيتهما إلى ألفاظ جديدة أو إلى صيغ جديدة على الأقل ، فتناولوا تلك الألفاظ من غير اللغة العربية الفصحى واشتقو من الصيغ ما تمكنوا به من التعبير عن ظلال المعاني الجديدة التي كانت ترخر بها صدورهم ^٢ . هذه الطريقة الأدبية التي قامت على تفضيل المعنى على اللفظ عرفت في تاريخ الأدب باسم « المذهب البغدادي » .

ولما استطاع النفوذ الناري في المجتمع العربي والسياسة العربية وفي الأدب

(١) راجع عمر ابن أبي ربيعة للمؤلف (الطبعة الثانية) . ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) راجع الوساطة ٢٣ ، ٢٤ : العدد ١٥٠: ١ .

العربي أيضاً ، خشي هرون الرشيد أن يزيل الفرس الدولة العربية فنكتب وزراءه
البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) وأتى إلى الوزارة بالفضل بن الربيع لينهض في
الدولة سياسة عربية . ولما كان الناس على دين ملوكهم فان الناس مالوا بعد
نكبة البرامكة عن كل ما هو فارسي في السياسة وفي مظاهر المجتمع ، وفي
الأدب أيضاً .

وهكذا عاد الشعراء العباسيون إلى عمود الشعر القديم ثم بالغوا في ذلك . وقد
عرف هذا «المذهب المستأنف في العصر العباسي» باسم «المذهب الشامي» .
فالشعراء الشاميون إذن هم المحافظون على عمود الشعر القديم ، وهم المحافظون
ذوو العصبية العربية البدوية والساكنون في الشعر مسلك الشعراء الجاهليين من
أصحاب المعلمات خاصة . على أن الشعراء الشاميين قد زادوا على الجاهليين في
تكلف المعاني البعيدة وملأوا أشعارهم بالبديع ، بالحناس وبالطباقي . وأوغلوا في
التشابيه والاستعارات . أما البغداديون فهم المجددون المتساهلون في أمر العصبية
لأن معظمهم من الفرس . ثم إنهم ميالون إلى الحَضَر وما فيه من ترف كارهون
للبلدية . ثم إنهم مالوا في قصائدهم إلى المقاطع ووحدة المعنى فيها والتناول في
الألفاظ والتراتيب وتركوا التكلف وجرووا على السجية . وقد كرهو البديع
إلا ما جاء في شعرهم عفواً .

والذهب البغدادي والمذهب الشامي في الأصل تسميتان جغرافيتان ، إذ
المفروض أن يكون الشعراء البغداديون من أهل بغداد والشعراء الشاميون من أهل
الشام (سورية) . فبشارُ وأبو نواس وابن الرومي هم من شعراء المذهب
البغدادي المقدّمين ومن أهل بغداد . وكذلك ديك الجن الحمصي وأبو تمام
والبحري والمنبي وأبو فراس والمعري كانوا من أتباع المذهب الشامي ومن أهل
الشام . غير أن مسلم بن الوليد والشريف الرضي كانوا ببغداديين على المذهب
الشامي . ومثلهما كان المنبي عراقي الأصل من الكوفة ولكنه شامي المذهب .
ثم ان أبو تمام والبحري كانوا من أهل الشام ومن أتباع المذهب الشامي مع أنهما
قضيا الحانق الأوفر من حياتهما الأدبية في العراق .

موجز خصائص المذهب الشامي

في ما يلي موجز للآراء المبسوطة في الصفحات السابقة منسوبة نسقاً ظاهراً:

١ - شكل القصيدة : إطالة القصيدة وتعدد الأغراض فيها ، والقصيدة الشامية تبدأ عادة بالنسيب .

٢ - تنقيف الشعر : العناية بالأبيات بتنقيحها .

٣ - التأنيق والتصنيع : العناية باللفظ والتركيب والإكثار من البديع ، مع الحرص على ألا تخلو قصيدة ولا بيت من أبيات قصيدة من هذا التصنيع ما أمكن^١ .

٤ - الإيغال في التشبيه والاستعارات إلى ما يشبه الرمز حتى ليكاد يغمض المعنى وتحفي الصورة البلاغية .

٥ - جمع المعاني الكثيرة في الأبيات القليلة ، والوقوف على المعنى الواحد بالتقليل له على وجوهه وبيانه الأدلة على صحته ، وبضرب الأمثلة .

٦ - لزوم الجد أو التظاهر به على الأقل. فقلما يميل الشاعر الشامي إلى اصطناع المرح واللهو وقلما يحسنهما في شعره .

٧ - إدخال فنون العلم في الشعر ، فالشاعر الشامي شاعر مثقف تظهر ثقافته في شعره وهو يطوي شعره على إشارات إلى أغراض من اللغة والنحو والأدب والفقه والمنطق والفلسفة والفلكلور وما إليها .

٨ - يلتزم الشاعر الشامي في حياته وشعره مسلكاً معيناً يحاول أن يفرضه في صلاته بالناس ويصر على المثاقف ويتشدد في المصائب . وكان معظم الشعراء الشاميين يتشيعون لآل البيت .

٩ - الشاعر الشامي شاعر مقتدر ينظم الشعر في جميع الأغراض التي يريد لها. أما الطبع عند قتيل البروز .

(١) استشهد البر جانبي (الوساطة ٣١) بقطعة في النزل لابي تمام « لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة طابق (فيه) وجانس واستعار فأحسن » .

١٠ - يُوْلُف المدحِيْج الْجَزِء الْأَوْفَر من ديوان الشاعر الشامي . ثم ان خصائص المدحِيْج تغلب عنده على سائر فنونه . وهو يجيد الفخر ، وربما اجاد الرثاء ووصف المعارك إجاده كبيرة . ثم إنه لا يجيد الهجاء ، وقلما برع في الغزل . وكذلك تکثر الحکمة عند الشاعر الشامي كثرة ظاهرة . اما المجنون فلا يکاد يظهر عنده .

١١ - الاکثار من الاعلام الجغرافية ، إما بالوقوف على الاطلال تقليداً لشُعُراء الْجَاهِلِيَّة ، أو تملحاً بذكرها ، أو اعتماداً عليها لبيان التنقل وتقييد الحوادث .

١٢ - الاکثار من ذكر الاشارات التاريخية : رجال التاريخ والحوادث والمعارك والأنساب وما اليها .

ولا ريب أبداً في أن الشُعُراء الشاميين يتفاوتون في هذه الخصائص اقتصاداً ولمساراً . وقد يشتراك الشاعر الشامي والشاعر البغدادي في بعض هذه الخصائص .

نظم ابي تمام :

كان في ابي تمام ابطاء^١ (في نظم الشعر) ، وكان يُکرِه نفسه على قول الشعر اکراهاً ؛ فلا غرو ان ظهر ذلك على شعره^٢ ؛ كان يفعل ذلك ليقترب المعنى البعيد او الاستعارة التي يتخيّلها ، او التجنيس الذي يطلبه . وربما نصب القافية التي تروقه وجهد في سوق البيت اليها ، مع ان ذلك مخالف لمذهب الشعراء المطبوعين . ان البيت يجب ان يأتي بقافية ؛ على ان الشُعُراء الذين يجمعون القوافي اولاً^٣ ثم يبنون عليها الايات ليسوا قليلين .

وابو تمام من الذين يُعْتَنَون بتهذيب شعرهم ؛ فمن شواهد ديوانه على ذلك :
- اليك أرَحْنَا عازب الشعر ، بعدما تمهل في روض المعاني العجائب^٤ .

(١) الاغاني ٦٧: ١٢ .

(٢) المعدة ١: ١٣٩ .

(٣) خ ٤٢ ؛ راجع المختارات .

— نشر يسير به شعر يهذبـه فـيـكـر يـجـولـ مـجاـلـ الرـوـحـ فـيـ الـجـسـدـ^١
— أولى المديحـ بـأـنـ يـكـونـ مـهـذـبـاـ ماـ كـانـ مـنـهـ فـيـ أـغـرـ مـهـذـبـ^٢.

وهو ي يريد بذلك ان يبلغ شعره الغاية :

— سـأـجـهـدـ حـتـىـ أـبـلـغـ الشـعـرـ شـأـوـهـ ، وـانـ كـانـ لـيـ طـوـعـاـ وـلـسـتـ بـجـاهـدـ^٣.
— سـيـرـتـ فـيـكـ مـدـائـحـاـ فـتـرـكـتـهـ غـرـرـاـ تـرـوـحـ بـهـ الرـوـاـةـ وـتـغـتـدـيـ : .

نـحنـ نـعـلـمـ أـنـ أـبـاـ تـامـ نـصـحـ لـلـبـحـرـيـ فـيـ اـتـابـعـ خـطـةـ فـيـ النـظـمـ تـخـرـجـ شـعـرـهـ
مـسـبـوـكـاـ ، وـلـاـ نـدـرـيـ إـذـاـ كـانـ قـدـ اـتـبـعـهـ هـوـ فـكـانـتـ لـهـ مـذـهـبـاـ ، اوـ أـنـهاـ مـوـعـضـةـ
مـحـضـ . وـعـلـىـ كـلـ فـانـ فـيـهـ أـنـ يـنـهـضـ الشـاعـرـ فـيـ السـحـرـ بـعـدـ اـنـ يـكـونـ قـدـ أـخـذـ
لـنـفـسـهـ قـسـطـاـ مـنـ الـرـاحـةـ ؛ وـيـكـونـ خـلـيـاـ مـنـ هـمـ اوـ غـمـ . ثـمـ لـيـجـعـلـ النـسـبـ رـقـيـقـ
الـلـفـظـ رـشـيقـ الـمـعـنـيـ . وـلـيـكـنـ مـدـحـهـ مـُظـهـرـاـ مـنـاقـبـ الـمـسـدـوحـ مـشـرـفاـ مـقـامـهـ ؛ وـلـيـجـتـبـ
فـيـ كـلـ ذـلـكـ الـمـعـانـيـ الـمـجـهـولـةـ وـالـلـفـاظـ الـرـزـيـةـ^٤ ؛ ثـمـ لـيـقـصـدـ إـلـىـ مـاـ اـسـتـحـسـنـهـ
الـمـاضـيـوـنـ وـلـيـتـرـكـ مـاـ اـجـتـبـيـوـهـ . بـعـدـ ثـئـدـ خـصـهـ بـهـذـهـ النـصـيـحـةـ الـثـمـيـنـةـ : «ـ وـاجـعـلـ
شـهـوـتـكـ لـقـولـ الشـعـرـ الـذـرـيـعـةـ اـلـىـ نـظـمـهـ^٥ » .

هـذـهـ الـوـصـيـةـ تـصـدـقـ عـلـىـ مـاـ نـرـىـ فـيـ قـصـائـدـ شـاعـرـنـاـ وـلـكـنـهاـ تـخـالـفـ الرـوـاـيـةـ الـيـةـ
يـتـمـسـكـ بـهـ اـدـبـاءـ كـثـيـرـوـنـ^٦ مـنـ اـنـهـ رـوـيـ عـنـ بـعـضـ الشـعـرـاءـ اـنـ اـبـاـ تـامـ اـنـشـدـهـ
قصـيـدـةـ اـحـسـنـ فـيـ جـمـيـعـهـاـ الاـ فـيـ بـيـتـ وـاحـدـ . فـقـالـ لـهـ : «ـ يـاـ اـبـاـ تـامـ ، لـوـ أـلـقـيـتـ
هـذـاـ بـيـتـ مـاـ كـانـ فـيـ قـصـيـدـتـكـ عـيـبـ» ؛ فـقـالـ لـهـ : «ـ اـنـاـ وـالـهـ أـعـلـمـ مـنـهـ مـثـلـ مـاـ
تـعـلـمـ ؛ وـلـكـنـ مـشـلـ شـعـرـ الرـجـلـ عـنـدـهـ مـثـلـ اوـلـادـهـ : فـيـهـمـ الـجـمـيلـ وـالـقـبـيـعـ ،

(١) خ ٤٩٢ .

(٢) خ ١٤ .

(٣) خ ١٩ لـسـتـ بـجـاهـدـ : مجـهـدـ نـفـسيـ (مـعـبـهـ) فـيـ قـولـ الشـعـرـ .
(٤) ١٢٧ .

(٥) رـاجـعـ المـدـيـحـ ، فـيـ مـاـ يـلـيـ .

(٦) مـلـخـصـةـ ، رـاجـعـ الـعـدـةـ ١٣٩: ١ .

(٧) الـاغـانـيـ ٩٦: ١٥ .

والرشيد والساقط ؛ وكلهم حلو في نفسه . فهو وان احب الفاضل لم يبغض الناخص ، وان هوَيَ بقاء المقدم لم يهو موت المتأخر » .

التصريح والتوضيح

لم يكن بنا حاجة الى ذكر التصريح هنا لولا انه سيقودنا الى البحث في التوضيح . لقد جرى الشعراء على تصريح قصائدهم : التزامهم القافية في العروض والضرر من المطالع كفولهم :

— ففا نبك من ذكري حبيب ومنز (ل)

بسقط الملوى بين الدخول فحوم (ل) .

— الا هُبَيْ بصحنك واصبَحَ (ينـا) ولا تُبَقِّي خمور الاندر (ينـا) .

— دع عنك لومي ، فان اللوم لغير (اء') ، وداوني بالتي كانت هي الد (اء') وعلى هذا سار ابو تمام في جميع قصائده المهمة الا قصيدة واحدة جعل مطلعها :

سلام الله عدة رمل (خيـت) على ابن الحيم الملك (اللبـاب) ^١ .

ومع ان « المصـرـع ادخل في الشـعـر واقـوى من غـيرـه » ^٢ فقد تساهلوا في المقطـعـات احيـاناً لاـعتـقادـهـم انـالـقصـائـدـفـقـطـيـجـبـانـتـصـرـعـ . وـعـلـىـهـذـاـيـضاـ سـارـابـوـتـامـ . وـلـكـنـهـكـانـيـصـرـعـاحـيـاناـمـطـلـعـبـيـتـيـنـوـالـثـلـاثـةـ ^٣ .

التوضيح

استحدث المتأخرـونـ منـشـعـراءـالـانـدـلسـ فـنـاـ «ـسـمـوـهـبـالـموـشـحـيـنـظـمـونـهـ اـسـمـاطـاـوـاـغـصـانـاـ اـغـصـانـاـ ،ـيـكـثـرـونـمـنـاعـارـيـضـهـاـمـخـلـفـةـ...ـوـيلـزـمـونـ

(١) ديوان ، الاسود ١٤٦، خ ٥٥ .

(٢) العدة ١: ٩٩ ، راجع ايضاً اختلاف العلماء على ما هي القافية الى ص ١٠١ ثم ص ١١٤ .

(٣) راجع الديوان خ ٤٤٠٠٤٢٠٤٢١٠٤١٩٠٤١٦ .

قوافيَ عند تلك الأغصان ١ ... ١

وقد ورد لأبي تمام أبيات فيها تقسيم أو تسهيل يشبه ما ورد في الشعر الذي يعد طليعة للتوضيح، قسم فيها أبو تمام الأسطر أقساماً متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية في آخر كل جزء من أقسام الأسطر. وفي ما يلي أبيات لأبي تمام تجري هذا المجرى^٢ :

— يقول فيسمعُ . ويمضي فيسرعُ ، ويضرب في ذات الله فيوجعُ .
— جبال طواليع ، جبال فوارعُ ، غيوث هوميوع ، سيول دوافع .
— أنا الحسام ، أنا الموت الزؤام ، أنا الحرب الضرام ، أنا الضرغامة العند .
أيام سيفك مشهور : وبحركه مسجور ، وقرنك مقصور ، له الطول .
الآ سبيل ندى . الا سبيل بلى ؟ لو كان حياً لأضحي للندي سبل .
يعطى فيجزلُ ، او يدعى فينزلُ ، او يُؤتى لمحمل اعباء فيحتملُ .
— ومن فاحم جعد ، ومن قمر سعد ، ومن كفل نهد ، ومن نائل ثمد .
وألصلق شيء بهذه الموضوع وزن جديد ليس من الابحر الستة عشرة في أبيات هي^٣ :

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٣) ٥٨٣ .

(٢) للمؤلف دراسة حديثة في المושح وتتطوره أثبتت موجزاً لها في كتابه «المهاج في الأدب العربي وتأريخه» (الجزء الأول، ص ٢٦٢ - ٢٧٢)، ولكن لا سبيل الى المجيء بشيء منها هنا ، ولا الاشارة الا بهذه الكلمة المارضة.

(٣) الابيات التالية ترد في الديوان الخ ، ص ١٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ١٢٧ مرتين ، على التوالي .

(٤) الديوان ٤٤٢ . — وقد وردت هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (مخطوطة برلين ٢٠١) مع شيء من الاختلاف في الرواية . وكذلك ورد لأبي نواس نفسه ما يشبهها (مخطوطة برلين ٢٠٣) راجع ديوان أبي نواس ، مصر ١٨٩٨ ص ٣٤٦) :

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن .

طبيخ شمس كلون ورس ربيب فرس حليف سجن .

والشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥ م) قطعة هي (ديوان ، مصر الطبعة الرابعة ١٣٧٢ - ١٩٥٣ ص ٤٢٨)

سممت شمراً للمندلوب تلام فوق الفصن للرطيب ،
نلاحظ أنها من البحر نفسه ولكنها ليست موشحة من حيث القوافي .

ثقيل ردد دقيق خصر ، شقيق شمس نتيج بدر .
 بديع حسن رشيق قد ، مليح خد نقى ثغر .
 قضيب بان عليه بدر ، مثال حسن عروس خدر .
 يا خصر ، قد كنتُ ذا اصطبار
 في الحب حتى هتكَ سكري .
 نمت دموي على عزائي ، اذ غاب عنِي جميل صبري .
 واحسبي لم اجد له غير بيت واحد فيه كلمة عامية ^١ :
 الا بكرت معدورة حين تعذر تعرّفني (ملعيش) ما لست اجهل .
 وتستطيع ان ترى شيئاً من اللحن الذي اخذه عليه الآمدي في الموازنة ^٢ .
 ولعله ، اعجباً منه بطائته ، استعمل « ذو » الطائية بمعنى الذي مرتين :
 اذا انتَ وجّهت الرِّكابِ لِقصدهِ تبيّنْتَ طعمَ الماء (ذو) أنت شاربُه ^٣ .
 – أنا « ذو » عرّفت ، فان عرّتك جهالة فأنا المقيم مقامة العُذَال ^٤ .

(١) ديوان ٥٤٠ . – ملعيش أصلها « من العيش » نجت يلجاً اليه العامة تخفيها للفظ مثل « أيش » (أي شيء) و« لايش » (لا أي شيء) . وقد يدخل الادباء عدداً من هذه الالفاظ في شعرهم ونشرهم تملحاً ، كما قال أبوذوابس (ديوان ٣٠١) :
 كيف أصبحت ؟ لا عدلت صباحاً صالحًا ، يا محمد بن قريش .
 أنس نفسه ، كيف استجزت اطراحي ؟ فيم ذا ، سيدى ، وذاك لايش ؟
 ويرى بعضهم أنها فصيحة ولكنها لغية ، مثل بلعنبر وبلحارث وبلهجم مكان بني العبر وبني الحارث وبني الهجم .

(٢) الموازنة ١٢ وما بعدها ، أعيان الشيعة ٩٥:١٩ - ٩٧ .
 (٣) الديوان ٤٥٠ . – ذو الطائية معناها « الذي » ، وهي من بتقایا اللهجة الحميرية (العربية الجنوبيّة ، لغة اليمن) ، راجع المختصر في علم اللغة العربية الجنوبيّة القديمة تأليف اغناطيوس غويدي ، ص ٦٠ . « ذو » هذه تلزمها الروا في الرفع والنصب والخفص (شرح التبريزى ٢٢٣: ١) .
 (٤) الديوان ٦٤٦ .

المتَعَصِّبُونَ لَهُ وَالْمُتَعَصِّبُونَ عَلَيْهِ

لم يعرف الأدب العربي شاعراً أثراً جدالاً صحيحاً في حياته كأبي تمام . اذ اندفع الادباء الى ديوان الشاعر ينشرون حسناته او سيئاته ، ويجادلون فيها حقاً وباطلاً .

عرفنا رواة الأدب يفضلون امراً القيس على سائر شعراء الجاهلية ، او يرثون زهيراً فوق النابغة ، او يحكمون لأبي نواس على مسلم بن الوليد او مسلم على ابي نواس في جمل عارضة واحكام عامة قد تستهويك فتصدقها او لا ترضيك فتمر بها غير آبه ولا حافل ؛ وكذلك كان شأن الناس في الانتصار بحرير والفرزدق والاخطل . اما الصراع حول مقام ابي تمام فلا يمكنك ان تشهده مكتوف اليدين ولا تستطيع ان تقول إن الناس كانوا يتجادلون في لا شيء .

قد يسبق الى الذهن ان الناس اقسام رأيهم في المتنبي ، او انه كان للمتنبي خصوم ، وأنه شغل الناس ؛ لكننا اذا درسنا الأحوال التي نشأت فيها خصومة الناس للمتنبي وجدناها تختلف عن تلك التي اثارت الجدل في شعر ابي تمام : وجدنا الذين يناهضون اباً تمام يناهضونه بشاعر معين هو البحترى ؛ ثم يجعلون الشاعرين مدار البحث ، ومثار الجدال .

المتحاملون على أبي تمام

اذا احببت ان تهتمي الى السر في شدة الحملة على ابي تمام بين الشعراء من

معاصريه خاصية فخذ رواية أبي الفرج الاصفهاني^١ « ما كان أحد من الشعراء يقدر ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام ، فلما مات اقتسم الناس ما كان يأخذه ... » ولم يكن هؤلاء الشعراء نفراً لا عدد لهم او لا نوع فيهم ؛ فقد قال ابن رشيق^٢ : « وليس في المولدين اشهرُ اسمًا من الحسن أبي نواس ؛ ثم حبيب والبحري ، ويقال إنهم اخملاً في زمانهما خمسماة شاعر كلهم مجيد ... » واما البحري ، وهو اشهر المولدين بعد أبي تمام فقد اعترف بقديم صاحبه فقال : « ان ابا تمام لـرئيس والاستاذ . والله ، ما اكلت الخبز إلا به »— « وكان اصل نهاية البحري ان صار الى أبي تمام في حمص فعرض عليه شعره فاستحسن ابو تمام ، وكتب الى اهل معرة النعمان وشفع له اليهم ... »^٣ — ثم لم تعرف للبحري نهاية^٤ وشهرة حتى مات ابو تمام .. اما الامدي فينكر ان يكون البحري اتصل بأبي تمام اتصالاً من يستفيد او يتوصل الى وجاهة ونهاية^٥ .

ا تم ان العلماء ذلّلوا أشعار الأوائل ولم يخلوا بالمحدثين فجهلوا الاجابة عن أشعارهم فعملوا الى الطعن عليهم ، وخصوصاً أبا تمام لأنه أقربهم عهداً وأصعبهم شرعاً^٦ .

ومن أشهر الذين ناصبوا أبا تمام العداء في حياته د عبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦^٧) كان يتباهى ويكتبه ويكتبه عليه ويضع عليه الاخبار وينسبه الى سرقه معاني الشعراء^٨ . وقد ادعى دعلب ايضاً أن أبا تمام كان يسرق منه^٩ . وبلغ من تعصبه على أبي تمام انه أنسد يوماً شعراً ثم سئل رأيه فيه فقال : « هو ، والله ، أحسن من عافية بعد يأس » . فلما قيل له : « إنه لأبي تمام » . قال : « لعله سرقه ! »^{١٠}

(١) الاغاني ١٥: ٩٨.

(٢) العيدة ١: ٦٣-٦٤.

(٣) الاغاني ١٦٨: ١٦٩.

(٤) الموازنة ٤-٢.

(٥) راجع اخبار أبي تمام ١٤-١٥.

(٦) اخبار أبي تمام ٦١، ١٨١، ١٨٢-١٨٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٠٢، راجع ٢٠٢.

(٧) اخبار أبي تمام ٦٤-٦٣ غ ١٥: ١٠١-١٠٢.

ولكن لما توفي أبو تمام عاد دعبدل فمدحه^١.
وكان من أعداء أبي تمام أيضاً ابراهيم بن المدبر (ت ٢٧٠ھ)، كان يتعصب على أبي تمام ويحطّه عن رتبته ، ويستجيد شعره ولكن لا يوفيه حقه^٢.
وكان ابن المدبر أديباً شاعراً ومن ذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال في الدولة العباسية . وقد كان صديقاً للبحري معبجاً به وبشعره ، وكان البحري يمتدحه^٣.
وكذلك كان ابن الاعرابي ، أحد أئمة اللغة ، شديد العصبية على أبي تمام ، قال مرة عن شعر أبي تمام : «إن كان هذا شعراً ، فكلام العرب باطل»^٤ ، يقصد لِما فيه من التكلف .

أنصار أبي تمام وخصومه المتأخرون

بعدئذ مضى الأدباء يؤلّفون في فضائل أبي تمام وفي مثالبه . فمن الكتب التي أُلْفَت في فضائل أبي تمام^٥ كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، وأخبار أبي تمام والمختر من شعره للسميسطائي ، وكتاب للمرزباني ، وأخبار أبي تمام ومحاسن شعره للخالديين وكتاب سرقات البحري من أبي تمام لأبي ضياء النصبي^٦. ومن الذين أُلْفوا في مثالب أبي تمام أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبو العباس أحمد بن عبيد الله القسطري^٧ ورجل اسمه عبدالكريم .

وغير زمن لم يكن فيه بين يدي الأدباء والدارسين سوى كتاب المازنة للآمدي . ولقد فطن بعض المؤلفين لتحامل الآمدي على أبي تمام ومحاباته للبحري فقال

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٢ .

(٢) أخبار أبي تمام ٩٧ ، ١٧٥ .

(٣) أخبار البحري ١١٣، ٢٦، ١٢٤، ١١٨، ١١٤، ١٢٦، ١٥٧، ١٣٤، ١٢٦ .

(٤) أخبار أبي تمام ١٧٦-١٧٥ ، راجع ١٧٧ ثم ٢٤٤ وأخبار البحري ١٤٧ .

(٥) الفهرست (القاهرة) ١٩٢-١٩٠ ، ٢١٥، ٢١٣، ١٩٢ . ٢٤١، ٢٤٠، ٢٢٠ .

(٦) الفهرست ٢١٣ .

ابن النديم : « ان في الآمني تحاماً على أبي تمام » ، ونسبة الشريف المرتضى الى الغلو في انتقاد أبي تمام ^١ . ويخبرنا ياقوت ^٢ ذلك بتفصيل واف فيقول : ولأبي القاسم (الآمني) تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها ، منها كتاب موازنة بين أبي تمام والبحري ... وهو كتاب حسن وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل مع البحري فيما أورده والتعصب على أبي تمام فيما ذكره ... فإنه جد واجتهد في طمس محسن أبي تمام وتزيين مزدوج البحري ... » وياقوت لا ينكر فضائل البحري بل يقول : « لو انصف (الآمني) وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محسن البحري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام » . وفي العام ١٩٣٧ صدر كتاب أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ^٣ فأصبح بين يدي الدارسين حياة أبي تمام وشعره – لحسن حظ أبي تمام وحسن حظ الأدب – مصدر يمثل وجهة نظر المنصفين لأبي تمام في وجه موازنة الآمني .

دفاع أبي الفرج

لأبي الفرج الاصفهاني دفاع عن أبي تمام يتكاً في الأدب الرفيع والخلق النبيل . قال أبو الفرج ^٤ :

« وفي عصرنا هذا من يتغنى به فيفترط حتى يفضل على كل سالف وخالفه ؛ وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويظرون محسنه ،

(١) الشهاب في الشباب والشاب (قطنطينية ١٣٠٢) ص ٤ وما بعدها .

(٢) معجم الأدباء ٥٩:٣ .

(٣) نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندسي (القاهرة ، مطبعة بلدية التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦-١٩٣٧) . حينما كانت في المانيا عُثرت على هذه المخطوطة في المكتبة العامة في برلين (رقم مخطوطات شرقية ١٩٣٢-٢٢) فاستخرجت لها صورة وعكفت على دراستها . ففي يوم من الأيام رأيت في القسم الشرقي من مكتبة برلين السيد نظير الإسلام يصل على المخطوطة نفسها وأخبرني أنه يعمل على المخطوطة بحلوها أطروحة له ثم قص على قصة أدبيين مصريين عرفوا بالمخطوطة وكادا يسبقاً في نشرها . بعدئذ سأله أن يضم جهوده إلى جهودها .

(٤) الأغاني ١٥:٩٦؛ ١٢:٦٧ (بولاق ٧٠:١٢) .

ويستعملون القحّة والمكابرة في ذلك ليقول الحاصل بهم أنهم لم يبلغوا علم هذا وتميّزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب . وهذا مما يتكتسب به كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه ، وما جرى مجرّد من ثلب الناس وطلب معائبهم . سبباً للترفع وطلبًا للرئاسة . وليس اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطة احسانه . ولو كثرت اساءته ايضاً ثم احسن لم يُقل له عند الاحسان اسأات ، ولا عند الصواب اخطأت ! والتوسط في كل شيء اجمل ، والحق احق ان يتبع ...

« ... وقد فضل ابا تمام من الروءاء والكراء والشعراء من لا يشق الطاعون عليه غباره ولا يدركون ، - وان جدوا - آثاره ؛ وما رأي الناس بعده الى حيث انتهوا له في جده نظيرًا ولا شكلا ... وكان في ابن مهرويه تحامل على ابي تمام لا يضر ابا تمام هذا منه ، وما اقل ما يقدح مثل هذا في مثل ابي تمام ». .

مهاجاته الشعراء

هجا ابا تمام شعراء كثيرون ، فرد ابو تمام على بعضهم ولم يلتفت الى البعض . من هؤلاء جميعاً^٢ دعبدل بن علي ومخنند بن بكار الموصلي وعبدالصمد بن المعتدل الشاعر البصري وشاعر اسمه الوليد . ومنهم خالد الكاتب وعبدالله الكاتب ومحمد بن يزيد ، ويوسف السراج الشاعر المصري وعتبة بن أبي عاصم ، ومحمد ابن وهب الحميري الشاعر ومحمد بن الحسن الشاعر .

(١) راجع أخبار أبي تمام ٤٤٥ ، ورثا ابن مهرويه أبا تمام (ص ٢٧٩) .

(٢) راجع في ما يلي كله : الاغاني ٢١:٣٤ ؛ وفيات ١:١٥٠ ؛ العدة ١:٧٠ ؛ ديوان خ ٤٨٧-٤٨٥ ، ٤٨٧-٤٩٤ ، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩١ الخ ؛ أخبار أبي تمام ٣٤ ، ٢٤٣-٢٣٥ ، ٤٢١ . ٤٢٢-٤٢١

آشَارُهُ وَأَشَرُهُ

لا إخالي اعرف شاعراً مؤلفاً قبل العصر العباسي ؟ اما في العصر العباسي فقد كان من الشعراء المقلين كتاب^١ (في الدواوين) . من هؤلاء الشعراء : عبد الله بن المفعع (الكاتب المشنوي)، محمد بن عبد الملك الزيات، سليمان بن وهب، عمرو بن مساعدة، احمد بن المدبّر، احمد بن يحيى البلاذري المؤرخ، والخالديان محمد وسعيد ؟ وغيرهم من هم اقل شهرة^٢ ؛ ومن هؤلاء ايضاً بشير بن المعتمر^٣ لأنـه « نقل من الكتب من معانٍ شتى الى الشعر ». اما بعد ابي تمام فهنا لك البحري ، وابن المعز ، والسرى الرفاء ، وابو العلاء الموري ؟ فهم مؤلفون بالمعنى الذي نفهمه اليوم .

وأشهر الشعراء المؤلفين . حاشا أبا العلاء الموري الشاعر المكث وعبد الله بن المفعع الشاعر المقل^٤ ، أبو تمام الطائي . ذكر ابن النديم^٥ لأبي تمام أربعة مؤلفات هي : كتاب الحماسة ، كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيارات من شعر القبائل ثم كتاب الفحول . وقد عُيِّن السيد محسن الامين^٦ ببعض اعداد

(١) الفهرست ٢٢٩-٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٠ وما بعدها

(٢) الفهرست ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ؛ في أعيان الشيعة (١٩ : ٤٨٩) خمسة مؤلفات ، وذلك وهم (راجع تحت ، الكلام على الحمامة الصفرى).

(٤) أعيان الشيعة ١٩: ٤٨٦-٤٩٨ ؛ راجع أيضاً حركة التأليف عند العرب ١: ٩٥-١٠٤ . في ما يتعلق بكتاب الحمامة وحده .

هذه المؤلفات وبأقوال مؤرخي الأدب فيها وفي أمثلها عنابة فائقة . وفي ما يلي
صف موجز لهذه المؤلفات :

١ - ديوان الحماسة ، أو كتاب الحماسة ، أو الحماسة الكبرى ^١ :

زار أبو تمام عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان يقيم في نيسابور ، ومدحه ثم عاد وشيكاً . وفي أثناء رجوعه اعتبر ضه الثلج عند مدينة همدان – وكان الشتاء في ذلك العام شديداً ^٢ – فمال إلى صديق له هناك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريثما يذوب الثلج فيستطيع أن يتبع سيره إلى العراق .

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيمة فانصرف إليها أبو تمام وجاء من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قبل . وقد اختار أبو تمام في « ديوان الحماسة » نحو سبعمائة وثمانين قطعة لحو أربعمائة وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولا سيما المغمورين منهم ، سوى المجاهيل ^٣ .

في « ديوان الحماسة » نحو عشر أبيات مفردة ^٤ ، ثم هناك بعض مختارات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أسطر من الرجز ^٥ . ولكن معظم المختارات تتتألف من مقطوعات يترواح عددها بين بيتين وبين عشرة أبيات . وفي الحماسة أيضاً مقاطع قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين . أما المقاطع التي يزيد عدد

(١) راجع فوق ، ص ٣٢ ؛ هبة الأيام ٩ ، ١٣٨ ، أعيان الشيعة ١٩:٤٨٦-٤٩٠ ، حركة التأليف عند العرب ١:٩٥-١٠٢ . GAL. Suppl. I 136 ff.

(٢) أوائل ٥٢٢ = أوائل ٨٣٧ م .

(٣) بعض مقاطع الحماسة منسوبة هكذا : قال بعض بنى بولان من طيء – قال أعرابي قتل أخوه أباً له – قال رجل من بنى تميم – وقال آخر – قال بعض بنى أسد – قالت امرأة من طيء – قالت غيرها – قال أعرابي – قال بعض المدنيين الخ . ويبلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين شاعراً يمكننا أن ننسب نحو ثلاثين منهم على وجه الإيقان أو الظن .

(٤) ديوان الحماسة ٢: ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٤ .

(٥) ديوان الحماسة ٢: ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٧ .

أبياتها على عشرين فهي ست : قصيدة السموأل بن عاديا : « اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه »^١ وقصيدة المنخل بن الحارث اليشكري : « ان كنت عاذلني فسيري »^٢ ، وكل واحدة منها اثنان وعشرون بيتاً. ثم هنالك قصيدة العُدَيْل ابن الفَرَّاح العجلي : « ألا يا إسلامي ، ذات الدِّمَالِيج والعَقْد »^٣ ، وقصيدة يزيد ابن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرأ : « يا بدر ، والامثال يضر بها لذى اللب الحكيم »^٤ ، وكل واحدة منها ثلاثة وعشرون بيتاً. وتأتي بعدهن قصيدة تربط شرا : « ان بالشِّعْب الذي دون سَلْعٍ ... »^٥ ، وهي ستة وعشرون بيتاً. أما أطول مقاطع الحِمَاسَة اطلاقاً فهي قصيدة زياد بن حَمَّال بن سعد^٦ :

لا حَبَّذا أَنْتَ ، يا صنَاعَ ، مِنْ بَلْدٍ ولا شَعْبٍ – هُوَ مِنِي – وَلَا نَقْمٌ^٧ ،
فَانْهَا أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ بَيْتاً.

واختار أبو تمام في الحِمَاسَة مقاطع جمِيع الشعراء المقلين والمكثرين ، والمشهورين والمغموريين ، والقدماء والمحدثين ، وإن كان جل اهتمامه بالمقلين المغموريين القدماء . أما المشاهير فضمت الحِمَاسَة منهم المهلل وطرفة وعرو بن كلثوم وعنترة والنابغة في الباهلين ، وحسان والخسأن والفرزدق والاختلط وجميل بن معمر في الاسميين ، وأبا العناية والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد ثم بكر بن النطّاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين .
والمفروض أن يكون أبو تمام قد اختار في الحِمَاسَة مقطوعة واحدة لكل شاعر

(١) ديوان المهاة ١: ٤٠-٣٦ .

(٢) ديوان المهاة ١: ٢٠٨-٢١١ .

(٣) ديوان المهاة ١: ٣٠٨-٣١٣ .

(٤) ديوان المهاة ٢: ٤٥-٤٠ .

(٥) ديوان المهاة ١: ٣٤٨-٣٥٣ .

(٦) ديوان المهاة ٢: ١٤٤-١٥٤ .

(٧) صناء : حاصمة اليمن ، وشَعْب بفتح الشين (القاموس ١: ٧٨) مكان في اليمن ، قصر عال أو متزلج ذو بساتين ورياض في ظاهر صناء . نقم (بضم النون) : قرية في اليمن (القاموس ٤: ١٨٣) ، بلدة في اليمن ، او جبل عال فيها - ليس فيك ، يا يمن ، شيء أحبه ، لا صناء ولا شَعْب ولا نقم .

استجاد شعره ، ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثة لسيوا قليلين . أما الذين اختار لهم أربع مقطوعات أو خمساً أو ستة فأنهم قليلون جداً . فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان ، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر إسلامي .

وتنقسم الحماسة عشرة أبواب ، هي عشرة فنون من الشعر : الحماسة – المرأى – الأدب (الحكمة) – النسيب – الممجاء – الأضياف والمديح – الصفات (الوصف الحسي) – السير والنعاس – الملائحة (النكت والفكاهة والاحماس والمجون) – مدحنة النساء . وقد سمي أبو تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه « الحماسة »^١ ، وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع الفيم .

واشتهر كتاب الحماسة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به . فإذا قلنا اليوم « ديوان الحماسة » فإننا نعني ديوان الحماسة لأبي تمام . وقد دل ديوان الحماسة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزاره علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قيل إن أباً تمام كان في اختياره لديوان الحماسة أشعر منه في شعره^٢ . ومن أوجه الأهمية لديوان الحماسة أنها نجد فيه أشعاراً لا نعرفها في مكان آخر .

ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماسة فوجدها أربعة وثلاثين شرحاً^٣ بعضها شروح عامة كشرح الإمام المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ للهجرة ، وشرح الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ للهجرة . ومنها أيضاً شروح خاصة

(١) الحماسة ، في الأصل ، الشدة في الدين والقتال ، ثم هي الشجاعة (راجع القاموس ٢٠٨: ٢) . والحماسة أيضاً هي الشعر الذي يقال في القتال وفي التجدد في المصائب والقصوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أي فن من فنون الشعر جاءت هذه الخصائص (راجع شرح الحماسة للتبريزى) .

(٢) خمسة شعراء جاهليون ، للمؤلف ص ٢٧٤، ٢٥ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩: ٤٩٤-٤٩٠ ، راجع حركة التأليف عند العرب ٩٩-٩٨ . أما أحمد أمين وعبد السلام هارون فقد أحصيا نحو ثلاثة شرحاً (شرح ديوان الحماسة المرزوقي ١: ١١-١٥ من التقديم) . ولعلهما كرراً اسم الصولي مرتين (رقم ١٣ و ١١ و جعلا وفاته مرتين سنة ٥٣٣٥ ومرة سنة ٥٤٧٦) .

تناول أوجهاً معينة من هذا الديوان العظيم . فهناك المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جيني ، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماسة لأبي هلال العسكري .

٢ - الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيات :

جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أبي القداماء) ورتبه على عشرة أبواب هي أبواب الحماسة الكبرى نفسها . ويبدو أن الحماسة الصغرى قصائد طوال . ووهم السيد محسن الأمين مرة^٢ فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً غير الحماسة الصغرى .

٣ - كتاب الفحول ، أو كتاب فحول الشعراء ، أو كتاب اختيار شعراء الفحول^٣ :

هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الباهليين والمخضرمين والاسلاميين على الانواع^٤؛ وينتهي بابن هرمة .

٤ - كتاب الاختيار من شعر القبائل : ويسميه السيد محسن الأمين «الاختيار القبائي الأكبر» ويدرك أنه رآه^٥؛ ولعله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء^٦ . ٥ - الاختيار القبائي الأصغر ، اختيار فيه أبو تمام مقاطع من محاسن أشعار القبائل . ومعظمها لغير المشهورين^٧ .

٦ - اختيار المقطوعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار المشهورين ولغير المشهورين من القدماء والمتاخرين . وهو يبدأ بأشعار الغزل^٨ .

(١) وفيات الاعيان ، مقدمة الحماسة (فرياتاغ) ،

الاغاني ٣٤٦:١ ، الحاشية ١ ، أعيان الشيعة ٤٩٥:١٩ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩:٤٨٩ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩:٤٩٥-٤٩٦ ؛ وفيات (مطبعة الوطن) ١:٢١٤ .

(٤) الفهرست .

(٥) الفهرست ١٦٥ ؛ أعيان الشيعة ١٩:٤٩٦ .

(٦) الفهرست ١٦٥ ؛ وفيات ١:٢١٤ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩:٤٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩:٤٩٦ .

مقلدو أبي تمام

وقد أبا تمام نفرٌ من الشعراء والأدباء والقادة في جمع مجاميع من الشعر يُعرف كل واحد منها باسم «الحماسة» أيضًا: وقد وصل إلينا من هذه المجاميع^٢ :

١—**حماسة البحري** — البحري (ت = ٨٩٧=٥٢٨٤ م) تلميذ أبي تمام وكان يتشبه به وينحو نحوه^٣ ، فألف «كتاب الحماسة» على مثال حماسة أبي تمام^٤. على أن البحري عني بالأغراض — بالمعنى المفصلة : حدل النفس على المكروره ، مجاملة الأعداء ... الآفة... ركوب الموت خشية العار ... مؤاخاة الكرام الخ^٥ ، لا بالفنون (الحماسة . المراثي . الهجاء ...) كما فعل أبو تمام .

٢—**حماسة الحالديين** — الحالديان هما أبو بكر محمد وابو سعيد عثمان أبا هاشم ، وكانوا من أحياء القرن المجري الرابع ومن الذين كانوا في بلاط سيف الدولة^٦ ، «لهم من الكتب حماسة شعر المحدثين» .

٣—**الحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري** (ت = ٣٩٥ - ١٠٠٥ م) .

٤—**حماسة أحمد بن فارس** (٣٢٩ - ٣٩٥ م) الأديب اللغوي المشهور^٧ .

٥—**الحماسة لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوى** (ت = ٥٤٢ م - ١١٤٧ م) ، وتعرف بمحنارات الشجري . هذا المجموع يضم أبواباً يتناول بعضها فنوناً من الشعر كالمدح والمراي ... ويتناول بعضها الآخر أغراضًا ومعاني

(١) أعيان الشيعة: ١٩: ٤٩٦ .

(٢) راجع أعيان الشيعة: ١٩: ٤٩٤-٤٩٥ ، حركة التأليف: ١: ٩٩-١٠٤ .

(٣) معجم الأدباء لياقوت لياقوت: ٧: ٢٢٧ .

(٤) الفهرست: ١٦٥ (طبعة الوطن) : ١: ٢١٤ .

(٥) حركة التأليف: ١: ١٠٠-١٠١ .

(٦) راجع الفهرست: ١٦٩ ؛ حركة التأليف: ١: ٩٨ ؛ «لما الاشباء والنظائر من اشعار المقدمين والماهليين والمخضرمين في الكتبخانة المديبرية المصرية (فهرست الكتبخانة: ٤: ٢٠٢) .

وقد طبع هذه الكتاب في القاهرة ، عام ١٩٥٨ (حققة وعلق عليه محمد يوسف) .

(٧) حركة التأليف عند العرب: ١: ٩٨ .

- جزئية : فهو لذلك وسط بين حماسة أبي تمام وحماسة البحترى ^١ .
- ٦ - الحماسة ^٢ للأعلم الشنتمرى الاندلسي (ت ٤٧٦ هـ) .
- ٧ - الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشيم الحليلي (ت ٦٠١ هـ) ، وهي تتألف من أربعة عشر باباً .
- ٨ - الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (قتل ٦٤٧ هـ) .
- ٩ - الحماسة المغربية لأبي الحجاج بن محمد الاندلسي البياسي (ت ٦٥٣ هـ ١٢٥٥ م) ، وهي حماسة كبيرة تقع في مجلدين . وقد كان تأليفها في تونس سنة ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م) .

ديوان أبي تمام والشروح عليه

يبدو أن النسخة التي وصلتلينا من ديوان أبي تمام هي النسخة التي صنعتها علي بن حمزة الاصفهاني ^٣ ، وهي النسخة المتداولة في الطبع . هذه النسخة مرتبة على الفنون ^٤ ، وكل فن فيها مرتب على الحروف .

وقد كانت العناية بشعر أبي تمام كثيرة ، فقد شرحه نفر من المشاهير ^٥ . ان أقدم الشروح التي وصلتلينا وافية كاملة شرح أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . كان الصولي من المُعنجَّبين بشعر أبي تمام ومن المتعصبين له جمع نخبة صالحة من أخباره وشعره ثم شرح ديوانه . وشرح الصولي موجز مقتصر على معاني الآيات . ثم هو قليل التعرض لمسائل اللغة والنحو ، الا أنه يورد أحياناً

(١) مثله ١٠٢:١ ١٠٣-١٠٤ . وقد طبعت حماسة الشجري في حيدر آباد (الدنك) بالمند ١٣٤٥ هـ .

(٢) يظن ابن خلkan أنه كان يملك شرحاً للحمسة بقلم الأعلم الشنتمرى في خمسة مجلدات (وفيات ، مطبعة الوطن ٣: ٤٢٧) .

(٣) يذكر محمد عبده عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ٤٤:١ من المقدمة) أن نسخة الاسكوريا تبلغ ١٣٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً ، وهذا يجعل أبيات الديوان نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت .

(٤) راجع مطلع الفصل الثاني .

(٥) راجع مقدمة محمد عبده عزام لـ ديوان أبي تمام بشرح التبريزى ١: ٢٠-٣١ .

أشياء من الأخبار تعين القارئ على فهم الآيات التي تتعلق تلك الأخبار بها من قرب أو بعد . وشرح الصولي يتناول النصف الأول من الديوان .

وبعد الصولي في الزمن يأتي الإمام الحارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ، وهو من شرّاح ديوان أبي تمام المتقدّمين ، غير أن أكثر شرحه فاصل على التفسير اللغوي .

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشعره في كتابه « الموازنة ». وقد كان الأمدي من أنصار البحري . وفي شرح الأمدي كثير من النقد والحدل يحاول الأمدي أن يبرر بهما تحامله على أبي تمام ؛ وربما عمد إلى تبديل روایة أو إلى اختلاف روایة رأساً للحط من شعر أبي تمام .

ثم يأتي أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وهو من المعجبين بأبي تمام المتعصّبين له . والمرزوقي كثیر العناية ، في شرحه ، بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعانی ويحاول ان يصحح الروایات التي لا يرضها بالملأوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب الشعراء ، وقلما جأ إلى ما رُويَ في نسخ الديوان . وللمرزوقي كتاب الانتصار من ظلمة أبي تمام^١ .

وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) في عصر المرزوقي . وهو من أشدّ المعجبين بأبي تمام وبشعره ، شرح ديوان أبي تمام وسماه « ذكرى حبيب » اعجاًباً بالتورية بين « حبيب » بمعنى المحبوب المشوق وبين « حبيب » بن أوس (اسم أبي تمام) .

وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى ، وفيه استطراد كثیر في اللغة وفي تفسير المعانی . والمعري يريد أن يكون كل قول لأبي تمام جميلاً ، فهو يدافع عن معانی أبي تمام بكل سبيل .

ثم يأتي الخطيب التبريزی (ت ٥١٢ هـ) تلميذ المعري . وشرح التبريزی

(1) Hss. (Berlin), Ahlw. 7539 (GAL I 85).

لشعر أبي تمام يقوم في الأكثـر على الجمع بين شروح المتقدمين والآتيان بشرح
ديوان أبي تمام كاملاً .

ومن هذه السلسلة في اعقاب الدولة العباسية أبو البركات المبارك بن أحمد
المعروف بـ ابن المستوفى الـأربـليـ المتوفـيـ فيـ المـوـصـلـ فـيـ ١٦ـ رـمـضـانـ مـنـ سـنـةـ ٦٣٨ـ (١٢٤١ـ مـ) لـهـ كـتـابـ النـظـامـ فـيـ شـرـحـ شـعـرـ الـمـتـبـيـ وـأـبـيـ تـمـامـ فـيـ عـشـرـ مـجـلـدـاتـ .
وـابـنـ الـمـسـتـوـفـيـ يـجـمـعـ شـرـحـ الشـرـاحـ عـلـىـ شـعـرـ أـبـيـ تـمـامـ مـنـذـ أـيـامـ الصـوـلـيـ ،ـ وـهـوـ
عـالـمـ حـقـقـ أـمـيـنـ يـنـسـبـ كـلـ قـوـلـ مـنـ أـقـوـالـ الشـارـحـينـ إـلـىـ صـاحـبـهـ ،ـ وـقـدـ يـعـقـبـ
عـلـىـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ .^٢

(١) وفيات الاعيان (مصر ، مطبعة الوطن ١٩٩٩ م) ٢٠٦-٢١٠ .

(٢) محمد عبد عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبرizi ١: ٣٩-٤٣) .

فنون أبي تمام وأغراضه

ليس ديوان أبي تمام كغير الحجم بالإضافة إلى دواوين أمثاله من الشعراء كأبي نواس والبحري وابن الرومي وغيرهم من معوا في سماء الأدب العربي وحازوا امارته على الدهر ، واتصلوا بوجالات العرب والاسلام في السياسة والمجتمع . وابو تمام ككل الشعراء العرب – اذا استثنينا نفراً كالعباس بن الاخف وعمر بن القارض وأمثالهما – خاض في فنون الشعر جميعها ، ولكنه اكتسب شهرته بفنين منها : المدح والرثاء . ومع ان شعره في الرثاء اقل حجماً من شعره في المدح فانه لا يقل عنه قيمة ، بل ربما فاقه .

يحرص أصحاب الآثار على أن يجمعوا آثارهم في حياتهم . ومن الواضح أن آثارهم لا تم عادة إلا بتمام حياتهم . ومن هذا القبيل يجب أن نفهم الرواية عن عثمان بن المثنى القرطبي المتوفى سنة ٢٧٣ للهجرة (٨٨٦ - ٨٨٧ م) أنه « رحل إلى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه ^١ » ولما بدأ ابن النديم ^٢ تأليف كتابه « الفهرست » كان شعر أبي تمام لا يزال مفرقاً ، غير مجموع جمعاً منسقاً على طريقة ما ، فقد رره بنحو مائتي ورقة ، أي أربعة

(١) تاريخ العلامة والرواية للعلم بالأندلس لمحمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن القرشي ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٣٧٣ م ، ٣٤٦:١ .

(٢) انتهى ابن النديم من تأليف كتاب « الفهرست » سنة ٩٨٧ (٥٢٧ هـ) ، وتوفي يوم الأربعاء عشر بقين من شعبان سنة ٢٨٥ (أيلول ٩٩٥) .

آلاف بيتٍ^١. ثم جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٠ للهجرة^٢ فعمله مرتبًا على الحروف في نحو ثلاثة صفحات^٣ ، أي ستة آلاف بيت . وكذلك صنعه علي بن حمزة الاصفهاني^٤ على الأنواع .

وبمراجعة الديوان يتضح لنا أن تقدير ابن النديم كان قريباً من الصواب . فإذا نحن اعتبرنا الديوان^٥ . وجدنا أنه يضم نحو ٦٧٣١ بيتاً موزعة كما يلي ، على وجه التقرير : باب المدح ٤٤٧ بيتاً ، باب الرثاء ٦٦٧ بيتاً ، باب العتاب ٢٥٦ بيتاً باب الوصف ١٧٧ بيتاً ، باب الغزل ٥٥٧ بيتاً ، باب الفخر ١٥٥ بيتاً ، باب الوعظ ٤٦ بيتاً ، باب المجاه ٥٢٦ بيتاً .

وأغراض أبي تمام المفرقة في الأبواب السابقة – ولا سيما في بابي المدح والرثاء – كثيرة جداً . فمما يدل على كثرتها والإجادة فيها ما ورد لأبي تمام من مقاطع المختلفة المنتشرة في «كتاب الزهرة» لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني . وموضع الشاهد في ذلك أن كتاب الزهرة مؤلف في الحب والغزل وأحوالهما ، وأبو تمام ليس من فرسان هذين الميدانين . فإذا كان شاعرنا قد تناول هذه الأغراض التي ليست من جوانب عقريته بمثل هذا البسر والسرعة والإجادة ، فما بالك بالأغراض التي تقوم عليها عقريته !

اختار أبو بكر الاصفهاني في كتابه «الزهرة» مقاطع قصاراً تبلغ عشرة آلاف بيت نصفها في أحوال الحب وما يتصل بها لشعراء قدماء ومحدثين

(١) الفهرست ١٦٥ . يذكر ابن النديم (الفهرست ١٥٩) أن الورقة تضم عشرين بيتاً من الشعر .

(٢) الفهرست ١٥١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ .

(٤) الفهرست ١٦٥ .

(٥) فسر ألفاظه اللغوية ر وقف على طبعه محبي الدين الخياط . طبع بمعنازرة والتزام محمد جمال (بيروت ١٣٢٣ - ٩٠٥ م) - راجع تاريخ طبع الديوان بحساب الجمل على الصفحة «يو» ، للشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ حسين الحبالي . وقد أغفل محبي الدين الخياط إرداد جانب من هجاء أبي تمام الذي يمس بالآداب (الديوان ٤٨٥) . ويدو أيضاً أن الأبواب الأخرى تنقص عدداً آخر من الآيات .

ثم فرقها في مائة باب . ولكن لم يطبع الى اليوم من كتاب الزهرة الا نصفه فقط ١ . وكان الاصفهاني قد شرط على نفسه أن يورد المختارات مجردة من التعليق الا اذا كان فيها ما يزيد على غيره في الحسن والجودة زيادة ظاهرة ٢ . ثم انه تشدد فلم يجد استحسانه الا عند ايراد ثمان وأربعين مقطوعة كان لأبي تمام وحده تسع منها ٣ . أما مجموع الأبيات التي اختارها الاصفهاني من شعر أبي تمام ، في النصف الأول من كتاب الزهرة ، فبلغ مائة واثنين وسبعين بيتاً تولّف سبعاً وخمسين مقطوعة تتفرق في تسعه وعشرين باباً من أبواب الكتاب ٤ .

١ – المدح

لا يستطيع دارس ان يعتمد في نقد «المدح» على مدادع الشاعر ابداً؛ فهي لا تدل غالباً على المادح ولا على المدوح دلالةً صادقة . لأن حماسة الشاعر تزيد أو تنقص حسب زيادة امله او نقصه في نوال المدوح . وكثيراً ما رأينا شاعراً يمدح شخصاً ثم يعاشه ثم يهجوه؛ ومن هؤلاء ابو تمام .

عرف ابو تمام كيف يصرف مدحه، فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم ٥؛ واذا علمنا ان المدح لإرضاء المدوح فحسب غفراناً كثيراً من ذنوب ابي تمام وأهملنا اكثر ما يأخذ به بالفقد .

كان الناس في غمرة من الثقافة الفارسية يُوَلِّون او جههم شطرها في أكثر امور دنياهم ، فلم يكن نصيب الأدب أقلَّ من نصيب غيره حتى أصبحت بغداد على الحقيقة قطعة من بلاد الفرس . ثم كانت نكبة البرامكة . وفورة الزندقة .

- (١) النصف الاول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داوود الاصفهاني ، اعني بنشر الدكتور لويس نيكيل البوهيمي بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبد الفتاح طوقان (طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٢ م - ١٢٥١ھ).
- (٢) كتاب الزهرة ٧ ، أشار الاصفهاني الى عدد من المعاني القبيحة في بابها ، ص ٢٦ .
- (٣) كتاب الزهرة ٤٠ ، ٤٤٤٣٨ ، ١١٤٠١١٠ ، ١٩٢٤ ، ١١٤٠١١٠ ، ٣٠٢٠ ، ٣٢٦٢٢٤٣٠٢٠ .
- (٤) داجع فهرس كتاب الزهرة ، ص ٣٧٥ .
- (٥) الأغاني ١٥ : ٩٨ .

وصلف الشعوبية ، وفتنة بابك ، ومجيء الأتراء فهم الناس – في الظاهر على الأقل – عن الفرس ميَّلةً واحدة واستيقظت فيهم الروح العربية وحثتُوا إلى البدية وأوانها من جديد ؛ مع أن الشعراء لم يكونوا قد انصرفوا عنها فقط ، خصوصاً في أماديجهم .

يمتاز مدح أبي تمام بأربعة مظاهر احتاز بها حقوق الشعراء جميعاً .

(أ) الاشادة بالقومية العربية والدين الإسلامي : فهو يستمد منها تاريناً عظمة وشهامة ينثرها في مدارنه ، وقد استطاع من أجل ذلك أن يفوز باعجاب بنى العباس مع احتفاظه بحب آل البيت . ولا ننسَ أن الميل إلىبني علي كان جريمة يومذاك .

من ذلك قوله في مدح المؤمن :

والكفر فيه تغطرس وعِرَامٌ^١.
أَسْرَجْنَ فِكْرَكَ ، وَالبَلَادُ ظَلَامٌ^٢.
حسن اليقين . وقاده الإقدام ،
ش næعَ لِيَسْ لِتَضَهَا إِبْرَامٌ ؟
في هَبُوتِيهِ وَالْكُمَّاهَ صِيَامٌ^٣.
وَاللهُ فِيهِ ، وَانتَ ، وَالاسلام !
هِيَجَاءَ ، إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ^٤.

لما رأيتَ الدينَ يخنقُ قلبَه ؛
أُورَيْتَ زَنْدَ عَزَّامَ تَحْتَ الدُّجَى
فَهَضَتَ تَسْحَبُ ذِيلَ جَيْشَ سَاقِهِ
حَتَّى نَقَضَتِ الرُّومَ مِنْهُ بِوَقْعَةٍ
فِي مَعْرَكَ ، أَمَّا الْحِمَامُ فَمُفْطَرٌ
مَا كَانَ لِإِلَشَرَاكِ فُورَةَ مَشَهَدٍ
لَمْ يُقْرَرْ هَذَا السِّيفُ هَذَا الصَّبَرُ فِي

ومدح الواثق فقال :

كرم ، يذوب المُزْنُ^٥ منه ، ولَئِنْ :

يا ابنَ الْخَلَافَ : انْ بِرْدَكَ مَلْوَهٌ

(١) تغطرس : تكبر وتطاول وظلم . عرام : شدة وشرامة .

(٢) العمام : الموت . العمام منظر : يأكل من المحاربين بهم . والكلمة : (الابطال ، المحاربون) صيام قائمون على حذر ومسكون عن كل شيء . (عن الطعام وعن كل شيء غير القتال) . المبرة : الفبار الذي يشبه الدخان ويكون في الممارك عادة .

(٣) ما صبر الناس ، والسيوف بآيديهم ، مثل هذا الصبر في حرب ما لا انصر الاسلام .

نور عليه ، من النبي ، مبين .
مهدي ، والمعصوم ، والمأمون .
ظل المدّى غاب لهم وعرين .
سُور عليه من القرآن ^١ حصين .
والهند بعض ثغورها والصين .

وليس أحسن في هذا المقام من الاكتفاء بالاشارة الى قصيدة «فتح الفتوح» ^٢ .
و قريب من هذا قوله في مدح ابي سعيد الشعري بعد وقعة بابل :

من وقعة ، ام بنو العباس ، ام ادد ^٣ .
بأسرها ، واكتسي فخرآ به الأبد ؛
يَذْمُمْهُ بدرٌ ولم يُفْضِحْ به أَحَدٌ ؛
إِنْ لَمْ تَتُّبْ - أَنَّه لِلسيفِ مَا تَلَدَّ .
ان العُلُى حسن ^٤ في مثلها الحسد !

نور من الماضي عليك ؛ كأن
يسمو بك السفاح ، والنصرور ، والا
فرسان ^٥ مملكة ، أسود خلافة
قوم غدا الميراث مضروبا لهم
قد أصبح الاسلام في سلطانها ؛

تأله أدرى الاسلام يشكرها
يوم ^٦ به أخذ الاسلام زينته
يوم يجيء ، إذا قام الحساب ، ولم
لم تبق مشركة إلا وقد علمت -
فاعذر حسودك فيما قد خُصصت به ؛

(ب) استخدام الحوادث القديمة والحديثة : اذا كان لها علاقة بالمذكور او
بالآل او بقبيلته او بقومه ، ليُرتفع بها من شأنه ويُشهّر مناقبه ويُظهر مناسباته ويُبيّن
معامله وشرف مقامه . ان أبي تمام لا يغفل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة
يخلو أوجّهها . وهذا يُمكّننا أحياناً من تعين تاريخ قصائده .

مدح أبو تمام ابا دلف العجلي فقال مشيراً الى قومه ^٧ .

اذا افتخرت يوماً تميم ^٨ بقوسها ،
وزادت على ما وطدت من مناقب ،
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب .

(١) القرآن (بتسهيل المزرة) لغة في القرآن .

(٢) راجع في المختارات : السيف اصدق انباء من الكتب !

(٣) القسم المنفي تقديره (وانه آتي لا ادرى ...) ، ادد : قبيلة الملوخ .

(٤) يوم الحساب : يوم القيمة ؛ بدر واحد غزو وتان من غزوات النبي صل الله عليه وسلم .

(٥) راجع المختارات .

محاسنٌ من مجدِّي متى تقرِّنوا بها محاسنَ أقوامٍ تكنُ كالمعائب .
 ومدح أبو تمامَ محمدَ بن عبدِ المللِك بن صالحِ الهاشمي فقال فيه^١ :
 نرمي بأشباحنا إلى مسلكِ نأخذ من ماله ومن أدبه .
 نجمُ بني صالحٍ ؛ وهم أنجومُ عالمٍ من عجمِه ومن عربِه .
 رهط النبي ، الذي تقطَّعَ اسْبابُ بابِ البراءَا سوى سبِّبه !
 وانظر الآن كيف يحاول أبو تمام ان يجعلَ نسب خالدِ بن يزيد الشيباني في اجمل
 إهابٍ ، ويكسوه من المجد أغلى ثياب (خ ٩٨) .

مطر أبوك : أبو أهْلَة وائلٌ : ملأُ البسيطة عُدَّةً وعديداً .
 اكفاوَه تلد الرجالَ ؛ وإنما ولدُ الحنوفِ اساوداً^٢ وأسوداً .
 ورثُوا الأبوةُ والحظوظُ ؛ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلى وجدوداً^٣ .
 ومشتوٰنَ أمَّا أبي يزيدَ وحوله مشياً ، يَهُدُّ الراسيات ، وَيَهُدُّ^٤ .
 وإذا رأيتَ أبا يزيدَ في ندىٍ ووغيَّ ، ومبديءَ غارةٍ ومعيناً^٥ .
 أيقنتَ ان من السماح شجاعةَ تُدمي ؛ وأن من السماحة جوداً^٦ .

(ح) فخامةُ الألفاظ والتراكيب : يحبّ أبو تمام من الألفاظ ما ملأُ الأسماع
 ومن التراكيب ما شَغَلَ الفِكْرَ . ثم يتحick حوطها أقوالاً وآراءً يستعيدها من
 قوى الطبيعة المختلفة كالمطر والبحر والنار والحياة والموت وال الحرب ... وبعدئذ
 يتحبّكها بحكمةٍ عرَفَها أو اخترعها .

لما تغلبَ الجيشُ الإسلامي على بَابَكَ مدحُ الشاعرِ أحدَ قواده : أبا سعيد

(١) خ ٥٢ .

(٢) الاساود جمع اسود وهو الانواعان ذكر الانفعي (المية) .

(٣) الجدود الاولى : الاسلام ، والثانية : الحظوظ .

(٤) الراسيات : الجبال . ونيد : الذي فيه صوت عال ، أو فيه رزامة وتأن .

(٥) السماح والسماحة : البند ، وقصد الشاعر بالكلمة الاولى بذل النفس في المحرّب ، وبالثانية بذل المال .

محمد بن يوسف التغري فقال :

بأبطالها في جاحم متوقداً
بعزمك عط الاتحبي المضد ٢.
هناك ، فقد ول بعزم مقدم ٣.
تازر بالاقدام (فيها) وترتدى .
اذا هو لم يُؤنس برأي مسد !

وفي ارشق الهيجاء ، والخليل ترمي
عطّلت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن ولـ بشيلو مقدمـ
رآك سديد الرأي والمرمح في الوعنى
وليس يجلـيـ الكربـ رمحـ مسدـ

وأفحـ من هذا قوله في عبدالله بن طاهر ٤ :

وـ سـطـنـاـ مـلـاـ صـلـتـ عـلـيـكـ سـبـابـهـ ٤
عـلـيـ مـلـكـ الاـ ولـذـلـ جـانـبـهـ ٥
وـ آـمـلـهـ غـادـ عـلـيـهـ فـسـالـبـهـ ٦
لـ أـفـسـدـ المـاءـ الـقـرـاحـ مـعـاـبـهـ ٧.

الـ يـكـ جـزـعـنـاـ مـغـرـبـ الـمـلـكـ كـلـمـاـ
الـ مـلـكـ لـمـ يـلـقـ كـلـكـلـ بـأـسـهـ
الـ مـلـكـ سـالـبـ الـجـبارـ بـيـضـةـ مـلـكـهـ ،
فـوـالـلـهـ لـوـ لـمـ يـلـبـسـ الـدـهـرـ فـعـلـهـ

(٤) راجع المختارات ايضاً .

- (١) ارشق حصن المسلمين خرج اليه بابك ليسبو على مال ارسله المعتصم للاثنين ؛ جاحم متوقف : جمر شديد الاشعاع .
- (٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولاً (لسهولة ذلك) .
- (٣) ان لم تتركه منقطع الاعضاء (قتيل) فقد تركته خاتمة العزم (مقلولة جيوشه)
- (٤) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا النسم الغربي من الامبر طورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تخارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعنى فيه : طالب رفده (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تنشر افعاله في الدهر كله لكان معايب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

جَنَانَ ظَلَامَهُ، او رَدِيَ اَنْتَ هَايَهُ،
فَقَدْ بَثَ عَبْدَ الله خَوْفَ اَنْتَقامَهُ
عَلَى اللَّيلِ حَتَّى مَا تَدِيبَ عَقَارَبَهُ !
يَقُولُونَ : اَنَ الْلَّيْثَ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ
نَوَاجِذُهُ مَطْرُورَةٌ وَمَخَالِبَهُ^١،
وَمَا الْلَّيْثَ كُلُّ الْلَّيْثِ الاَبْنُ عَثْرَةٌ^٢ .

(د) احتفاظه بمركزه الشخصي : يضرب ابو تمام في الأرض الى مدوحه ،
فاما وصل الى ابعدهم مكاناً هان عليه ان يرجع صفر اليدين منه على ان ينال رفده
ويحمل في سبيل ذلك شيئاً من المنة ، او بيدي قليلاً من التذلل^٣ . واذا انشد فانما
ينشد جالساً ، فاما اتفق ان طرب المدوح فوقف^٤ ، وقف هو ايضاً . وقد سبق
القول في انه كان يرفع نفسه الى مركز المدوح او فوقه احياناً ، ويرفع شعره
فوق النوال الذي يأخذه .

• • •

أَمَا طُولِ القصيدة وَقَصْرُهَا وَنُوعِ لغتها وَالشَّابِيهِ فِيهَا وَالاستعارات ، حَتَّى
الْفَاعِيَةُ فَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تَخْتَلِفُ بِاِختِلَافِ الْمَدْوُحِ ؛ وَسُرِّيَ اَنَّهُ مدح ادباء وشعراء
كَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَاتِ الشَّاعِرِ الْوَزِيرِ ؛ وَابِي دَلْفِ الْعَجْلِيِّ الَّذِي اَخْذَ عَنْهُ
الادباء والفضلاء والشعراء المجددون ، وقد كان له صنعة في الغناء ايضاً ؛ وعلى
ابن محمد ... بن بسام ، وكان أدبياً شاعراً ؛ وعلى بن الجهم الشاعر البغدادي
المشهور^٥ ؛ وغيرهم . فهو اخرى أن يُجْوَدَ في مدحهم . ثم لا استغرب اذا أن

(*) وسطه ومعظمه .

(٢٠١) يعتقد الناس ان الاسد هو ساكن الاجمة ، الظاهرة انيابه واظافره ؛ ولو عقلوا لقالوا ان
الاسد (الشجاع) هو من يذنب الى عبد الله بن طاهر ثم يستطيع ان يعيش بعد ذلك مقدار
فوق الناقة (مسافة ما بين حلبين) لأن المخوف من عبد الله بن طاهر يقتله .

(٢) راجع ص ٢٧ - ٢٨ .

(٤) الاغاني ١٥ : ١٠٠ .

(٥) الاغاني ٩ : ١٠٤ - ١٢٠ .

يُمدح ابو تمام أبا المُغيث موسى بن ابراهيم الراقي^١ بخمس قصائد قوافي ثلاثة منها ثاء وسین ، وضاد ويحشر فيها : نبیث ، دُثُوث ، میث ، شُثُوث ، لوبیث ، قَدْمُوس ، شُوس ، كردوس ، اريض ، نحیض ، قبیض دھیض ، انیض ... ؟ فالمددوح امير في الشام بدوي . ولا اظنک تعجب اذا رأیت هذه الكلمات الغربية في مدحه لآل طوق من امراء عرب الشام^٢ :

شجعاء جرّتها الذمیل تلوکه أصلًا اذا راح المطّی غراثاً^٣ ؟
اجد اذا ونت المهاري ارقلت رفلا كتحریق الغضا حتحاثاً^٤ ؟

- (١) كان ابو المنيث في أيام أبي نواس فـي يكتب الحديث ، وقد شب به ابو نواس (ديوان أبي نواس ، مخطوطة برلين ٢٤٢ : يا سـي المـدعـو من جـانـبـ الطـور ... (راجع ديوان ، طبعة آصف ، مصر ١٨٩٨ ، ص ٤١٠ في موسي :
يا سـي النـي كـلمـ اللـ ... هـ وـادـنـ مـكانـهـ تـقـرـيـبـاـ .
(٢) ديوان خ ٦٥٦٤ .

(٣) شجعاء : طويلة ، مبوطة الجسم وذلك من الصفات الحميدة في الحيوان ، ثم هي نشطة . الجرة (بكسر الجم وتشديد الراء) : ما تخرجه الدابة من بطنها وتجتره (تعید مضنه) . الذمـیل : السـيرـ السـرـیـعـ . تـلوـکـهـ : تـمـضـنـهـ ، تـعـضـ عـلـیـهـ وـتـدـیرـهـ فـیـهـ . أـصـلـ (بـضمـ المـهـزـةـ وـالـصـادـ) جـمـعـ أـصـيلـ : المـشـيـةـ ، الزـمـنـ الـذـي يـسـقـ غـرـوبـ الشـمـسـ بـنـحوـ ساعـتينـ . رـاحـ : رـجـعـ فـيـ المـسـاءـ ، بلـغـ المـسـاءـ . المـطـیـ جـمـعـ مـطـیـةـ : الدـابـةـ المـمـدـدةـ (بـتشـدـیدـ الدـالـ) لـلـرـکـوبـ وـالـاسـفـارـ . غـرـاثـ (جـمـعـ غـرـاثـانـ وـغـرـاثـيـ) : جـيـاعـ . – هـذـهـ النـافـةـ الـتـي أـرـکـبـاـهـاـ آـنـاـ فـیـ سـفـرـیـ مـبـوـطـةـ بـلـسـمـ نـشـيـطـةـ ، تـسـرـعـ فـیـ السـرـ . وـالـاسـرـاعـ فـیـ السـيرـ هـنـ هـنـ عـلـيـهـ لـأـنـهـ طـبـیـعـةـ فـیـهـ (كالـاجـتـارـ الـذـي هو طـبـیـعـةـ فـیـهـ أـیـضـاـ) ثم هي قـادـرـةـ عـلـىـ السـیرـ الطـوـبـیـلـ تـسـتـمـرـ فـیـ سـیرـهـ السـرـیـعـ طـوـلـ النـهـارـ . فـاـذاـ جـاءـ المـسـاءـ ظـلـتـ هيـ تـسـرـ بـشـاطـ ، بـبـیـانـ مـاـلـهـ المـطـیـ تـكـونـ قـدـ تـبـتـ (قـدـ نـفـدـتـ قـوـتـهاـ بـفـنـادـ ماـ فـیـ بـطـنـهـ مـاـنـ الطـعـامـ الـذـي تـعـقـرـهـ) . والـبـیـتـ التـالـیـ توـضـیـحـ وـتـفـسـیرـ هـذـهـ الـبـیـتـ .

(٤) أجـدـ : صـلـبةـ ، مـتـيـنةـ الـبـنـاءـ . وـنـيـ يـنـيـ : تـعبـ . المـهـارـیـ : الـجـلـلـ الـفـتـیـةـ ، الصـفـیرـةـ الـبـنـ . اـرـقـلـ : اـسـرـعـ وـهـوـ يـصـعـدـ فـیـ الـجـلـلـ . الـفـضـاـ : نوعـ منـ الشـجـرـ يـصـنـعـ مـنـ فـحـمـ جـبـيدـ . حـشـحـاتـ : سـرـیـعـ . – اـذـاـ تـبـتـ المـهـارـیـ الـفـتـیـةـ (منـ السـیرـ فـیـ السـهـلـ) فـانـ نـافـقـیـ هـذـهـ تـقـلـلـ نـشـيـطـةـ قـادـرـةـ عـلـىـ اـسـرـاعـ فـیـ صـعـودـ الـجـلـلـ . وـيـکـونـ اـرـقاـلـاـ هـذـاـ شـدـیدـاـ مـتـواـلـیـاـ کـلـاصـوـاتـ الـتـیـ يـعـدـنـهاـ شـجـرـ الـفـضـاـ وـهـوـ يـحـترـقـ .

طلبت فتى جُشم بنِ بكر مالكاً :

ضرَّ غامها و هيَزْرَها الدِّهانَا^١

لولا اعتمادك كنت في مندوحة عن بر قعيد وأرض باعینا ثا^٢.

اما اذا قلبت الديوان فوصلت الى مدائح الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات فسترى أمثال « وصف القلم » او « دعوة سمحنة القياد سكوب ». ولا احب ان اسير بك في الديوان بين مدائح الخلفاء والأمراء والقادات والفقهاء ندرس خصائصها معاً فترى ان ابا تمام كان يصرف المدح حسب حاجته . ثم لا توقن ان ما قلته لك قاعدة محكمة . لا ، انها ككل القواعد لها شواذها ، وانما الشذوذ برهان على القاعدة .

١- ممدوحو أبي تمام

يبلغ عدد ممدوحي أبي تمام ستين – اكثُرُهم من العرب^٣ ينتشرون في الهيئة الاجتماعية بين الخلفاء : كالملائكة والمعتصم ، وبين الكتاب : كرجل اسمه ابو زيد كان كتاباً لعبد الله بن طاهر . وترى هنا قائمة مفصلة بأسماء الممدوحين مع مقامهم الاجتماعي وعدد القصائد التي مُدحوا بها ، مثبتاً بعد

(١) طلبت : قصدت . الفتي : السيد البطل في قومه . جشم بن بكر قبيلة المدروج . مالك هو مالك بن طوق الذي يمدحه الشاعر . الصرغام : الاسد الفحل الشديد . المزبر : الاسد الفخم الشديد الصلب . الدهاث : الاسد السريع .

(٢) لولا اعتمادك : لولا الاعتماد عليك والامل في عطائك . كنت في مندوحة : كان لي غنى ، لم أحمل (بتضليل الميم المكسورة) نفسى مشقة هذا السفر الى بر قعيد وباعینا ثا (هذان مواطنان في جزيرة ابن عمر ، في شهالي الشام وال العراق) ، كنت في غنى عن كثرة التطاويف في الارض .

(٣) انظر ايضاً امراء الشعر ص ٢٢٩ .

اسمائهم^١.

(أ) آل البيت المالك وأسلافهم - علي بن أبي سالم وآل المؤمن (٢) :
المعتصم (٩) ، الواثق ٣ ، احمد بن المعتصم ٢ ، محمد بن عبد الملك بن صالح ١ ،
الفضل بن صالح ١ .

(ب) وزراء الدولة - يحيى بن ثابت ١ ، الحسن بن سهل ٢ ، وهما من
وزراء المؤمنون ؛ محمد بن عبد الملك الزبيات ٦ .

(ج) القواد - خالد بن يزيد بن مزید ٧ ، ابنه محمد ١ ؛ ابو سعيد محمد
بن يوسف الشعري ٢٩ ، آل حميد الطوسي ١ ، الاشين حيدر بن كاووس ١ ،
جعفر الخياط ١ ؛ ابو دلف العجلبي (٥) .

(د) الأمراء ، ورجال الدولة والقبائل - عبدالله بن طاهر امير خراسان ٤ ،
آل طوق امراء عرب الشام : مالك بن طوق ٨ ، عمر بن طوق ٨ ؛ ابو المغيث
الرافقي ٥ ، اسحق بن ابراهيم المصعي ٤ ، القاضي احمد بن ابي دواد ١٣ ،
القاضي حبيب بن المعاافى التنوخي ١ .

(ه) رجال الاسر الكبرى - آل وهب (ولوا الوزارة ، ولكن بعد ابي
تمام) : سليمان (٣) والحسن (١٢) ؛ علي بن مرة وابنه الحسن ٢ ، احمد بن
عبدالكريم الطائي ٢ ، داود بن داود الطائي ٢ ، عمر بن عبدالعزيز الطائي ١
محمد بن شقيق الطائي ١ ، عياش بن هشيمة الحضرمي ٣ .

(و) الشاعر ابو العباس نصر بن منصور بن بسام ٢ ، الشاعر علي بن الجهم ١ ،
محمد بن حسان الضبي ٤ ، غالب بن عبدالحميد الصعدي ٤ ، محمد بن الميم بن
شيانة ٧ ، ...

(١) المدد المحصور بقوسين فيه شك ينشأ من نسبة القصيدة اليه او إلى غيره . قارن هذه ما ذكره
الدكتور الاسود (١: ٣١) وبقائمة الاستاذ المقدسي (امراء الشمر ١٧٥-١٧٧) ويزاد
عليها ما سيرفيه الدكتور الاسود في الجزء الثاني وليس في طبعة الخياط .

أما سائر المدحدين فهم متفاوتون المزلة وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة،
ومنهم من كان نصيبيه اثنين ، او ثلاثة في النادر .

٢ - الفخر

الفخر ان يمدح الشاعر نفسه او آله او قومه ثم يشيد بذكراهم . وبضاعة أبي تمام في الفخر الخالص قليلة جداً وأكثرها فخر بطيء ، ولعله قال أكثره في مصر قبل ان تقبل عليه الدنيا . ولا اعتقاد ان في فخره شيئاً لا ينطوي على شكوى مرة ؛ وهذا الباب يفيدنا تاريخاً أكثر مما يفيينا فناً .

اقبلت الدنيا على أبي تمام وزادت ثقته بنفسه فانتقل بالفخر الى قصائد المديح ينشره عند المناسبات ، وخصوصاً اذا كان المدحون طائين : كآل عبدالكريم وآل حميد الطوسي ؛ او من عرب الجنوب الذين منهم بنو طيء كالناصري أحمد ابن أبي دُؤاد الایادي ، وعياش بن هليمة الحضرمي . وحسبك ما علمت من ذلك عند الكلام على خصائصه . ومن فخره ايضاً ١ .

وهل خاب من جذماه في اصل طيءٍ : عَدَى العَدِينَ الْقَلَمَسَ ، او عمرو٢ .
لنا جوهر لوالخاط الأرض اصبحت . وَبُطِّنَاهَا مِنْهُ وَظَهَرَاهَا تَبَر٣ .
مقاماتنا وقف على الحلم والخيجي : فَأَمَرَنَا كَهْلٌ ، وَأَشَيَّنَا حَبْر٤ .

(١) ديوان خ ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) جذماه من أصل طيء : أبوه وأمه كلادها من قبيلة طيء . عدي : عدي بن نصر بن ربيعة والد الملوك الماذرة ملوك الحيرة . عدي العدين : أصل العدين المشهورون الى عدي هذا . عمرو هو عمرو بن عدي أول ملوك الحيرة من الماذرة وأمه رقاش (فتح الرا) . بنت جذمية (يفتح الجيم) . التلمس : في القاموس (٢٤٢: ٢) أن القلمس رجل كـ. أي من نساء الشهداء (من الذين كانوا يعيثون الاشهر ويحرمون بعضها ، أي يعمرون الحرب فيها) .

(٣) الجوهر : أصل العناصر . - يقول أبو تمام : لو مزجنا عنن ، بني طيء ، بالناس كلهم لأنصبح الناس كلهم أشرافاً عظاماً (لو كان بنو طيء عنصراً طبيعياً ثم مزج هذا العنصر بمادة الأرض كلها لأصبحت الأرض كلها تبراً - ذهباً) .

(٤) الحلم : سعة الصدر والحكمة . الحجي : العقل . الحبر العالم ، الفقيه .

فَأَزِينُّ مِنْهَا عِنْدَنَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .
فَلِيُسْ لَهُ غَيْرَنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ .

إذا زينة الدنيا من المال اعرضت
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ؟
وفخر ابو تمام بقومه ونفسه فأنسد ^١ :

وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعٌ ^٢ .
لِكَثْرَةِ مَا أُوصُونَا بِهِنْ – شرائع .
فَضَاعَ ؛ وَمَا ضَاعَتْ لِدِينَا الْوَدَائِعُ ^٣ .
اَغَارَتْ عَلَيْهِمْ – فَاحْتَوَهُ – الصِّنَاعَ ^٤ ،
بَشَّرَنِي ؛ فَأَمْسَى وَهُوَ خَزِيَانٌ ^٥ ضَارَعٌ ^٦ :
فَطَيَرَتْهُ عَنْ فَكْرِهِ وَهُوَ وَاقِعٌ ^٦
وَيَدْنُو إِلَيْهَا ذُو الْحَجَى وَهُوَ شَاسِعٌ ^٧ .

اَنَا اَبْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضَعُوا الْجَوَادُ فِيهِمْ
مَضْوِئاً ؛ وَكَانَ الْمَكْرُمَاتُ لِدِيهِمْ ^٨ –
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَا لَيْنَا
اِذَا مَا اَغَارُوا فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرَ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَدْ عَتَّهُ
كَشَفَتْ قَنَاعَ الشِّعْرِ عَنْ حُرُّ وَجْهِهِ
بَغْرُّ بِرَاهَا مِنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ ،

(١) ديوان خ - ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) استرضع الجود فيه : بنو طيء أرضعوا الجود وربوه (فأخذ صفاتهم) .

(٣) أورثنا أسلفنا مالاً كثيراً وأوصونا بالمعروف (الكرم) فالآننا نحن في الكرم حتى أنفقنا جميع المال ، ولكن الكرم بي فيينا بعد ذهاب المال .

(٤) على أن بنى طيء أهل حفاظ وشجاعة اذا اضطروا الى غزو قبلة فانهم يستولون على جميع اموالها ، فاذا عرف أصحاب الحاجات بذلك وفروا على بنى طيء فنفهم بنو طيء كل ما كانوا قد غنموه في غزوهم .

(٥) قد نه بشعرى : ضر به به (هجوته) . خزيان : مقهور . ضارع : ذليل .

(٦) كشفت قناع الشعر عن حر وجهه : أظهرته على حقيقته (برهنت على أنه ليس شاعراً وأنه هو يتتكلف قول الشعر) . طيرته عن فكر : شلت فكر ، أذهله . واقع : باق في أرضه لا يستطع مبارحة اللعنة ذمولة .

(٧) انر : البixin (يقصد : بقصائد غر ، أي بارعة جيدة) . يراها من يراها بسمعه : الذي يفهمها (اذا سمعها) يدرك معانها الجيد . ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع : تصل إليه وهو في المكان بعيد : تنشر في كل مكان .

يودَّ وداداً أَنْ أَعْضَاءَ جَسْمِهِ اذَا أَنْشَدْتَ شَوْقًا إِلَيْهَا - المُسَامِعُ^١.

٣ - الرثاء

يجب ان اقدم البحث في رثاء ابي تمام بالرواية الآتية^٢ : بعد ان فرغ ابو تمام من انشاد قصيده في ابي دلف العجلي « على مثلها من اربع وملعب » ، قال (له ابو دلف) : انشاني قوله في محمد بن حميد (كذا فليجل الخطب وليفتح الأمر) ... فأنشده (القصيدة) فقال : والله وددت انها في ؟ فقال (ابو تمام) : بل افدي الامير بنفسي وأهلي ، واكون المقدم . فقال : بل انه لم يمت من رُثى بهذا الشعر » .

* * *

رثاء ابي تمام اقل تكالفاً من مدحه وأرق عاطفة . وفي رثائه يظهر لنا ان ذلك الجبار على الخطوب . القاسي في الشدائـد رقيق الحس ، ووثيق الوداد . ثم هو لا يفقد رشهـد عند المصيبة ، ولا يشتـبه رأيه فيما يمضي في التفجع ويصفـ ما يدلـ على التأوهـ في مبالغـات لا جدوـي تحـتها . انه يبالغـ ، ولكنـ في استـعارات وكتـابـات وتشـابـيهـ كما يفعلـ في مدـحـهـ ؛ ثم يـبقىـ على هـدوـئـهـ فيـستـطـيعـ طـرقـ الأـغـارـاضـ عـلـىـ نـحـوـ ما تـرىـ فيـ بـعـضـ اـمـادـيـحـهـ . أـلـاـ تعـجـبـ حينـماـ تـسـمـعـ يـرـثـيـ اـبـهـ بـقـولـهـ^٣ :

كـنـتـ عـزـيزـاـ بـهـ كـثـيرـاـ ؛ وـكـنـتـ صـبـاـ بـهـ ضـنـيـساـ .
دـافـعـتـ لـاـ المـنـونـ - عـنـهـ وـالـمـرـءـ لـاـ يـدـفعـ المـنـونـ .
يـدـبـرـ فـيـ رـجـعـهـ لـإـذـاـ يـتـعـدـهـ الـمـوـتـ اـنـ يـبـيـنـاـ^٤ .

(١) يطرب ذو العقل بهذه القصائد حتى يتمنى لو أن كل عضو في جسمه أذن حتى يسمع هذه القصائد بجميع أعضائه . الوداد تكون بفتح الواو وكسرها وضمةها .

(٢) الاغاني ١٥: ٩٩-١٠٠ ؛ ديوان خ ٤٣-٤٠ .

(٣) ديوان خ ٣٩١ .

(٤) الرجع : مرض الموت (راجع القاموس ٢٨: ٣ س) . أن يبيينا : أن يفصح ، أن يقول كلاماً مفهوماً .

وَكَثِيرٌ مَا وَرَدَ فِي دِيْوَانِهِ فِي الرِّثَاءِ مُوسُومٌ بِهَذَا الطَّابِعِ ؟ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَرْبِّي
أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ حَمِيدَ الطَّائِي^١ :

أَصَمَّ بَكَ النَّاعِي ، وَإِنْ كَانَ أَسْعِمَاً^٢ وَاصْبَعَ مَغْنِي الْجَوْدِ بَعْدَكَ بَلْقَعاً.^٣
فَتَى ، كَلِمًا ارْتَادَ الشَّجَاعَ^٤ مِنَ السَّرْدِي

مَفْرَّأً – غَدَةً – الْمَأْزِيقَ – ارْتَادَ مَصْرَعًا.^٥

تَصَلَّاهُ : عِلْمًا أَنْ سِيْحَسْنُ مَتَسْمِعَاً.^٦
فَخَانَكَ ، حَتَّى لَمْ تَجِدْ فِيهِ مَنْزِعًا^٧ –
فَقَطَّعَهَا ، ثُمَّ اثْنَيَ فَتَقَطَّعَا.^٨

• • •

رِثَاءَ آلِ حَمِيدَ الطَّوْسِيِّ

اجاد ابو تمام في رثاء بنى حُمَيْدَ الطَّوْسِيِّ خاصَّةً حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ ذَلِكِ
الرواية التي بدأنا بها هذا البحث . وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ رِثَاءَ آلِ حَمِيدَ يَخْتَلِفُ مِنْ سَائِرِ

(١) دِيْوَانُ خَ - ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) أَنَّ الَّذِي نَادَى بِنَعِيكَ (نَعِيكَ مَوْتَكَ) جَعَلَ الَّذِينَ سَمِعُوا صَمَّاً (لَهُولَ مَا سَمِعُوا مِنْهُ) .
مَغْنِي الْجَوْدِ : مَسْكُنُ الْجَوْدِ . بَلْقَعَ : خَرَابٌ . - اقْفَرَتُ الْأَرْضَ مِنْ الْجَوْدِ .

(٣) إِذَا حَوَّلَ الشَّجَاعَ أَنْ يَفِرُّ مِنَ الْمَرْكَةِ الشَّدِيدَةِ مَضِيُّهُ هُوَ إِلَى تِلْكَ الْمَرْكَةِ بِقَدْمٍ ثَابِتَةٍ وَهُوَ
مَدْرَكٌ أَنَّهُ سَيْمُوتُ فِيهَا .

(٤) هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَاتَ الْمَرْكَةِ أَشَدُ كَانَ ذَكْرُ الَّذِي يَخْوُضُهَا فِي النَّاسِ أَحْسَنَ . تَصْلِي : تَعْرِضُ
النَّارَ بِجُسْمِهِ . أَنْ : مَخْفَفَةُ مِنْ « أَنْ » (أَنْهُ) . يَحْسَنُ : فَعَلَ مَضَارِعَ مَرْفُوعَ لِتَجْرِيَهُ عَنْ
النَّاصِبِ وَالْجَازِّ .

(٥) إِنْ تَرَمَ ، أَنْ تَقْتَلَ ، إِذَا قُتِلَتْ . عَمْرٌ تَدَانِي بِهِ الْمَدِي : عَمْرٌ قَصِيرٌ . الْمَزْعُ : الْمَكَانُ فِي
وَرِ الْقَوْسِ يَوْضُعُ عَلَيْهِ السَّهْمُ ثُمَّ يَجْذَبُ قَبْلَ اطْلَاقِ السَّهْمِ . - كَانَتِ الْمَرْكَةُ أَشَدُ مَا يَسْتَطِعُ
الْمَحَارِبُ ، مَهْما كَانَ شَجَاعًاً وَمَقْتَلًاً فِي الْحَرْبِ ، أَنْ يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ .

(٦) لَقِدْ كَنْتَ كَالْسِيفِ الَّذِي ضَرَبَ بِهِ جَسْمَ قَاسِ جَدًا ، فَقَطَّعَ ذَكَرَ الْجَسمِ وَلَكِنَّهُ ارْتَدَ مِنْ شَدَّةِ
الصَّرْبَةِ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ انْكَسَرَ .

رثائه . أليس عجياً ألا يكون لأبي تمام في بني حميد سوى قصيدة واحدة في المديح^١ ثم يكون له في رثائهم ثانٍ قصائد أكثرها على قيصر بعضها عن عيون قصائده في الرثاء^٢ ؟

يظهر أن علاقة أبي تمام بالـ حميد كانت صدقة أكثر منها منفعة ؛ وكانت إعجاباً بأعمالهم وإكباراً لحفظهم ، وقد كانوا لذلك أهلاً . وما قصيدة «كذا فليجل» سوى صورة لنفس محمد بن حميد ؛ نعرف ذلك من كتب التواريخ . روى ابن الأثير في أخبار عام ٢١٤ هـ ما يلي^٣ :

«... كمن رجال بابك بين الصخور ؛ فلما صار رجال محمد (بن حميد الطوسي) يصعدون في الجبل ، وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابك اليهم فین معه فانهزم الناس . فأمرهم أبو سعيد (الثغرى) ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ، ومرروا على وجوههم ، والقتل يأخذهم . وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غيرَ رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى (محمد) جماعة وقتلاً ، فقصدهم فرأى الحرمية يقاتلون طائفة من أصحابه . فلما رأاه الحرمية قصدهم لما رأوا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضرموا سيفه ؛ ثم اکبوا عليه فقتلوه » .

هذه هي الحادثة التي استحقت الخلود في قصيدة من قصائد أبي تمام فإذا هي^٤ : كذا فليجلَّ الخطبُ، ولْيَفْدَحَ الْأَمْرُ؛ فليس لعين لم يَفْضِ ماؤها عذر . ومن أجمل مقطوعات أبي تمام في الرثاء ثلاثة أبيات قالها في القائد الطائي جعفر الخطاط ، هي (خ ٣٨٧) :

رَحِيمَ اللَّهُ جَعْفَراً، فَلَقَدْ كَانَ شَهِيدًا رَحِيمًا.

(١) جعل أمراه الشعر القصائد في مدح آل حميد ستة (ص ١٧٦) ؛ ولم يذكر الدكتور الاسود شيئاً من ذلك (ص ٣١) عند الكلام على ملحوظي أبي تمام .

(٢) ديوان خ ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠ مرتين .

(٣) ابن الأثير ٦ : ١٦٩ - ١٦٨ في أيام المؤمنون .

(٤) ناجع المختارات .

مثل الموت ، بين عينيه ، والذ (م) لـ ، فكلاً رأه خطباً عظيماً .
 ثم ثارت به الحمية قِدْمَا فَأَمَاتَ الْعُدَى ، وَمَاتَ كَرِيمًا !
 وكثيراً ما يذهب شاعرنا إلى ضرب الأمثال واستجسام الحكمة في الرثاء ،
 كقوله في محمد بن الفضل الحميري (خ ٣٥٣) :
 جفَّ دَرَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكَ (م) تَالَ ارْوَاحَنَا بِغَيْرِ حِسَابِ .
 لَوْ بَدَتْ سَافِرًا أَهْبَيْتَ ؟ وَلَكِنْ شَغَفَ النَّاسَ حَسَنُهَا فِي النِّقَابِ .
 اَنْ رِبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنَ اَنْ يُهُ (م) بَدِي الرِّزَايَا^١ إِلَى ذُوي الْاحْسَابِ !
 او قوله في رثاء ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد (خ ٣٨٠) :
 اَنَّ الْفَجِيْعَةَ بِالرِّيَاضِ ، نَوَاضِرَأَ ، لَأَجْلَّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ، ذَوَابِلَ .
 لَهْسَفِيْ على تلک الشواهد منهما
 ایقنت أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرَأَ كاملاً !
 واذا رأيتَ من الْهَلَالِ نَمَوَه

* * *

لم يرث ابو تمام من الذين مدحهم الا خالد بن يزيد بن متزيد ، واسحق بن ابي ربعي ، وعبد الحميد بن غالب ، والا بني حميد^٢ . وقد عزى ابا سعيد الغري بولده له^٤ . اما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يمدحهم فبضعة عشر شخصاً منهم أقارب بعض المدحدين . ولم يرث ابو تمام المعتصم بقصيدة مستقلة ، بل ادخل رثاءه في تهنة ابنه الواثق بالخلافة .

نمر في ديوان ابي تمام بطاقة من الآيات رثى الشاعر بها بعض آله واخوانه ، فإذا قرأتها لم تشک قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى ، وان الاسى كان من نفسه في قرارها . اما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشفى عن

(١) الرزايا جمع رزية : المصيبة . ذرو الاحساب : اصحاب الاعمال المجيدة .

(٢) الشواهد : الملامات ، الدلائل . الشائل : المصال ، العادات .

(٣) ديوان خ ٣٦٣، ٣٤٧، ٣٥٤؛ ورابع ايضاً رثاء بني حيد .

(٤) خ ٣٥١ . ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٥١ .

عاطفة متأصلة ، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء
خالد بن يزيد بن مزيد :

وَكُنَا جَمِيعاً شَرِيكَيْ لَبَانٍ ، رَضِيعَيْ لَبَانٍ ، خَلِيلِي صَفَاءِ .
وَكُنْتُ أَرَاهُ بَعِينَ الْحَسَلَ وَكَانَ يَرَانِي بَعِينَ الْإِخْرَاءِ ۱.

وَكَثِيرٌ مِنْ شِعرِهِ فِي الرَّثَاءِ عَلَى هَذَا النَّمْطِ ؛ وَقَدْ أَجَادَ فِي سَائِرِ مَراثِيهِ اظْهَارَ
الْأَسْى ، وَانْ لَمْ يَكُنْ يَحْسَسْ احْسَاسَهُ فِي رَثَاءِ وَلَدِهِ الْوَحِيدِ . اما انه «كان يتخذ موت
الميت سبباً ليعرب عن أحزان نفسه لأنهم أولئك الذين صحب الحزن نفوسهم»^٢ ،
فَحُكْمُ يُصِيبُهُو مِنْ نَفْوَهُ الَّذِينْ تَعمَقُوا فِي دراسة أبي تمام ، وَلَكِنْ يَعْتَرِضُهُمْ
فِي سَبِيلِ اعْتِقادِ ذَلِكَ قَلْةِ الرَّثَاءِ فِي دِيوَانِ الشَّاعِرِ . ثُمَّ إِذَا نَحْنُ كَابِدُنَا وَجَاهَنَا
وَاستَشَهَدُنَا لِاِثْبَاتِ هَذَا الرَّأْيِ لَمْ نُخْرِجْ بِغَيْرِ مَا أَفْنَاهُ عَنْدِ جَمِيعِ الشَّعَرَاءِ الْمَدَاحِينِ
الرَّثَائِينَ مِنْ أَنْهُمْ يَتَصْنَعُونَ الْأَسْى أَحْيَانًا ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعْدُ قَصَائِدَ الْمَدِيْحِ وَالرَّثَاءِ
قَبْلَ أَمْدٍ ، فَإِذَا فَوَجَتُوا بِإِنْعَامٍ عَلَى رَجُلٍ أَوْ بَمُوتهِ لَمْ يَحْتَاجُ أَحَدُهُمْ إِلَى بَضْعَةِ
أَبْيَاتٍ فِيهَا اسْمُ الْمَدُوحِ أَوْ الْمَرْثِيِّ وَفِيهَا ذَكْرُ الْمَنَاسِبَةِ ... ثُمَّ لَنَخْمَ هَذَا الْبَحْثُ
بِقولِ ابنِ رَشِيقٍ : وَابْنِ تَمَامٍ مِنَ الْمَعْدُودِينَ فِي اجْدَادِ الرَّثَاءِ^٣ .

٤ – العتاب

يختلف عتاب أبي تمام من عتاب أبي نواس^٤ . فَانْ ابَا تَمَامٍ لَمْ يَعَاتِبْ الْأَعْلَى
تَأْخِرَ رِفْدِهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْمُتَنَظَّرِ أَنْ تَكُونَ مَعَاتِبَهُ كَلَاهَا ، عَلَى قَلْتَهَا^٥ ، فِي الَّذِينَ
مَدْحُومُهُمْ . وَلَكِنْ قَدْ شَذَّ لَهُ عَنْ ذَلِكَ نَحْوُ ثَلَاثَ قَطْعَهُ : وَاحِدَةٌ عَاتِبُ رَجُلًا
فِيهَا فِي نَبِيْذِ – وَهُوَ رِفْدٌ أَيْضًا – وَآخِرَى عَاتِبُ فِيهَا الْحَسْنَ بْنَ وَهْبٍ لِأَنَّهُ يَمْبَلِّ

(١) خ ٣٤٧، ٣٥٠.

(٢) مردم ، شعراء الشام ص ٥٣ .

(٣) العمدة ٢: ١١٩ .

(٤) ابن نواس ٦٤ .

(٥) ديوان خ ٤١٢-٣٩٤ .

الى غلامه ، وثالثة في صديق قطعه ...

يتبع ابو تمام في عتابه طريقته في مدحه فهو فيه خشن الملمس ، والعتاب يحتاج الى نوعه ؛ وهو فظ في سوقه ، والعتاب يحتاج الى مناسبة ؛ فشاعرنا يقول مثلاً :
ابا دُلْفٍ^١ ، لم يبق طالب حاجة من الناس غيري ، والمحل جديب .
يسرك اني أبْتُ عنك مخيبا ، ولم يُرَ خلْقٌ من جداك يخيب^٢ !
ولا اظننك تجهل مقام ابي دلف من ابي تمام وقصيدته فيه « على مثلها من
أربع ملاعب ». وعاتب أبو تمام القاضي أحمد بن ابي دواد بقوله^٣ :

اعلم ، وانت المرء غير معلم ؛ وافهم — جعلت فداك — غير مفهم .
ان اصطناع المرء ما لم تُولِه^٤ مستكملاً كالبرد ليس بمعلم !
فعتابه ، على ما ابصرت ، منفر يزيد في الصد ولا يقى على الود ، الا ما
كان من مثل عتابه لأبي سعيد التغري ، وهو نادر ، نحو قوله^٥ :
اما البِشْر روضة^٦ ؛ فإذا كا (م) ن بِيذلِ فروضه^٧ وغدير^٨ .
فاقسمُ اللحظَ بَيْنَنَا ، ان في اللح (م) ظ لَعْوانَ ما يُجِنَّ الضمير^٩ .

٥— الوعيد والهجاء

يعاتب الشاعر المدح تذكرة بصلته واستداراً ليديه ، فإذا قنط من نواله
انقلب اليهيجوه . الا ان نفر آمن الشعراء يميلون في أول الأمر الى الوعيد والاذار
قبل ان يخطوا الى الهجاء : يفعلون ذلك في اثناء مدح او عتاب . من هذا القبيل ما

(١) راجع ديوان خ ٣٩٥ .

(٢) آب : ربيع

(٣) ديوان خ ٤٠٨ .

(٤) البرد : ثوب من حرير . معام : فيه علامات او فتوش . ليس بمعلم : قليل القيمة .

(٥) البشر : البشاشة وطلقة الوجه ، السرور بالذين نلقاهن .

(٦) جن : ستر .

انهى به ابو تمام قصيدين له في مدح ابي المغيث الراقي ١ :

وكن كريماً تجدَّ كريماً
في مدحه ، يا ابا المغيث .
ان ملن بي هِمَيْ الى بغداد .
ـ وغداتيَنْ كيف غِبْ مدانخي
ومن العجائب شاعر ضاعت به هِمَاته ، او ضاع عند جواد !

اما تعريضه في اثناء العتاب ف منه : (خ ٣٩٤ ، ٤٠٨)

وانك لا تسر ب يوم حمد
تسرب به . و مالُك لا يُسأء .
فان المدح في الأقوام ما لم
يشبع بالجزاء هو الهجاء .
ـ ساقطع ارسان العتاب بمنطق
قصير عناء الفكر فيه طويل ،
وان امرأ ضفت يداه على امرء
بنيل يد من غيره ليُخبل .
افتشكَّ بعد ذلك في ان هذا تحفُّ للهجاء ؟

تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة اشخاص كان قد مدحهم ؛
منهم عياش بن هعيّة ، وقد اختصه باثنين عشرة قطعة قال واحدة منها بعد موته ؛
ومنهم ابو المغيث الراقي هجاه بخمس مقطوعات ، وله قطعة في مالك بن
طوق ، وصالح بن عبد الله الهاشمي واسحق بن ابراهيم المصعي . وقيل عرض بهجاء
احد بنى حميد ولم يوجه لمكان اسرته .

اصطدم ابو تمام بشعراء كثيرين في مصر وفي العراق بعضهم مشهور كدعبل
ومحمد بن ابي يزيد ، وبعضهم اقل شهرة . وهنالك بضع قطع أخرى في اشخاص
 مختلفين .

• • •

لا أعتقد ان اباً تماً نال بهجائه منالاً قريباً أو بعيداً ، فبعض شعره في هذه
النهاية عادي ، وسائله أدنى مرتبة . انه لم يتبع طريقاً معروفاً يصل به الى
غاياته فهو لم يعمد الى ما يترك هجاءه اعلق بالقلب وألصق بالنفس وأسرع الى الحفظ ؛

(١) ديوان خ ٦٧ ، ١٣٥

ولا بلغ به من الحقيقة والمرارة ما يوجع حقاً ، وان كان قد افحش وأقذع في بعضه . لذلك ترى كثيراً من هجائه اشبه بالمدح ، حتى انه لو كان مدحياً لما اخطَ عن شعره الرأي . تأمل ذلك في هجائه عتبةَ بن أبي عاصم^١ :

دِمَنْ تَجَمَّعَتِ النَّوَى فِي رَبَعِهَا
فَرَقَرَقَتِ عَيْنِي دَمًا فِيهَا إِلَى
هِيمُ الْفَنِي فِي الْأَرْضِ اغْصَانُ الْمَنِي غُرْسَتْ ، وَلَيْسَ كُلُّ حَيْنٍ تُورِقْ .

فَهَذِهِ مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ الْمَعَانِي . وَلَكُنُّهَا لَا تَصْلِحُ فِي مَعْرِضِ هَجَاءِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ^٢ :

بِكَفِيكَ حَزَنَا أَنَّ عَقْلَكَ ذَاهِبٌ يَكِي عَلَيْكَ . وَانْ جَهَلَكَ يَضْحِكُ !
وَيَنْدِرُ فِي دِيْوَانِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي عِيَاشَ بْنَ لَهْيَةَ ، هَجَاءٌ يَطْوِيهُ عَلَى تَهْكِمِ صَحِيحٍ
وَمَعْنَى قَرِيبَةِ وَصُورَ بَارِعَةِ^٣ :

صَدَقَ مَقَالَتِهِ أَنَّهُ قَالَ ، مُجْتَهِداً : « لَا وَالرَّغِيفُ ! » فَذَاكَ الْبُرُّ مِنْ قَسْمِهِ^٤ .
وَانْ هَمَتْ بِهِ فَافْتِكَ بَخْبُزَتِهِ ، فَانْهَا قَطْعَةٌ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ .
قَدْ كَانَ يَعْجِبُنِي . لَوْ أَنْ غَيْرَتِهِ عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمَهِ^٥ !
هَذِهِ أَحَدُى نَوَاحِي هَجَاءِ أَبِي تَامَ لَأَنَّهُ فِي الْاقْذَاعِ بِضَاعَةٍ غَيْرَ قَلِيلَةٍ^٦ ،
وَلَكِنَّهُذِهِ الْبِضَاعَةِ لَيْسَ فِي الدَّوَاوِينِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَدْ أَغْفَلَ الْخِيَاطَ مَا يَمْسِ

(١) ديوان خ ٤٩٩ .

(٢) « اماكن كثُر فراق اهلها مرَّة بعد مرَّة منذ زمن طويل .. »

(٣) ديوان خ ٥٠١ .

(٤) ديوان خ ٥٠٦ .

(٥) البر (بالضم) : التصح . يقول : عياش بن لهيم يقدر البر (التصح ، الطعام) قدرأً عظيماً ويقدسه حتى أنه يقسم به .

(٦) المردفة : الرغيف . الحرث بضم ففتح جمع حرمة بالضم : الأهل ، الزوجة ، المرأة ...

(٧) لقد غفل الخياط فاثبت في نسخة ابياتاً تلمح فيها الاقذاع لمحالايث فيه . راجع من ٤٨٦، ٧٧،

٤٨٨ - ١٨ - ٤٩٣ - ٤٩٥ هجاء عبدالله الكاتب

٦ - الوصف

يجب أن نقسم هذا البحث قسمين : الوصف الحاصل اي الذي قبل في الوصف خاصة ؛ والوصف الذي جاء في اثناء المديح . ثم يجب أن نعلم ان باب المديح وان اسلوب أبي تمام فيه يغلبان على كل باب من ابواب الديوان .

تجيش نفس أبي تمام بصورة من صور الطبيعة او بمشهد من مشاهد الاجتماع فلا يكاد وصف ذلك يخرج من فيه الا مقيداً بالصناعة الفقهية ، مزوجاً بعناصر من الشكوى والنعير وما اليهما . فوصفه هنا حقيقة ولكن بلا ألوان جذابة ولا صدق في النقل عن الطبيعة . فمن ذلك قوله في غمامه مطرة^٣ :

كالشيعة ألتفت على النقيب . آخذة بطاعة الجنوب^٤ .

لما بدت للأرض من قرب تشوقي لوابها السكوب^٥ .

تشوق^٦ المريض للطبيب ، وطرب المحب للحبيب ؛

لذيدة الريق مع الصليب . كأنما تهمي على القلوب !

(١) ديوان ٤٨٥ .

(٢) الدكتور . الاسود ، راجع ص ٣١ ؛ ولم يصل طبع ديوان أبي تمام بعد الى باب المواجه .

(٣) ديوان خ ٤١٤ .

(٤) الشيعة : أتباع مذهب اسلامي يقى له المذهب الإمامي أو المذهب الاثنا عشرى . يرى الشيعة أن الإمام عليه ، كرم الله وجهه ، كان يجب أن يكون الخليفة الاول بعد الرسول مباشرة وأن تستمر الخلافة بعده في عقبه . وهو يحملون هذا الرأي أصلاً من أصول المذهب . النقيب : نقيب الاشراف العلوين : منصب أحد ثلث في العصر العباسي ، وصاحبته هو الرئيس الذي للشيعة (يريد أن يقول : أن هذه الفئمة متراكمة كشيفة مجتمعة كما يجتمع الشيعة حول نقفهم) . آخذة بطاعة الجنوب : مطيمة للريح الهامة من الجنوب ومتوجهة من الجنوب الى الشمال (ملوقة بالطير) .

(٥) تشوقي : انتقام ، مال برغبة شديدة . وربما كانت الكلمة « تشوقي » : تطلع وتطاول لينظر . الويل : المطر الغزير . السكوب : المنصب باستمرار .

(٦) لذيدة الريق : طيبة (تشربها الأرض بسرعة مع الصليب : مع كثرة انصبائها وheetواها =

اما النوع الثاني فصور بلاحقيقة ابدع فيها الشاعر لـما رقتها به من الجناس او الطياب وبعيد التشبيه او قريب الاستعارة تبعاً للقصيدة التي استقرت فيها، كوصف لحمر أو وصف القلم خاصة فإنَّ فيه شيئاً من الحقيقة في كثير من بعيد الخيال ولطيف التجنيس .

وأما الاوصاف التي يجدها شاعرنا فأوصاف المعارك والخروب . هناك تشعرحقيقة ان شعور ابى تمام يغمرك ويستولي عليك فتتصل نفسك بنفسه . ولا بدع ان وصف ابو تمام معركة عمورية وأجاد، فلقد شاهدتها بنفسه . واذا قرأت له وصفه الخيل في الحرب^١ :

و اذا كان عارضُ الموت سحا
في ضiram من السوغى واحتلال
واكتست ضمرَ الهياد المذاكي
في مكرَّ تلوکها الحرب فيه ؛ وهي مقورة تلوک الشكيماء^٢ ،
خضلاً بالردى اجش هزيماء^٣ ،
تحسب الجنو منها محموماً ،
من لباس الهيجا دماً وحميماً^٤ ،
وهي مقورة تلوک الشكيماء^٥ ،

= (لأن الأرض عطشى محتاجة الى المطر) . كما ناهي (تسقط) على القلوب : تدخل الامتنان على القلوب لثقة القلوب بأن تلك النية ستفضي على الفحط وتأتي بالمحصب .

(١) ديوان خ ٢٩٣ .

(٢) العارض : السحاب الم قبل . عارض الموت : هول المعركة . سحا : غزيرأ متصلاً (شديداً) .

خضلاً : مبتلاً (المعركة تحمل منها موتاً أكيداً للذين فيها) أجيش : خشن الصوت (ذو رعد قوى = يدخل الرعب على القلوب) . المزم : صوت الرعد الشديد الذي يتبعه منه المطر من النيم (يقصد : هذه المعركة تحمل الى المعاربين الخوف الشديد مع الموت الاكيد) .

(٣) الهياد جمع جواد : الحصان . الضمر جمع ضامر : التحيل الخصر ، وفي القاموس (٢٧٦) الضامر : الفرس الدقيق الحاجبين . المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها (بعد جراحها التي أصيبت بها في المارك) سنة اوستنان(كتابية عن اختبارها في الحرب) . الحسيم : الماء المخار (العرق المتصبب من الخيل) .

(٤) مكر : مجال المجهوم في المعركة . تلوکها الحرب فيه : تملکها (الخيل تحارب في مكان ضيق وسلاح يجعل فيها تقطيناً فكان الحرب تملک المتعاربين بأضراس لها) . مقورة : مثنية على نفسها (لضيق المكان) . تلوک الشكيم : تملک (تض عل) الشكيم (الحديدة التي في طرف المجام والتي تكون في قم الحصان (كتابية عن الغضب والشدة في القتال) .

ايقنت انك ترى تلك الجياد تخوض الغمار امام عينيك وقد ضاقت حومة
الوغى بالفرسان وصبر الفريقان ، والموت يتناول الأبطال غير آبه للنتيجة ! ..

وصف القلم

من قصيدة مدح ابو تمام فيها محمد بن عبد الملك الزيات^١ :
لك القلمُ الأعلى ، الذي بشباته
تصاب ، من الأمر ، الكلُّ والمفاصل^٢ .
لُعَابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعَابُه ،
وأرْجُي الجنى أشتارتهُ ايدِ عواسل^٣ .
له ريقه طل^٤ ، ولكنَّ وقعها ،
باتثاره في الشرق والغرب ، وايل^٥ .
فصحيح اذا استنطقتَه وهو راكب^٦ ،
واعجم^٧ ان خاطبته وهو راجل .
اذا ما امتنعَ الخمسَ الْلِطَافَ ، وأُفْرَغَت
عليه شعابُ الفكر وهي حوافل^٨ ،
اطاعته اطرافُ القنا ، وتسقوَضَت
لنحوه ، تقويضَ الخيام ، الحجافل^٩ .

(١) راجع صفحه ٢٥٨-٢٥٧ (٢) الشابة: الخد؛ اصاب الكلّ والمفاصل: احکم الاصابة.

(٣) اللعب: الريق؛ الاري: العسل؛ الجنى: القطف او ما يقطف؛ اشار: استخرج
العل خاصة؛ المواصل: المستخرجة للعل - ان قلمك ينفتحمرة سماً، ومرة يأبى بالشهد والعل.

(٤) ريقه طل: قليل الرطوبة (بالحبر) ولكن اثره وايل (مطر شديد).

(٥) اذا ركب الاصابع (تناوله الاصابع) كان فضيحاً (كتب الانسان؛ ونظم الشعر الخ)

.

(٦) صورة لتناول القلم بالاصابع وتراجم الافكار في رأس الاديب وهو يكتب.

(٧) الاوامر التي تصدر مكتوبة الى الآفاق تطيمها الرماح (تبدأ الحرب او تنهي)، وبها تتقوض

(نهزم) الحجافل (الجيوش).

اعاليه ، في القرطاس ، وهي أسافل^١ ،
ثلاثَ نواحِيَهُ الثلَاثُ الأَنَامِلُ^٢ .
ضَئِي ؟ وسمينا خطبُهُ وهو ناحل^٣ .

اذا استعززَ الْدَّهْنَ الْذَّكِيَّ واقتلت
وقد رفته الحُنْصُرَانَ ، وسدَت
رأيت جليلًا شائِنَهُ ، وهو مُرْهَفُ

٧ – الغزل والنسيب :

لا ريب في ان هذا الباب في ديوان أبي تمام ادنى فنونه مرتبة عن مستوى مدحّيه . « ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له التافه البسيير في خلال القصائد »^٤ لما علّمت من خصائصه وأسلوبه . وإذا كانت الصنعة قد اكتسبت مدحّيه فخامة واصابة مرمي فانها قد افسدت وصفه وغزله ونسيبه . وسواء عليك أرأيت غزله البحث او غزله في ثانيا المديح . فاما الذي يروعك منه تلك التشابيه والاستعارات التي قنص بها معانيه الغربية ، أما العاطفة فلا . وأحسن الغزل ما أثار العاطفة لا ما أجهد العقل .

* * *

لابي تمام غزلان : مؤنث يكاد يقصره على مطالع قصائده في المديح ؛ ومذكر لا تكاد ترى سواه في باب الغزل عنده . فهو اذن ، ان تكلف الغزل التي به مؤنثا لقبع الغزل المذكر في المدائح ؛ وان جرى على هواه اكثرا من الغزل المذكر حتى تنكر ان يكون سبيله غير ذلك . وكيفما قلبت في غزله الحالص فلا ترى فيه سوى شهوة تحرقه يَوَدُّ أن لو يطفئها عند كل حبيب . وكل عزة نفس في حياته العامة وفي مدحّيه يضيعها في حياته الخاصة وفي غزله .
لم يُعرف ابو تمام بخبيبة لها اسم معين ولا عُرفت له من لها اسم معين . وكذلك

(١) اذا استعان القلم بالذهن ثم انحنى على الورق .

(٢) رقد : سند

(٣) رأيت امره عظيماً مع انه هو ت椿ة دقيقة (رفيعة من السقم) .

(٤) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « ابو نواس » المؤلف (منشورات الشرق الجديد ، اعلام الفكر العربي ، رقم ٤) ص ١٣٦ .

(٥) العدة ٢ : ٩٥ .

نجد في غزله المذكور بضعة اسماء له نحو اصحابها عاطفة عارضة لا تثبت
ان تستقر حتى تنتقل ثائرة تبحث عن هؤلء جديدا .
اما نسيبه او غزله ايضاً، في اثناء ابيات المدح فيجب الا نشك ساعنة في انه
صناعة اكثـر منه عاطفة^١؛ وان كان يستهويك كقوله^٢ :

السالبات امرأً عزيمته بالسحر ، والنافثات في عقدة^٣ .
لبسُنْ ظلَّيْنِ : ظلَّ امنٍ من الدهر ، وظلاً من همومه ودَّه^٤ .

أو قوله^٥ :

ـ كأن الدمع يُنثر من نظام على تلك المحاجر والحدود^٦ .
ترى دين المزید ؟ وليس عندي -

وراء محل حبك - من مزید !

ومع انه لم يحسن التسلب فقد أحسن التخلص منه الى المدح احياناً .

واذا كانت اخلاق ابي تمام على ما ذكرنا فمن البديهي ان يكون له مُجون ،
سوى ان ناشرى ديوانه قد اهملوا ذلك البتة^٧ .

نحوذج من غزله

لا آكل^٨ التفاح ، عمري ، ولو جنته لي من جنان^٩ الخلود^{١٠} .

(١) ديوان خ ٩١ .

(٢) النافثات في العقد : الساحرات . كانت الساحرة تمك خيطاً بيدها وتمنى ما تشاء ان يصيغ
المسحور من ضرر ثم تعقد في الخيط عند كل امنية لها عقدة وتنفتح فيها (وتنفح عليها) .
راجع القرآن الكريم ايضاً (سورة الفلق ، السورة ١١٣) .

(٣) الدد : اللعب .

(٤) ديوان خ ١٠٨ .

(٥) يشبه الدموع المنحدرة على الخدين كاللؤلؤ الذي ينتشر اذا انقطع النظام (الخيط الذي يسلك
فيه اللؤلؤ) . المحجر (موضع العين في الوجه) .

(٦) ديوان خ ٤٨٥ .

والله لا أترُكَه للقِيلِي : لكنني اتركه للحدود !

* * *

عَفْتَ مَحَاسِنَهُ عَنِّي لَقَدْ حَسَنْتَ عَنِّي مَساوِيهِ .
هَذَا مُحِبِّكَ أَدْمَى الشَّوْقُ مَهْجَتَهُ ؟ فَكَيْفَ تُنْكِرُ أَنْ تَسْدِمِي مَاقِيَهِ ؟

* * *

أَيْ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ صَبِّ ادِيبٍ مُّتَيَّمٍ بِأَدِيبٍ ؟
كَادَ ان يَكْتُبَ الْهَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ
هَكَاتِبًا : « هَذَا حَيْبُ حَيْبٍ ! »
لَتَنْفَضَّتْ عِيشَاهَا بِالرَّقِيبِ .

* * *

قَدْ قَصَرَنَا دُونَكَ الْأَبْصَارِ خَوْفًا اَنْ تَذَوِّبَا .
كَلْمَا زِدَنَاكَ لَحْطَا زِدَتْنَا حُسْنًا وَطَيْباً .
مَرْضَتَ الْحَاظُ عَيْنَيْهِ لَكَ فَأَمْرَضَتَ الْقُلُوبَا .
مَا نُرِيدُ الشَّمْسَ وَالْبَدْ رَإِذا كُنْتَ قَرِيبًا ؟

* * *

أَجْعَلَيَ فِي الْكَرَى لِعِينِي نَصِيبًا ، كَيْ تَنَالَ الْمَكْرُوهَ وَالْمَحْبُوبَا .
أَشْرَكَيَ بَيْنَ دَمْعِ عَيْنِي وَنُومِي ، وَاجْعَلِي لِي مِنَ الرُّقَادِ نَصِيبًا .
كُنْتَ أَهْوَى الْبَيْضَ الْحَسَانَ ، فَقَدْ اصْبَحَ حُبِّي عَنْ غَيْرِهَا مَحْجُوبَا .
قَرْبَتْهَا الْمُتْنَى ، وَبَاعْدَهَا النَّأْيُ ، فَأَضَحَّتْ مِنِي بَعِيدًا قَرِيبَا .
أَنْ تَكُنْ مَقْلَتِي ، إِذَا غَبَّتِ ، تَسْتَوِي عَلَيْهَا الدَّمْوعُ (حَتَّى تَوُّبَا) .
فَلَكُمْ نَظَرَةٌ ، تُسْرَّتْ بِهَا مِنْ لَكَ ، هَذَا رَوْعَةٌ تَشَقُّ الْقُلُوبَا .

(١) في كتاب الزهرة (ص ٤٤) : عَنْتَ مَحَاسِنَهُ عَنِّي .

(٢) حَيْبُ الْأَوَّلُ : مَحْبُوبٌ ؛ وَالثَّانِيَةُ اسْمُ أَبِي تَمَامٍ .

الحكمة :

كون حكمة أبي تمام ثلاثة أمور :

أ - علمه وسعة اطلاعه ،

ب - كثرة تجواله ،

ج - الثقافة الراهنة .

فاما علمه وسعة اطلاعه فقد مكناه من ان يجعل فكره فيتراث الأولين وآراء الشعراء فيستخرج أحسنها ، او يصفل بعضها او يشقق منها نواحي جديدة . من أجل ذلك اتهمه الآمدي بسرقات كثيرة^١ . والحق ان ابا تمام حاول ان يزيد هذه المعاني التي أخذها إما بالغوص على اوجهها ، او بكسوتها من الصنعة حلقة مجيدة ، وقد احسن في كثير منها : وبعض حكم أبي تمام تجري مجرى الأمثال . ولعل الآيات التي تضرب أمثلاً من شعر أبي تمام لا تقل في عددها عن الآيات التي تضرب أمثلاً من حكم المنبي^٢ ، مع العلم بأن آيات المنبي الحكيمية أشهر في الآفاق وأسير على الألسنة . ومع أن أبو تمام لم يعش سوى ثلات وأربعين سنة قمرية (١٨٨ - ٢٣١^٥) ، فإنه بلغ من النضج مبلغاً عظيماً مما جعل حكمه تقع موقع الصواب وترزق شيئاً من السيرورة على الألسن . فمن حكمه الحجاد المشهورة :

و اذا تأملتَ البلاد رأيتها
ـ فلم يجتمع شرق وغرب لقاده ،
ـ لاشيء ضائع عاشقٍ ؟ فاذا نأى
ـ اني تأملت النوى فوجدها
ـ ما ايض وجه المرء في طلب الغنى
ـ وما كانت الحكماء قالت

ـ تُثري كما تُثري الرجال وتُعدم .
ـ ولا المجدـ في كف امريءـ والدرهمـ .
ـ عنه الحبيب فكل شيء ضائره .
ـ سيفاً على صبر الموى مسلولاً .
ـ حتى يسود وجهه في البيدـ .
ـ لسان المرء من خدم الفوادـ .

(١) الموازنة ص ٢٣ - ٥٤ ، راجع ص ٤٧ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩: ٢١٣ . وقد جرد محسن الامين عدداً كبيراً من حكم ابي تمام وامثاله (اعيان الشيعة ١٩: ٢١٤ - ٢٢٠) .

و يرجى شفاء السُّمِّ والسمَّ قاتل .
 فالليل حرب للمكان العالى .
 لكن بحيلة مُتعَبٍ مكذوب .
 ادركته ادركتني حرفة الأدب .
 ولم يغب طالب بالنجاح لم ينجب .

ولا ريب أبداً في أن هذا النوع أعلى أنواع حكمه، وأي حكمة تبلغ في اصابة المرمى وسهولة التعبير إلى قوله :

ما الحب الا للحبيب الأول !
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى ،
 نقلْ فوادك حيث شئت من الهوى :
 و حينئه ابداً لأول منزل .

فهذه تستحق ان تسير على وجه الدهر ، اذا استعملنا تعبير ابن رشيق . واما حكمه المستمدة من الثقافة الراهنة فكثيره الصنعة كثيرة التكلف بعيدة عن اسس «المثل السائر». لا يفهمها الا النحاة ، او الفقهاء ، او العلماء او الفلاسفة . و من أجل ذلك ايضاً كان يُتهم بقول ما لا يُفهم كقوله في الخمر مضمناً اشاره نحوية :

خرقاءٌ يلعب بالعقل حبَّابها كتلاعب الأفعال بالاسماء :
 و قوله في العطاء ، وفيه إشارة الى آي من القرآن الكريم ^١ :
 اللود للقربى . ولكن عُرفه للأبعد الأوطن دون الاقرب .

وعندى ان هذه لا تدعى حكمة ولكنها مجازة لزمن شهد الثقافات المختلفة من عربية اسلامية او فارسية ويونانية وهندية فأراد ان يقييد معرفته لها بأبيات شعره : فكان يضر بها أمثلاً . ولكنهم لم يصب دائماً .

غير ان من احسن اقواله في الحكم واختراعه في المعنى قوله الذي اكتسبه من اختباره الخاص لا من الثقافات الشائعة ، والذي ساقه في ألفاظ فصيحة

(١) الشورى (٤٣) : ٢٢ ؛ البقرة (٢) : ١٧٧ ، ٨٣ ، النساء (٤) : ٣٦ : وغير هذه .

وتراكيب سهلة جداً ، بالإضافة إلى أسلوبه العام ، فأكسبه بذلك سيرورة على الألسن :

- ـ و اذا اراد الله نشر فضيلةٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ـ و طول مُقام المرأة في الحيِّ مُخلق
فاني رأيت الشمس زيدت محبة
ـ لا تنكري عطل الكريم من الغنى :

فالسيل حرب للمكان العالى.

- ـ و تنظرني خبَّ الركاب ينصبها
ليس الغبي بسيد في قومه ،
ـ سكن الكيد فيه ، إنَّ من أء
ـ و اذا رأيت من الملال نمَّوه
ـ ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ،
ـ ولو كانتِ الأرزاق تأتي على الحجبي
ـ أولى البرية حقاً أن تؤاسيه

(١) العود خشب ذكي الراinta (له رائحة طيبة شديدة).

(٢) راجع شرح البيتين في المختارات.

(٣) لا تستغربني أن يكون الكريم فقيراً ، فإن السيل يجرد رؤوس الجبال من التراب ويجمع ذلك التراب في الاودية (شبه الرجل الكريم بالجبل العالى بين قومه وبين الناس ، ثم شبه السائلين وطالبي الحاجات بالليل لكتরتهم وتابعيهم). ولكن انتظري الفتى لي ولد حينما تنبأ (تركض) بي الركاب (الابل) ينصبها : يجهدها في السير والسفر . محبي القرىض : باعث الشعر (أقدر الشعراً ، يقصد الشاعر نفسه) . ميت المال : باذل المال بكثرة (أكرم الكراماء).

(٤) المتنابي : المظاهر بالغباء وهو شديد الذكاء.

(٥) الارب (بكر الممزة وسكون الراء) : الدهاء.

(٦) يكدى : يفتقر .

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن^١.
وببدأ البحر جاني مقدمته في كتاب «الواسطة» بالكلام على التنافس والتحاسد
والتحامل فلم ينكرها ، بل عدها من أسباب ما يكشف عن الفضل ويلفت النظر اليه.
ثم ذكر قول أبي تمام — من غير ان يذكر أباً تمام — :

وإذا اراد الله نشر فضيلته طُويت أتساح لها لسان حمود^٢ !

وابع هذا البيت بقوله : « صدق ، والله ، وأحسن ! »

ثم علق على هذا كله بسبعة أسطر شرح فيها المعاني التي تدور في ذلك هذا
الموضوع والتي أوجزها ابو تمام كلها في بيت واحد^٣ .

الزهد

كان الشاعر احياناً — أما في العصور المتأخرة فدائماً — ينظم في ابواب الشعر
من جميع اجره وعلى جميع قوافيه . فإذا رأينا زهداً لأبي تمام فليس معنى ذلك انه
ترهد ، فهو لم يبلغ السن التي تلجم الإنسان الى أن يحاسب نفسه على اعماله السالفة ،
فقد مات في أوائل كهولته او في اواسطها على اكبر تقدير . ولم نعلم عارضاً اتفق
لأبي تمام يدفعه الى الزهد كما كان شأن أبي نواس . وليس لأبي تمام في هذا الباب
جيد ولا جديد .

وأما الأبيات الستة والأربعون التي اثبتها الخطاط^٤ فهي ركيكة جداً لا يعقل
ان تصدر عن مثل أبي تمام كقوله (ديوان خ ٤٨٣) :

وأنخلص لدين الله صدراً ونية ، فان الذي تخفيه يوماً سيظهر .
فلا بد يوماً ان تصير لحرة بأنثاماً تطوى الى يوم تنشر .

(١) الموطن الخشن : أيام الصيق والفقير .

(٢) الواسطة ١ .

(٣) ديوان خ ٤٨٢ - ٤٨٤ .

ومن كلام أبي تمام على كهولته^١ وانتشار الشيب في رأسه^٢ مما دعا الغواني إلى
النفرة من بعد طول الانس^٣ :

جرت في قلوب الغانيات لشَيْبَتِي قُشَعْرِيرَةٌ مِنْ بَعْدِ لِينٍ وَلِيَنَاسٍ ،

نرى انه قال هذه الايات القليلة في أواخر ايامه ، وان كان اسلوبها يدل على
انها يجب ان تكون من أول عهده بمعناه الشعر . على ان الذي لا شك فيه ان
اسلوب هذه الايات ركيك جداً بعيدة عن اسلوبه في آخر حياته الأدبية وفي
مطلعها .

• • •

هذا محمل ما يمكن ان يقال في شاعر ملأ عصرًا ، وترك بعده دويًا ؛ شاعر^٤
مثل الاسلام والقومية أجمل تمثيل ، ووقف ديوانه على جلو عظمتها الحق^٥ في
شعر متين .

حق^٦ لشعر ابي تمام ان يُحبَّ فهو شعر مملوء بالمعاني ، مزدحم بالصور
الجميلة ، مرصوف رصفاً متقنًا يدل على براعة لم يظفر بها كل شاعر ؛ بل لم
يظفر بها احد سوى حبيب بن اوس . انك لا تجد قصائد ابي تمام مُزاجة ترفض
ابياناً جوفاء عن معان تافهة ؛ ولا اصواتاً مختلفة عن افكار غير موثقة .

قد لا يطيب لك ان تحمل ديوان ابي تمام في نُزَّهَك ، او ان تقرأ منه في
سمرَك ؛ ولكن اذا اعتزلت ضوضاء العالم ، وترفت عن سفاسف السوقه ،
ومحاقر الجھال ثم اردت ديوان شعر تُسرح طرفة في اياته وفكرك في ارجائه
فليس لك الا بضعة دواوين ، احدها — وقد يكون اعظمها شأنًا في ذلك — ديوان
ابي تمام .

(١) ديوان خ ٣٨٤ ، البيت ١٥ .

(٢) ديوان خ ٤٨٣ البيت ١٤،٧،٥ .

(٣) ديوان خ ٤٨٣ .

قد يأنف بعض الناس من مجالسة السوق والشُّطَّار والعيَّارين كي يميز نفسه منهم امام الناس ولكنه يشركهم في كل ما يميلون اليه من لهو وحديث وقصص . فهو من أجل ذلك على الحقيقة منهم ، تربطه بهم آصرة الذوق . وتلفه ببنعتهم علامة النشأة الأولى . ومن الناس من لا يستسيغ شعر أبي تمام واضر ابه احتجاجاً بتصعيديه وتعقيديه ؛ ولو نسب ذلك الى تناقض الفطرة ومعااصاة الفكره لكان قوله أقرب الى الصواب . وأجدر بالاعتبار .

مخنّارات من شِعره

مديح عبد الله بن طاهر

تولى عبد الله بن طاهر الشام للأمون (٢٠٥ - ٢٠٧ هـ) ثم تولى الرئيسي (٢٠٧ هـ). وفي الخامس من المحرم من سنة ٢١١ (٤ - ٨٢٦ م) تولى مصر إلى أن عيشه الأمون على خراسان في رجب سنة ٢١٣ (خريف ٨٢٨). ولما اشتدت ثورة بابل الخرمي، وجه الأمون عبد الله بن طاهر إلى قتال بابل (٢١٤ هـ).

ويبدو أن هذه القصيدة كانت أول قصيدة مساح أبو تمام بها عبد الله بن طاهر (خ ٤٣ - ٤٦ ، ت ١ : ٢٢٣ - ٢٣٩) :

أهُنَّ عوادي يوسف وصواحبه ! فعزْمًا ! فقدمًا أدرك السُّؤال طالبه .^١

(١) العوادي جمع عادية : العدو ، المعتمد ، المبتدئ ، بالعداوة . والعدي والعادية في القاموس (٤ ، ٣٦٠) ، السطر الثالث) : جماعة القوم يدعون (بفتح الياء وسكون العين) : يركضون يسرعون (لقتال ، أو أول من يحمل (يهم) من الرجال . يوسف : يوسف بن يعقوب ، والإشارة إلى يوسف هنا وقعت على ما ورد من قصة يوسف في القرآن الكريم (السورة الثانية عشرة) . الصواحب جمع صاحبة : الصديقة ، الحبة ، التجيبة . عزما : ثباتاً على ما تتطلب ! قدماً : في الزمن القديم ، طالما . السؤال : المطلب . – يقول : هؤلاء اللواتي يتعرضن لي (من مصابن الدهر ومتغيراته) يشبهن عوادي يوسف (عدواته على الحقيقة) وصواحبه (المتحبيات إليه) ، وهن في الواقع أيضاً عدوات له ، لأنهن يرددن منه ما يغضب الله . =

فذروته للحوادث وغاربه^١ .
 وأخشن منه في الملمات راكبه^٢ .
 فأهواه العظمى تليها رغابه^٣ .
 أخو النجع عند الحادثات وصاحبه^٤ .
 هي الوفر ، أو سرب ترن نوادبه^٥ .
 خشونته ما لم تُفلل^٦ مضاربه .
 قلت : أطمئنني ، أنصر الروض عازبه^٧ .

* * *

إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه
 أعادلني ، ما أخشن الليل مركبا !
 ذريني واهوال الزمان ، أفالها !
 لم تعلمي ان الرماع على السرى
 دعيني على اخلاقي الصنم للتي
 فإن الحسام المندواني إنما
 وقلقل نأي من خراسان جاشهَا

= والهزة في أول البيت زائدة وليس للاستفهام . فاصبر فقد طالما أدرك الصابرون المتابرون
 من أولى الحزم ما كانوا يطلبون .

(١) استخلص الرجل الحزم : بت في الأمور بعزيمة وحكمة مما . فذروته (رأسه) للحوادث
 (المصاب) وغاربه (كتنه) : فإن أمره جميعاً سيؤول إلى الخيبة وسيؤدي به ذلك إلى
 التلف والهلاك .

(٢) العاذلة : التي تلوم الإنسان على فعل لا يرضيه . ما أخشن الليل - مركباً : ما أشق (أصعب)
 السفر في الليل (كنية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحاديث الشديدة والمصائب .

(٣) ذريني (دعيني ، اتركيني) واهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفالها (أفانلها وأقتلها) : أتقلب
 عليها واحداً بعد واحد . تلها : تبتهما . الرغائب جمع رغبة : الامر المرغوب فيه .

(٤) الزياع (فتح الراي وكمراها) : المضاء في الأمر . والزمام (فتح الراي) : الشجاع الجيد
 الرأي المقدم على الامور . أخو النجح وصاحبه : الذي ينجح .

(٥) الأخلاق الصنم هي التي لا تسع قول العاذل واللام . التي هي : حتى أفال التي هي
 الوفر : الغنى . سرب ترن نوادبه : جماعة النساء يبكون في المأتم (الموت) . - ساضم سمعي
 عن كل لوم حتى أفال الغنى الذي أطلب أو أهلك .

(٦) خشونة السيف : مضاؤه وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده
 فلا يقطع كما ينتظر من السيف . - اتركيني أقاسي الأهوال في السعي إلى الغنى والمجده ما دمت
 شاباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .

(٧) قلقل نأي من خراسان جاشهَا : أفلق بعد خراسان قلب (أمرائي ، او عاذلني التفيفة على) .
 قلت لها : أطشني ، أنصر الروض (أحسنت واكرثه عشاً) = أكثر تكبلاً للهال بالشعر
 مازبة (البعيد عن المرعى لأنه لا يذهب اليه أناس كثيرون بقطعنهم - لا يذهب اليه شعراء
 كثيرون) .

على مثيلها ، والليل تسطو غيابه ^١
 وليس عليهم أن تشم عوقيه ^٢ ،
 عريكته العلياء وانضم حاليه ^٣ ،
 رعاها وماء الروض ينهل ساكبه ^٤ ،
 وكان زمانا قبل ذاك يُلاعبه ^٥ ،
 وبالأمس كانت أتمّكته مَدَانِيه ^٦ ،
 وركب كأطراف الأسنة عرسوا
 لأمرِ عليهم أن تشم صدوره ،
 على كل رواد الملاط تهدمت
 رعناته الفيافي بعد ما كان حقبة
 فأضحي الفلاح قد جد في برٍ نحْضي
 فكم جَذَعِ وادٍ جب ذِرْوةَ غاربِ

• • •

- (١) الركب : الجماعة المسافرون معاً . أطراف الأسنة : نصال الرماح (الحديدة التي في رأس الربع) . عرسوا : قصوا الليل . على مثيلها : على (ابل) مثل (أطراف الأسنة) . تسطو غيابه : يشتد سواده فيعطي على كل شيء . - كما نخلوا من طول السفر ومشاقه ، وبعده ذلك فقد كنا نقضى الليل على ظهور الابل (بدلاً من أن ننزل مرة بعد مرة لتنام وتأخذ قسطاً من الراحة - كان سفراً متصلاً) ، وكذلك كانت الابل التي تركها نحيلة من طول السفر ومشاقه .
- (٢) صدوره : أوائله . عوقيه : نهايته ، العاية منه . - كما في سفنا الشاق نقصد أن نتحقق هدفاً ، ولكننا لن نلام اذا لم يتم تحقق ذلك المدف .
- (٣) رواد الملاط : متحرك أعلى الكتف ذات اليمين وذات الشمال في السير (وذلك من صفات الابل) . تهدمت عريكته العلياء : انخفض سمامه وذاب من السفر والتعب . وانضم حالبه ، يقصد : انضم حالباء: قرب أحدهما من الآخر (كتابة عن التحول والهزال) . والhalb عرق في جانب البطن .
- (٤) رعناته الفيافي : اهزله السفر في النهاري (القفار والاراضي الحالية) فكان الفيافي أكلت لحمه . الحقبة : المدة من الزمن . رعاها وماء الروض يهل ساكبه (يكثُر فيه المطر) ، بعد أن كان قد رعى العشب في الاماكن المخصبة فسنن .
- (٥) وقد جدت الصحاري (لطول هذا السفر) في ثوابت شخص (لحم) هذا الجمل . يلاعبه : يلعب فيه ويرتع (كان هذا الجمل من قبل يلاعبي العشب في ذلك الروض لأنك كان شبان لا يحتاج إلى أكل ذلك العشب ، ثم هو مرتاح لا يسافر أحد عليه ، فكان يقضى وقته في ذلك الروض يلاعبي عشبها .
- (٦) جذع الوادي: منطقه ، طوفه . جب: قطع ، قص قطعة من الشيء . أتمك: أسمن . المذانب-

وَسَطَنَا مَلَأَ صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَابِهٌ^١.
 - لَصَاحَبَنَا شَوْفًا إِلَيْكَ - مَغَارَبَهٌ^٢.
 عَلَى مَلِكٍ ، إِلَّا وَلَذَلِكَ جَانِبَهٌ^٣ .
 وَآمُلُهُ ، غَادَ عَلَيْهِ ، فَسَالِبَهٌ^٤ .
 عَدَا أَوْ تَقْفُلَ النَّاعِجَاتُ أَخْاشِبَهٌ^٥ .
 وَسَهَلَتِ الْأَرْضُ الْعِزَازَ كَتَابِهٌ^٦.

إِلَيْكَ جَزَّ عَنْ أَمَغْرِبَ الْمُلْكِ ، كَلْمَا
 فَلَوْ أَنْ سَيَرَأً رُمْنَهُ فَأَسْتَطَعْنَهُ
 إِلَى مَلِكٍ لَمْ يُلْقِي كَلْكَلَ بَأْسِهِ
 إِلَى سَالِبِ الْجَبَارِ بِيَضَّةِ مَلْكِهِ^٧ ;
 وَأَيْ مَرَامَ عَنْهِ يَعْدُونِيَاطُهُ
 وَقَدْ قَرَبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ ،

= جمع مذهب (يكسر الميم وفتح النون) : مسيل الماء . - رب سفر من طرف من واد (مخوف) الى طرف آخر ينزل جملًا كان بالامس قد سمن من خصب هذا الوادي . ما يلاحظ أن أبا تمام قد ذكر معنى واحداً في بقعة أبيات .

(١) جزع : قطع . مغرب الملك : الاقطار الغربية من الخلافة العباسية ، بلاد الشام في الاكثر .
 وسطنا : أصبحنا في وسط ، وصلنا الى . ملا : الارض الواسعة . السبس : الارض القاحلة . صلت عليك سبابه : شكرتك الاراضي التي كانت سباسب ثم أصبحت بفضلك عامرة .
 (٢) لو كانت الاراضي تستطيع أن تسير لرافقتنا أراضي المغرب وجاءت معنا اليك الى المشرق لما سبق من احسانك اليها (كان عبد الله بن طاهر والياً على الشام وعلى مصر أيضاً - راجع مقدمة التصيدة).

(٣) الكلكل : الصدر . بأسه : بطنه .

(٤) الجبار : الملك العظيم . بيضة ملكه : عاصمة بلاده . والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه . آمله : الشخص الذي يأنfi اليه يتطلب معونة . غاد : آت باكراً (اذا جاء باكراً) . سالبه : مستول على أمواله . - انه بقوته وبطشه يسلب الملوك مالكهم ، ثم هو حليم كريم اذا جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يتطلب منه معونة يسيرة أعطاء كل ما يملك (فكانه سله كل شيء يملكه) .

(٥) المرام : المراد ، الغاية ، الهدف . يعلو بالشيء : يتجاوز به عن قصده ، يصرفه عن قصده .
 البساط : العلانق . تفل : تقطع ، وهنا معناها : تذلل . الناعجات : النياق المراع .
 الاخشب جمع أخشب : الارض الغليظة . - ليس (في الارض) مرام تقوم دونه العوانق او تهلك الابل قبل أن تصل اليه يمكن أن يصرقنا عن البلوغ اليه (جميع أنواع العوانق ، بعد المكان ووعورة الطريق وسوى ذلك لا يمكن أن يصرقنا عن زيارة عبد الله بن طاهر لمدحه) .
 (٦) العزاز : الصلب من الأرض . الكتاب (هنا) : الجيوش . - رجاؤه (الثقة بكرمه) قد قرب علينا كل بعيد ، كما أن جيوشك كانت قد ملكت جميع السبل وأمنتها فأصبحت الاسفار كلها سهلة على جميع الناس .

اذا انت وجهت الرِّكابَ لقصده
 جديـرٌ بأن يـستـجـيـي اللهـ بـادـيـاـ
 سـماـ للـعـلـىـ، من جـانـبـيـهـاـ كـلـيـهـمـاـ،
 فـنـوـلـ حـتـىـ لم يـجـدـ من يـنـيلـهـ ،
 وـذـوـ يـقـظـاتـ مـسـتـمـرـ مـرـيـرـهـاـ
 وـأـيـنـ بـوـاجـهـ الـعـزـمـ عـنـهـ ، وـأـنـماـ
 أـرـىـ النـاسـ مـنـهـاـجـ النـدـىـ بـعـدـ مـاعـفـتـ
 فـقـيـ كـلـ نـجـدـ فـيـ الـبـلـادـ ، وـغـائـرـ ،

(١) ذو : الذي (بلهجة طيء)، وهي بنية على السكون، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب). تبيّن طعم الماء ذو أنت شاربه : أدركت أن الماء الذي ستر به عنده (قبل أن تصل إلى عبد الله بن طاهر تعلم ملناً أنك ستثال عنده حظوة وستال منه خيراً كثيراً).

(٢) باديـاـ : مـبـدـنـاـ . النـدىـ : الـكـرـمـ . يـرـاقـبـ (يـرـاقـبـ النـدىـ) : يـخـافـ أن يـضـبـ النـدىـ . لم يـنـصـبـ الفـعـلـ «ـيـسـتـجـيـيـ» فـيـ المـرـةـ الثـانـيـةـ لـضـرـورـةـ الشـعـرـ . - يـخـطـرـ فـيـ بـالـ أـنـ يـدـفعـ لـسـائـلـهـ مـلـئـاـ كـيـرـاـ جـداـ ثـمـ يـرـىـ أـنـ هـذـاـ إـسـرـافـ قـدـ يـغـضـبـ اللـهـ . غـيرـ أـنـ يـرـىـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ إـذـ دـفـعـ أـقـرـبـ مـنـ الـبـلـغـ الـذـيـ خـطـرـ لـهـ أـسـاءـ إـلـىـ الـكـرـمـ وـالـمـرـوـةـ .

(٣) عـبـابـ المـاءـ : المـاءـ الـكـثـيرـ الـمـتـسـعـ . جـاشـتـ : هـاجـتـ وـاضـطـرـبـتـ . الـفـوـارـبـ : جـمـعـ غـارـبـ : ما عـلـاـ مـنـ الـمـوـجـ .

(٤) نـوـلـ : أـعـطـيـ .

(٥) الـمـرـيـرـةـ : الـفـتـلـةـ مـنـ الـحـلـلـ إـذـ فـلـتـ فـلـاـ شـدـيدـاـ . ذـوـ يـقـظـاتـ مـسـتـمـرـ مـرـيـرـهـاـ : هو دائم الـيـقـظـةـ . اـضـمـحلـ : تـلاـشـيـ .

(٦) مـرـائـيـ جـمـعـ مـرـآـةـ . - انـ الـحـزـمـ يـوـجـبـ أـلـاـ يـنـهـبـ أـحـدـ إـلـاـ إـلـيـهـ ، وـذـكـرـ لـأـنـ تـجـارـبـهـ وـاسـعـةـ جـداـ تـعـرـفـ حلـولـ جـمـيعـ الـمـشـاـكـلـ (كـأنـ تـجـارـبـهـ مـرـايـاـ تـظـهـرـ فـيـهـ الـأـمـورـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـاـ) .

(٧) عـفـاـ : اـعـفـيـ ، ذـهـبـ أـثـرـهـ . الـمـهـيـعـ : الـطـرـيـقـ الـواـسـعـ الـمـطـرـوـقـ (الـذـيـ يـسـيرـ عـلـيـهـ النـاسـ) . المـثـلـ : الـظـاهـرـ الـمـفـضـلـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ آـخـرـ . (مـعـ التـوـبـ : تـهـراـ وـذـهـبـ مـعـالـهـ) . الـلـاحـبـ : الـطـرـيـقـ الـواـسـعـ الـظـاهـرـ . - أـرـىـ النـاسـ مـنـاجـ النـدىـ : دـلـمـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـكـرـمـ .

(٨) النـجـدـ : ما اـرـتـقـعـ مـنـ الـأـرـضـ ، الـمـضـبـةـ . الـفـانـرـ : ما اـنـخـفـضـ مـنـ الـأـرـضـ : الـوـادـيـ (أـيـ فـيـ كـلـ مـكـانـ) . مـوـاهـبـ لـيـسـ مـنـهـ وـهـيـ مـوـاهـبـ : أـنـوـاعـ مـنـ الـإـحـسـانـ لـمـ يـفـعـلـهـ مـوـهـبـ . وـلـكـنـ فـعـلـهـ أـنـاسـ تـلـمـعـواـ فـعـلـهـ مـنـهـ ، فـكـانـهـ أـصـبـحـ مـنـ فـلـهـ هـوـ .

لتحديث له الأيام شكر خناعة
فوالله ، لوم يلبس الدهر فعله
ويا لها الساري فسر غير حاذر
فقد بث عبد الله خوف انتقامه
يقولون : « إن الليث ليث خفية ،
وما الليث كل الليث إلا ابن عترة » .

* * *

ولو خر فيه الدين لأنهال كائنه .
قد اتسعت ، بين الضلوع ، مذاهبه .

و يوم امام الموت دخض وقفته ،
جلوت به وجه الخليقة ، والقنا

(١) تحدث له الأيام شكرأ : فلتشركه الأيام . شكر خناعة : أي وهي (الأيام) خناعة ، ذليلة ، مجرة على هذا الشكر ، إذ لواه ما كان كرم ولا كانت الأعمال المجيدة ، حتى أن فضله وإحسانه تعدي البشر إلى الموجودات كلها ؛ نطيب الصبا (الربيع الشريقة) وطيب الجنوب (فتح الجيم : الربيع الجنوبي) من إحسانه هو أيضاً .

(٢) القراء : الحالص الصافي . معايه : معايب الماء .

(٣) الساري : المسافر في الليل . حاذر : هاب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .

(٤) لقد صارت المقارب تهاب سطوة عبدالله بن طاهر فلا تخترج من أوكرارها لا نهاراً ولا ليلاً .

(٥) يزعمون أن الأسد (الحقيقي ، الصحيح) هو الأسد (الذى يسكن) خفية (غابة كثيفة الشجر) ، وتكون له أنبياء ومخالب مطروحة (محددة)

(٦) الواقع أن الأسد الذي يستحق هذا الاسم هو الذي يذنب (وهو في ملك عبدالله بن طاهر) ثم يستطيع أن يعيش بعد ذلك فوق نافع^١ (مدة ما بين حلتين) ، يقصد « مدة يسيرة » .

ان الخوف من عبدالله بن طاهر سيقتل ذلك المذنب من غير أن يتعرض عبدالله بن طاهر له .

(٧) دحض : زلق (فتح الزاي وكسر اللام) تزلق فيه القدم ، يصعب الثبات فيه . أمام الملك : للدفاع عن الملك . الكاتب : الكليب (الرمل الكبير المجتمع) . - لو خر فيه الدين : لو أنهزم فيه جند الخليفة . لأنهال كائنه : لزال الدين كله .

(٨) جلوت : بیضت . اتسمت مذاهب القنا (الرامح) بين الضلوع : كثُرت الجراح الكبيرة الواسعة (كثُر القتل) .

رُوَاءٌ نَوَاحِيْهِ عِذَابٌ مَشَارِبِهِ^١ ،
هُوَ الْمَوْتُ ، إِلَّا أَنْ عَفْوَكَ غَالِبُهُ^٢ .
«إِلَا هَكُذا فَلَيَكُسْبِ الْمَجْدَ كَاسِبِهِ» .
غَدَاهَا الْوَغْنِيُّ ، أَهْلَ الْوَغْنِيِّ وَاقَارِبُهُ^٣ :
إِذَا نَجَّمَتْ بَأْتَ بَصُرْ كَوَاكِبِهِ^٤ .
تَزَحَّرْ قَصِيبًا ، اسْوَأُ الظَّنَّ كَادِبُهُ^٥ .
عَلِيًّا بَأْنُ^٦ لِيَسْتَ تُنَالَ مَنَاقِبُهِ^٦ .
فَقَدْ طَالَتْهُ بِالسَّنْجَاجِ مَطَالِبُهُ^٧ .

شَفَيْتَ صَدَاهُ ، وَالصَّفِيْحُ مِنَ الطَّلْلِ
لِيَالِيَ لَمْ يَقْعُدْ بِسِيفِكَ أَنْ يُسْرِى
فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبُ لِقَالَتْ ، مُحْكَةً^٨ :
لِيُعْلَمَ أَنَّ الْغُرْرَ مِنْ آلِ مُصْبَبٍ ،
كَوَاكِبُ مَجْدٍ ، يَعْلَمَ اللَّيْلُ أَنَّهَا
وَبِاِيَهَا السَّاعِي لِيُدُرِكَ شَاؤَهُ ،
بِحَسِيبِكَ مِنْ نَيلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُسْرِى
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبَعِكَ رَحْلَهُ

(١) شَفَيْتَ صَدَاهُ (عَطْشَهُ) : شَفَيْتَ مَا فِي نَفْسِهِ ، بِلْفَتَهُ أَمْبِيَتَهُ . وَالصَّفِيْحُ جَمْعُ صَفَحَةِ (السِّفَرِيْضِ) . رَوَاهُ نَوَاحِيْهِ (قَدْ كَثُرَ الْمَاءُ السَّائِلُ عَلَى أَطْرَافِهِ: أَكْرَتَ الْقَتْلَ فِي الْأَعْدَاءِ) عِذَابُ مَشَارِبِهِ : حَلُوُّ مَاوِهِ (أَنْ انتَصَارَكَ عَلَى بَابِكَ الْخَرْمَى أَدْخُلَ السَّرُورَ عَلَى النَّفْسِ فَكَانُهَا بَدِ الْمَطْشِ تَشَرِّبُ مَاءَ عَذْبَى حَلْوَى) .

(٢) لَمْ يَقْعُدْ بِسِيفِكَ أَنْ يَرِيْهُ هو (أَيْ سِيفِكَ) الْمَوْتُ : لَمْ يَكُنْ يَمْنَعْ سِيفِكَ مَانِعًا مِنْ قَتْلِ بَابِكَ الْخَرْمَى (وَقَدْ سَنَحَتْ لِكَ الْفَرْصَةِ إِلَّا أَنْ عَفْوَكَ غَلَبَ سِيفِكَ) سَوْيَ أَنْ عَفْوَكَ تَغْلِبُ فِي الْحَلْظَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى قَدْرَتِكَ . - يَرِيْهُ : فَعَلَ مَضَارِعَ مَبْنِيِّ الْمَجْهُولِ ، وَنَاثِبَ الْفَاعِلِ ضَمِيرِ الْمَسْتَنِدِ يَرْجِعُ إِلَى «سِيفِكَ» . هو : تَوْكِيدُ الْقَسِيرِ الْمَسْتَنِدِ فِي «يَرِيْهِ» . الْمَوْتُ : مَفْعُولُ بِهِ ثَانِ حَقَّهُ التَّصْبِ . وَلَكِنَّ الْمَوْجُودَ فِي النَّسْخَةِ الْمُطَبَّوِعَةِ (خ ٤٦ ، ت ١ : ٢٣٩) الْمَوْتُ بِالرَّفْعِ . وَاظْنَى أَنَّ النَّاشرِينَ قَدْ قَدَرُوا (بِتَشْدِيدِ الدَّالِ) «هُوَ» بِمَنِي «إِنَّهُ» .

(٣) الْغَرْرُ جَمْعُ أَغْرِيٍ : أَبِيسُ (ذُو مَجْدٍ وَحَسِيبٍ) . آلُ مُصْبَبٍ : أَسْلَافُ عَبْدَاللهِ بْنُ طَاهِرٍ .

غَدَاهَا الْوَغْنِيُّ : يَوْمُ الْحَرْبِ . آلُ الْوَغْنِيِّ وَاقَارِبُهُ : الْقَادِرُونَ الْأَبْطَالُ فِي الْحَرْبِ .

(٤) أَنَّ الْلَّيْلَ نَفْسَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا بَرَزَتْ كَوَاكِبُ آلِ مُصْبَبٍ فِي الْمَجْدِ ، فَانْجُومُهُ هُوَ تَبَدوُ صَغِيرَةً (مَجْدُ آلِ مُصْبَبٍ أَبْرَزُ وَأَوْضَعُ وَأَشْهَرُ مِنْ نَجْوَمِ الْلَّيْلِ) .

(٥) التَّلَوُّ : الْمَسَارُ ، الْتَّالِيَةُ . تَزَحَّرْ قَصِيبًا : ابْتَدَعَ مِنْ مَنَافِسِهِ .

(٦) يَكْفِيكَ مِنَ الْفَضْلِ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ عَنْكَ أَنْكَ تَعْرُفُ أَنَّ فَضَائِلَ عَبْدَاللهِ بْنُ طَاهِرٍ لَا تُنَالُ (لَيْسَ بِامْكَانٍ أَحَدٌ أَنْ يَصْلِيْهَا) .

(٧) إِذَا نَزَلَ إِنْسَانٌ عَنْكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَانْتَأَ مِنْ فَوْزِهِ بِمَا يَطْلُبُ .

رثاء محمد بن حميد الطوسي^١

في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) ، في أيام المؤمنون :

فليس لعينٍ لم يَفِضْ مأواها عُذْرٌ^٢ !
وكذا فلبيجِلَ الخطبُ، وليفدَحَ الأمرُ.
وأصبح في شُغلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ^٣ .
تُوفِيتِ الْآمَالُ بعْدَ مُحَمَّدٍ ،
وَذُخْرًا مَنْ أَمْسَى وَلِيُسْ لَهُ ذَخْرٌ^٤ .
ومَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلَّ مَالُهُ .
وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفَهِ^٥ ،
إِذَا مَا اسْتَهْلَتْ ، أَنَّهُ خُلُقُ الْعُسْرِ^٦ .

• • •

الا في سبيل الله من عطلت له فجاجُ سبيل اللهِ وانغر الشَّغَرُ^٧ .

(١) راجع فوق ص ١٢٥-١٢٦.

- (٢) جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر (المصيبة) . الأمر : الحادث ، الشأن . فدح : ثقل حتى يعجز الإنسان عن حمله أو احتماله . – إذا لم تكن المصيبة عظيمة كمقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفض مأواها : لم يكثُر بكارها .
(٣) توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرب الم사فرون عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

(٤) كان مالاً حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .
(٥) وكان إذا طلب أحد منه مالاً أعطاه ميلناً كبيراً ينسنه أن في الدنيا فقرًا .

(٦) اانا نختسب في سبيل الله (نرضي ما شاءه الله من موت محمد بن حميد) رجلاً عطلت له سبيل الله (ترتفق الجهاد بعد موته) . انغر الشَّغَرُ : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة (غير محروسة) . الفج : الطريق الواسع . الشَّغَرُ : المكان الذي يخْشى منه هجوم العدو .

فَتَىً ، كَلِمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ
 فِي دَهْرٍ شَطَرَانِ فِيمَا يَنْبُوْسُهُ :
 فِي مَاتٍ ، بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّربِ ، مِيَتَةٌ
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضَرِبُ سِيفِهِ
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا ؛ فَرَدَهُ
 وَنَفْسٌ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا
 فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ ،
 غَدَا عَدُوَّهُ وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ ،

- (١) فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا : نَزَلَ بِتِلْكَ القَبِيلَةِ مَصِيرَةٌ . ضَحَّكَتْ عِنَدَ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ .
 وَاسَى تِلْكَ التَّبِيَّلَةَ بِنَفْسِهِ وَمَا لَهُ حَتَّى يَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِعِنْدِ أَخْلَاقِهِ وَبِكَثْرَةِ كُرْمِهِ .
- (٢) يَنْبُوهُ : يَصِيبُهُ (يَتَلْقَى بِهِ) . - نَصَفُ أَيَّامِهِ فِي الْحَرْبِ (الْإِنْصَارُ عَلَى الْأَعْدَاءِ) وَنَصَفُ أَيَّامِهِ فِي الْكَرْمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ
- (٣) تَقْوِيمُ مَقَامِ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ : إِنْ الْمِيَةُ التَّبِيَّلَةُ الَّتِي مَاتَهَا تَعْدُ نَصْرًا أَكْبَرَ مِنَ النَّصْرِ
 الْمَادِيِّ الْمَأْلُوفُ عَنْدَ النَّاسِ .
- (٤) ذَلِكَ لَأَنَّهُ لَمْ يَسْقُطْ فِي الْمَعرَكَةِ قِتْلًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَشَقَّقَ حَدِ سِيفِهِ وَبَعْدَ أَنْ تَكْسُرَ رِمَاحَ
 كَثِيرَةٍ وَهُوَ يَقْاتِلُ بِهَا .
- (٥) قَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ (وَكَانَ هُوَ قَدْ انْصَرَفَ فَعْلًا مِنَ الْمَعرَكَةِ ،
 وَلَكِنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الْغَرْمِيَّةَ يَقْاتِلُونَ جَمَاعَةً مِنْ رِجَالِهِ فَرَجَعَ لِيَدِافَعُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ وَحْدَهُ) .
 الْحَفَاظُ : الدِّفاعُ عَنِ الْمَحَارِمِ (عَمَّا يَدْخُلُ فِي وَاجِبِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَدْافَعَ عَنْهُ مِنَ الدِّينِ
 وَالْشَّرْفِ) . الْوَعْرُ : الصَّعْبُ . الْخَلْقُ الْوَعْرُ : الْخَلْقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا يَتَزَحَّرُ صَاحِبُهُ
 عَنْ مُوقِفِهِ وَاعْتِقادِهِ .
- (٦) وَرَدَهُ أَيْضًا إِلَى الْمَوْتِ نَفْسُ تَخَافُ أَنْ يَلْزَمَهُ الْعَارَ (الْعَيْبُ طُولُ حَيَاتِهِ) إِذَا لَمْ يَنْجُدْ بِنِي
 قَوْمِهِ فِي الْقَتَالِ . وَتَخَلَّفُ الْعَرَبِيُّ عَنِ نَجْدَةِ أَخِيهِ فِي الْحَرْبِ يَعْدِ كُفَّرًا ، بَلْ الْكُفَّرُ أَقْلَى مِنْهُ .
- (٧) فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ : أَدْرَكَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ لَأَنَّهُ وَحْدَهُ وَالْأَعْدَاءُ كَثِيرُونَ ، فَنَصَمَ
 عَلَى أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ يَقْاتِلُ . وَقَالَ ، يَا رَجُلِي ، الْحَشْرُ (الْبَعْثُ مِنَ الْمَوْتِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ)
 تَحْتَ بَاطِنِكَ : قَرِيبٌ جَدًا .
- (٨) غَدَا عَدُوَّهُ (هُجْمَهُ وَاحِدَةً) . وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ (لَأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا فِي هُجْمِهِ جَادًا -

تردى ثيابَ الموتِ حُمراً ؟ فما دجا
لها الليل إلاّ وهي من سُندسٍ خضراء .

* * *

نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرٌ .
ويبيكي عليه البأسُ والجحود والشعرُ .
إلى الموتِ حتى استشهاداً، هو والصبرٌ .
ولكنَّ كثيراً أَنْ يُقال به كِبِيرٌ .
وبزنته نارُ الحرب ، وهو لها جمرٌ .

كأنَّ بني نَبْهَانَ ، يومَ وفاته ،
يُعَزَّونَ عن ثاوٍ تُعزَّى به العلا ،
وأَنَّ لَهُم صَبْرٌ عَلَيْهِ ؟ وقد مضى
فِيَ كَانَ عَذَابَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَصَاصَةٍ ،
فِيَ سَلَبَتْهُ الْخَيلُ ، وهو حِمَىٰ لَهَا ؟

= فلم ينصرف (لم يتوقف عن هجمته) إلا وأكفانه الأجر (إلا مات ونال أجر شهيد في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها إلى الجنة) .

(١) تردى ثياب الموت حمراً : مات مقتولاً (صيف الدم الأحمر ثيابه) . دجا لها الليل : أسود الليل لها : جاء عليها الليل (لما صار الليل) . إلا وهي من سندس خضر : إلا أصبحت من حرير أخضر (دخل الجنة لأنَّ مات شهيداً) . والثياب السنديس الخضر من لباس أهل الجنة (سورة الكهف ١٨ : ٢١) .

(٢) بنو نبهان قومه . كأنهم نجوم فقدت بدرها (أشدتها نوراً : أعظمها) . يحسن أن نفهم هذا البيت فهما بلا غياً لا فهماً فلكياً ، لأنَّ البدر إذا غاب عن السماء كانت النجوم أشد لمعاناً .

(٣) ثاو : مدفون (ميت) . البأس : القوة والشجاعة في الحرب . جعل الناس يعنون به قومه . وال الصحيح أن الشجاعة والكرم والشعر (الذي فقد أعظم المدحدين وأكرمههم) يجب أن تعزى به لأنَّ موته كان مصيبة على هذه أكبَر من المصيبة على أهله .

(٤) وكيف يستطيع أهله أن يصبروا عليه (يسلونه ، ينسون المصائب به) وقد مات الصبر معه في المعركة . قد مضى إلى الموت : ذهب وهو عازم على أن يموت .

(٥) عذب الروح : حسن المعاشرة متواضعاً . غصابة : ذل وضعف في النفس . ولكنَّ كثراً أن يُقال به كبر : كانت نفسه تأبى عليه أن يُقال عنه أنه متكبر فيتواضع قصداً ومن عند نفسه اختياراً .

(٦) سلبته الْخَيلُ : سلبته خيل العدو روحه (قتلته) . وهو لها حمي : كانت الْخَيلُ في الحرب تختفي به . بزنته (غلبته) نار الحرب ، وهو لها جمر (هو الذي يسرع الحرب ، ولولاه لما كانت حرب) .

وقد كانت البيضُ المأثيرُ في الوعيِ
 أمينٌ بعد طيِّبِ الحادثاتِ محمدًا
 اذا شجراتُ العُرُوفِ جُذِّتَ أصولُها،
 لشِنْ أبغضَ الدهرُ الخوافنُ لفَقْدُهِ،
 لئنْ غدرَتِ في الرُّوعِ ايامُهُ بهِ
 لئنْ ألبستِ فيهِ المصيبةَ طَسِّيَّهُ،
 كذلك ما نتفكَّ فنقُدُّ هالِكا
 سقى الغيثُ غياثًا وارتَ الأرضُ شخصَهِ،
 وكيف احتمالي للغيوثِ صنيعةَ
 مضى طاهرَ الأثوابَ، لم تبقَ روضةَ

(١) البيض : السيف . المأثير جمع مأثور : الذي في متنه علامة (دالة على جودة صنعه ، أو أنه ملك لقوم معينين فهم يتوارثونه بخودته) . بوادر : قاطعة ، ذات فعل في الأعداء (لأنَّه هو الذي كان يضرب بها في الحرب) . فهي الآن من بعده بتر (جمع أبتر) : مقطوعة ، مقلولة (إذ ليس في الناس بعده من يحسن القتال بها مثله) .

(٢) الحادثات : الاحداث العظام ، المصائب . طي الحادثات محمدًا : اخْتَارَهُ ، قتله . أنواب الندى : الكرم . نشر : اظهار (ليس بعد محمد بن حميد من يدعى كريماً جواداً بحق) .

(٣) اذا قطعت الشجرة من كعبها بييس الورق في جميع أغصانها (محمد بن حميد كان شجرة الجود ، وجميع الايجواد كانوا فروعًا من تلك الشجرة ، فلما مات هوذهب الكرم منهم أيضاً) .

(٤) اذا كذا الآن نفس الدهر لأنَّه خانه وغدر به وقتلَه ، فلقد طالما كنا نحب الدهر لأنَّه جاء به الى الدنيا .

(٥) الرُّوعُ : الحرب .

(٦) يشاركونا في فقدِه : يشاركونا في الحزن عليه .

(٧) النيث الاولى : الماء الساقط من الغيم . والنيث الثانية : الرجل الكريم . وارت : سرت . شخصه : شبيه ، صوته المادية . وان لم يكن فيه (في النيث الثاني) سحاب (برق ورعد) ولا قطر (ماء حقيقي) .

(٨) الاحتمال : الامكان . صنيعة : فضل . - كيف يمكن للنيل (الامطار الحقيقة) أن تستقي قبراً فيه بحر . البحر : الرجل الججاد الكريم .

ثوى في الثرى من كان يحيى به الثرى ،
ويغمُر صرف الدهر نائلُه الغَمْرٌ .
رأيتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لِيَسَ لَهُ عُمْرٌ .

عليك سلامُ الله وقفًا ، فإنني

-
- (١) ثوى في الثرى : مكث في التراب ، دفن . الثرى الثانية : التراب الذي ينبت فيه البات .
صرف الدهر : مصائب الدهر . النائل العطاء . النمر : الكثير الذي يفرق كل شيء في
نفسه . - كان عطاوه واحسانه يغمران الفقر والمصائب حتى تخفي المصائب ويخفي الفقر .
(٢) وقفًا : عليك وحدك .

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى الحميدي

كان أبو سعيد الثغرى هذا من الشجعان والقواد في أيام المعتصم ، ومن قواد حميد الطوسى . وقيل له أيضاً المروزى لأنه كان من أهل مرو . غير أنه اشتهر بلقب الثغرى لأنه لزم الحرب في الثغور ، في الشام وخراسان ، فيما أحسب . وهو عربي من طبى .

أما هذه القصيدة التي مدحه أبو تمام بها فقد قيلت – فيما يبدو – بعد مقتل محمد بن حميد ، كما نلاحظ في البيت العاشر ، وقبل مقتل بابك الخرمي ، كما نرى في البيت الحادى والعشرين وفي الآيات التي تليه .

غدت تستجيرُ الدمع خوفَنوى غدٍ ، وغاد قتاداً عندها كلُّ مرقدٍ .
وأنقذها من غمرةِ الموت أنه صدودٌ فراقٌ لا صدودٌ تعمدٌ .
فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مورداً ، من الدَّمِ ، يجري فوقَ خدَّ مورداً .
هيَ البدْرُ يُغنىها تودَّدُ وجهها إلى كلِّ من لاقت ، وان لم تَوَدَّدَ .

(١) غدت (نهضت باكراً) تستجير الدمع (تنتجد بالدم : تبكي) خوف نوى غد : خوفاً ما سيجره عليها الفراق في اليوم التالي (في يوم قريب) . القتاد : شوك . وأصبح كل فراش لها شوكاً (امتنع عليها النوم من الحزن) .

(٢) ولكن الذي انقذها من الموت (حزناً) أن صدود المحب (ابتعاده عنها وفراقه لها) كان اضطراراً ولو قت قصير ، لا هجرأ مقصوداً دائماً .

(٣) أجرى الاشفاق (الملووف من الفراق) دمعاً مزوجاً بالدم (غيراً مؤلماً) فوق خدتها المورد (الجحيل) .

(٤) التودد: التعب إلى الناس . وجهها جميل يحبها الناس بخلاله من غير أن تتكلف هي التعب عليهم .

فَقُرْتُ بِهِ ، إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ^١ ،
 إِلَّذَّ بِهِ ، إِلَّا بِنُومٍ مُشَرَّدٍ^٢ .
 لِدِيَاجِتِيهِ ، فَأَغْرَبَ تَسْجُدَّ^٣ .
 إِلَى النَّاسِ ، أَنْ لِيْسَ عَلَيْهِمْ بَسَرَمَدٍ^٤ .
 وَرَبُّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُسْتَنْصَدُ^٥ :
 تِبَارِيعَ ثَأْرِ الصَّامِيِّ مُحَمَّد٦ .
 بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ^٧ :
 وَأَشْجَعَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ وَالْجَدَّ^٨ .
 دُعَاهُ ، وَلَمْ يَظْلِمْ^٩ ، بِأَصْلَعِ أَنْكَدٍ^٩ .

ولِكُنْتِي لَمْ أَحْوِ وَفَرَأِ مُجْمَعًا .
 وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نُومًا مُسْكَنًا
 وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيَّ مُخْلِقٌ
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيَّدَتْ مُحْبَّةً^{١٠} ،
 حَانَتْ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَدْمِي مُتَوْنَهَا ،
 لَقِدْ كَفَ سَيفُ الصَّامِيِّ مُحَمَّدٌ^{١١} ،
 رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابِكَأَ وَلُولَتَهُ
 بِاسْمَحَّ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ سَمَاحَةً^{١٢} ،
 إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحِ أَيْمَانِي^{١٣}

(١) الْوَفْرُ : الْفَنِيُّ . الْمَبْدُ : الْمَفْرَقُ . - لَا يُسْتَطِعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمِعَ رُؤْوَةَ إِلَّا إِذَا فَارَقَ أَهْلَهُ وَوَطْنَهُ .

(٢) وَلَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَنْامَ مِنْ نُومًا هَادِيًّا هَانِيًّا مَرِيحًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ قَدْ قُضِيَتْ قَبْلَ ذَلِكِ لِيَالِي (وَقَنَا طَوِيلًا ، مَرَايَا) لَا أَذْوَقُ فِيهَا النَّوْمَ (لِسْفَرِ التَّوَاصِلِ الشَّاقِ) .

(٣) أَنْ طُولَ مَكْثُ الرَّوْءِ فِي بَلْدَهِ يَجْعَلُ الْعَيْوَنَ ثَالِثَهُ فَيَتَلَقَّهُ إِحْتَمَانُ النَّاسِ بِهِ ، فَتَنْبِيبُ عَنْ بَلْدَكَ مَدَّهُ ، فَإِنَّكَ إِذَا رَجَعْتَ بَعْدَ ذَلِكَ اهْتَمْ بِكَ أَهْلَ بَلْدَكَ (لَا تَكُونُ سَبَدُ لَعْيَوْنِهِمْ كَأَنْكَ شَخْصٌ جَدِيدٌ عَلَيْهِمْ) . الدِّيَاجِتَانُ : الْخَدَانُ .

(٤) السَّرْمَدُ : الدَّافِمُ . - النَّاسُ يَجْبُونُ الشَّمْسَ لَأَنَّهَا تَنْبِيبٌ وَتَطْلُعٌ ، وَلَا نَعْيُومُ الشَّتَاءَ تَسْرِهَا حِينًا فَيُشْتَوِقُ النَّاسُ إِلَيْهَا وَالْحَرَارَتِهَا .

(٥) الْبَيْضُ : الْسَّبِيُوفُ . تَدْمِي مُتَوْنَهَا : يَجْرِي الدَّمُ عَلَى جَوَانِهَا (لَكْرَةُ الْفَرَبْ بِهَا فِي الْمَرْبِ) . القَنَا : الرَّمَاحُ . الْمُنَادِ : الْمُنْحَنِيُّ (لَأَنَّ الرَّمَحَ الْمَيِّدَ لَيْنَ ، فَإِذَا طَعِنَ بِهِ شَيْءٌ قَاسٌ ، كَالْمَدْرَعِ مَثَلًا فَانِّهُ يَنْحَنِيُّ) . الْمُنْقَصِدُ : الْمُنْكَسِرُ (إِذَا زَادَ اخْتَنَاءُ الرَّمَحِ مِنَ الطَّعْنِ فَإِنَّهُ يَنْكَسِرُ) .

(٦) الصَّامِيُّ مُحَمَّدُ الْأَوَّلِ : أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدٌ بْنُ يَوْسَفِ الثَّفَرِيِّ الطَّالِبِيِّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي الصَّامِتِ . الصَّامِيُّ مُحَمَّدُ الثَّانِيُّ : مُحَمَّدٌ بْنُ حَمِيدٍ ، وَهُوَ مُنْسُوبٌ إِلَى بَنِي الصَّامِتِ أَيْضًا . - انتَصَرَ أَبُو سَعِيدِ الثَّفَرِيِّ عَلَى بَابِكَ الْحَرَمِيِّ فَأَخْذَ بِثَأْرَ مُحَمَّدٌ بْنُ حَمِيدٍ الَّذِي كَانَ قُدُّمَتْ قَتْلَ فِي حَرْبِ بَابِكَ .

(٧) الْوَلَاءُ : الْأَنْصَارُ وَالْأَتَابُعُ . قَاصِمَةُ الظَّهَرِ : الْمُعْصِيَةُ الْمُظَيْمَةُ . الْمَشَهَدُ (هَنَا) : الْمَوْقَعُ ، الْمَرْكَبُ .

(٨) السَّاهَةُ الْكَرْمُ . أَشْجَعُ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ : لَا يَهَابُ شَيْئًا وَلَا يَجْبَنُ عَنْ خَطْرٍ . أَنْجَدُ : عَظِيمُ التَّجْدِيدِ (الْإِسْرَاعُ إِلَى مَعْوِنَةِ الَّذِينَ يَطْلَبُونَ مَعْوِنَهُنَّ) .

(٩) الْجَلْحُ : اخْسَارُ الشَّعْرِ عَنْ مَقْدِمِ الرَّأْسِ خَلْفَهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْعَرَبِ يَتَفَاءَلُونَ بِهِ . وَالصَّلْمُ =

بِهِيَابَةٍ نِكْسٍ وَلَا بِعُرْدٍ^١ ،
 تَهَدَّى إِلَى الرُّوحِ الْحَافِيَ فَتَهَنِّدِي^٢ .
 وَمَا شَكَ رَبُّ الدَّهْرِ فِي أَنَّهُ رَدِي^٣ .
 لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدْ^٤ ،
 فَمَا كَانَ فِي أَشْيَاعِهِ بِمُفْنَدٍ^٥ !
 بِأَبْطَالِهِ فِي جَاحِمٍ مُتَوَقَّدٍ^٦ ،

فِيْ يَوْمِ بَذَّ الْحُرْمَيْةِ لَمْ يَكُنْ
 قَفَا سِنْدِيَا يَا وَالرَّماحُ مُشِيشَةً
 عَدَا الْلَّيلُ فِيهَا عَنْ مَعَاوِيَةَ الرَّدِيِّ ،
 لِعَمْرِي ، لَقَدْ حَرَّتَ يَوْمَ لِقَائِهِ ،
 فَإِنْ يَكُنْ الْمَدَارُ فِيهِ مُفْنَدًا ،
 وَفِي ارْشَقِ الْمَيَاجِعِ ، وَاللَّيلُ تَرْتَبِي

= سقوط الشعر من معظم الرأس ، وكان مذموماً ويتشاهدون به . - نحن كما ندعوه أبا سعيد الشفري « أجلج » تيمناً بذلك (وكانت على حق لأن أبا سعيد انتصر على بابك وأتباعه ورد عن المسلمين هرثام كثيرة) . وكان أعداؤه (أتباع بابك وأنصاره) يدعونه « أصلع » تهاوناً بصلمه ، وكانوا أيضاً على حق لأنهم هزمهم وقضى على آلامهم .

(١) بذ : غلب . الحرمية : أصحاب بابك . الميابة : الكثير الهيبة (الحوف) اغيره .
 النكس : الضعيف . المارد : الهارب (ليبتعد عن الاخطار) .

(٢) قفا : خلف ، وراء (لعلها فعل ماضٍ) . سندباديا : موضع في أذربيجان بالبلد .
 المشيخ : المقليل عليك المانع لما وراء ظهره (كذابة عن جرأة الماجين وكثرةهم) . تهنىءى
 (الرماح ، أي تصوب ، يشار بها) إلى الروح (إل نفس المحارب حيث مقتله) .
 الخفي : الغائب ، المستور المختفي (وراء جدار أو في درع ، وبشجاعة صاحبه) . فتهندي :
 تنصيب (المقتل) وقتل (كذابة عن بصر أولئك المقاتلين بالحرب وتغمthem عليها) .

(٣) عدا الليل فيه عن معاوية الردي : صرف الليل في سندباديا الموت عن معاوية (هرب معاوية من معركة سندباديا مستتراً بظلام الليل فنجا من القتل) . معاوية = بابك ؟ . وما شك رب الدهر في أنه ردي : وما كان رب الدهر (شدة تلك المعركة) يشك في أنه سيقتل في تلك المعركة .

(٤) لعمري : أقسم بعمري (ببنيي) . لقد حررت (لقد كان بإمكانك أن تقتله وتجعل في قلوب أتباعه حرارة ، أي حرناً عليه) يوم لقيته (في معركة سندباديا) . لو أن القضاء

(علم الله السابق بطول حياة بابك) وحده (ولا شيء آخر غير القضاء والقدر) لم يبرد

(لم يدخل البرد أو الاطمئنان على قلوب أتباعه لأنهم نجا من القتل المتضرر له في تلك المعركة) .
 (٥) فإذا كان حسابنا نحن القضاء والقدر (في مقتل بابك) مفتداً (خاطناً) ، فإن حسابنا في

ذلك وفيما يتعلق بأشياع (بجنود) بابك لم يكن مفتداً .

(٦) أرشق : حصن للMuslimين خرج إليه ببابك ليسطو على مال كان الخليفة المعتصم قد أرسله إلى الأفшиين (ان معرفة ببابك بمعجمه ذلك المال من الأدلة على أن الأفшиين كان يمالء ببابك ، وذلك مما دعا

عطَّلتَ عَلَى رَغْمِ الْعِدَا عَزْمَ بَابَكَ
فَإِلَّا يُكَنْ وَلَى بَشِّلُو مَقْدَدَ
وَقَدْ كَانَتِ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرَنَ قَلْبَهُ،
وَمَوْقَانُ كَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ، فَقَدْ
حَطَّتَ بِهَا يَوْمُ الْعَرُوبَةِ، عِزَّهُ؛
رَآكَ سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرَّمْحَ فِي الْوَغْنِيِّ،

= المعنون الى أن يرسل أبا سعيد الشفري الى حرب بابل عنواناً للاذنين في الظاهر ورقيناً عليه في الحقيقة . أرشق المبياج على الاضافة للبيان في شدة المعركة التي دارت حول أرشق .
الحادي : الجحيم (النار العظيمة اذا كانت في مهوا أو مكان منخفض ، المكان الشديد الحر) . المتوفى : الشديد الاشتغال مع خروج لهب منه .

(١) عَطَّ : شَقَ . الْأَتْحَمِيُّ : الثوب المخطط (المنسوج بخيوط مختلف قوة) . المَضْدُ : الملموح أنه الثوب الذي فيه خطوط نافرة في أصل نسجه . – يقول أبو تمام : « وَ فِي مَعْرَكَةِ أَرْشَقِ
شَقَّتْ عَزْمَ بَابَكَ (كسرت قوته المنوية) بَعْزَمَكَ أَنْتَ، عَلَى رَغْمِ الْعِدَا (على كثرة أتباعه)
شَقَ الْأَتْحَمِيَّ الْمَضْدُ (كما يشق الثوب المخطط في أصل نسجه ، أي بسهولة) .

(٢) الشلو : كل جسم قطع منه شيء وبقيت منه بقية . مقدر . مقطع . هناك (أي في معركة أرشق) . – فالا (إن لا) يكن ول (مات ، قتل) بشلو مقدر (بجسم مقطع في المعركة)
فقد ول (انهزم) بعزم مقدر (بهمة مكسورة لا يفكر ان يعود بعدها الى قتالك) .

(٣) وكانت رماح المسلمين قد أبصرت قلب بابل (صوبت الى مقتله) ، ولكن القضاء (طول عمر بابل المكتوب له في سابق علم الله) أرمد عيون تلك الرماح (جعلها مريضة رماداً
لا تبصر ، اذ حال قضاء الله بين تلك الرماح وبين قلب بابل كانه ستر حاجز) .

(٤) موقان : مكان في أرمينية . دار هجرته : المكان الذي هاجر (ابتعد اليه) حتى لا يصل اليه أحد . توردتها بالحيل : دخلت اليها بخيل كثيرة من كل جانب .

(٥) حطَّتْ عِزَّهُ : خفضت عزه ، أزلته من أعلى الى أسفل . يوم العروبة : يوم الجمعة .
وكان (عزه من قبل) بين نسر وفرقد (النسر والفرقد نجمان في السماء) ، أي في مكان
مرتفع لا يصل اليه أحد .

(٦) سَدِيدَ الرَّأْيِ : بارع في الاصابة بالرمح . تَأْزَرُ بِالْأَقْدَامِ وَتَرْتَدِي : تلبس الاقدام ازاراً
ورداء (كنایة عن اقامه وجرائه في كل موقف من مواقف الحرب) .

وليس يُجلّي الكربَ رمحٌ مُسدَّد
فسرَ مُطِيعاً للعوايِّ ، معوَّداً
وكان هو الجلدَ القُوى ؟ فسابته ،
لعمْرى ، لقد غادرتَ حسنيَّ فواده
وكان بعيدَ القعرِ من كلَّ ماتَحِّ ،
ولا كذَّاج العلِيَا سمت بك هِمَةٌ

(١) يجلي : يجلو ، يكشف . الكرب : الغم ، الشدة . رأى مسد (مصيب) - اذا كان هذا الرأى المصيب لا يصح به رمح مصيب (معرفة بالحرب) - .

(٢) مر : جاز وذهب (فر ، هرب على وجهه) مطيناً للعوايِّ (الرماح) : كأن الرماح حينما أشارت الى قتلها (ولم يكن عمره قد نفد بعد) قد أمرته بالفرار ففر . ثم ان هذه المعركة قد علمته الخوف من الحرب والاحجام (التآخر في مجال الحرب) وعودته ذلك كلها ، ولم يكن من قبل يعرف شيئاً من ذلك .

(٣) الجلد : الشديد ، الصبور . الجلد : القتال والثبات فيه . التجلد : التصبر ، الصبر على المكرره . سبته حسن التجلد : جعلته لا يكتم خوفه وذعره .

(٤) الحسي : الماء القليل في منخفض يسير من الرمل . حسي فواده : ماء فواده (دم قلبه ، روحه) . قريب رشاه : يستقى منه برشاه (جبل) قصير . سهل مورد : سهل مورد : يسهل على جميع الناس أن يستقوا منه (أن يقتلوا ببابك) . - أصبح بابك ما أدخلت على قلبه من الخوف عاجزاً عن صد كل هاجم عليه .

(٥) بعيد القعر : عقيم . الماتح : الذي يعتح (يسحب الماء من البتر بالجبل) . كان بابك من قبل منيماً لا يصل أحد اليه ، كما لا يستطيع أحد أن يسحب الماء بالدلول من البتر العميق جداً . فجعلته أنت قريباً هيناً على كل هاجم كأنه ماء على ظاهر الأرض يشرب الناس منه بأكفهم (من غير حاجة الى دلو وحبل) .

(٦) الكنج تعرّب كده (من الفارسية) . كده (فتح الكاف والدال) : البيت المترزل ، الكهف القرية . وقد تقاسف الى اسم فيقال آتش كده : بيت النيران (معد الفرس القديم) . وقياساً على ذلك نقول ببابك كده : بيت بابك ، قلعة بابك ، عاصمة بابك ، الخ . ويفهم من البيت « وللكنج العليا ... » أن بابك كان له عدد من الحصون ، وأن أبو سعيد التغري استولى على القلعة العليا أيضاً .

وأعْيَتْ صِيَاصِيهَا يَزِيدَ بْنَ مَزِيدًا^١ ،
 وأطْلَقَتْ فِيهِمْ كُلَّ حَتْفٍ مَقِيدَ^٢ ،
 سَمِتْ بِكَ أَطْرَافَ الْقَنَاءِ ، فَاسْمُهُ وَازْدَدَ^٣ .
 تُعْمَرَ عُمْرَ الدَّهْرِ ، إِنْ لَمْ تَخْلُدَ^٤ .
 مِنَ الصَّبْرِ فِي وَقْتِ مُجْحِدٍ^٥ .
 وَقَدْ خَرَّمَتْ بِالذُّلِّ أَنْفَ بْنَ خَازِمَ ،
 فَقَيِّدَتْ بِالْإِقْدَامِ مُطْلَقَ بَأْسِهِمْ ،
 وَبِالْهَضْبِ مِنْ أَبْرَشْتَوْمَ وَدِرِوزَ
 افَادْتَكَ مِنْهَا الْمُرْهَفَاتُ مُكَارِمَا
 وَلِيَلَّةَ أَبْلِيَتِ الْبَيَاتَ بَلَاءَهِ
 فِي جَوَلَةَ ، لَا تَجْحِدِيهِ وَقَارَهَ^٦ ،
 وَيَا سَيْفُ ، لَا تَكْفُرَ ، وَيَا ظَلْمَةَ ، أَشْهَدِيَ .

- (١) خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد : قائدان عباسيان كانا في المشرق أيضًا . الصيادي جمع صيصة : المحن . خزم : على الخزامة (بكسر الخاء) : حلقة من الحديد أو الجلد أو الشعر تعلق في أنف البعير أو غيره من الحيوان بجره بها إذا كان شمواً) . - لم يستطع خزيمة بن خازم ولا يزيد بن مزيد أن يفتحوا الكنج ، وقصدها الكنج ، فيفتحها الكنج ، ورجع عنها مقهوراً .
- (٢) جرأتك عليهم (في عقر دارهم) قيدت قوتهم وأبطلتها ، ثم انك بثت بها أنواع الخطوف (جمع حتف : الموت) .
- (٣) المفض : ما ارتفع من الأرض ، الاراضي المنبسطة في الجبال . دروز : اسم جبل . ابرشتوم جبل بالبلد من ارض موكان من نواحي اذربيجان كان يابك يأوي اليه (ياقوت - طبعة القاهرة - ١ : ٧٤) .

- سمت بك أطراف القنا : صعدت إلى تلك الأماكن عنوة بالسلاح .
- (٤) المرهفات : السيف الرقيقة . المأرة (بضم الثاء) : الفعل البخليل العظيم .
- (٥) البيات : رسم خطة (سراً) لمهاجمة العدو في اليوم التالي . أبليت البيات بلاده من الصبر : أعطيت رسم تلك الخطة حقه من الدرس والمناية والدقّة ، ثم نفذت (في اليوم التالي) تلك الخطة بصبر على الحرب (بمثقبة وتفصيات) . في وقت من الصبر مجده : في وقت لا ينفع الصبر فيه . ومجده صيحة ليست في القاموس .
- (٦) الجولة : المبارزة ، المهمة (في الحرب) . لا تجحديه وقاره : لا تنسى أنه كان وقوراً (ثقيلاً : ثابتاً ، هادئاً) جداً على الرغم من الاهوال التي كانت في تلك المعركة والتي كانت تشني الآسان وقاره (فيجزع أو يجعن أو يستسلم أو يهرب) . يا سيف لا تكفر : لا تنكر فضله ، وأنه لو لا شجاعة أبي يوسف الشفري ومعرفته بأصول القتال لما كان لك فضل . الظلمة : الليل أو المعركة الشديدة القاسية كأنها ظلمة الليل . أشهدي : أشهدي له بالمقدمة والثبات الخ .

لما باتَ في الدُّنْيَا بنوْمٍ مُسْهَدًا .
 اذا عُدَّ الْاْحْسَانُ او لم يُعَدَّ .^١
 سُوِيْ حَسَنَ ، مَا فَعَلْتَ ، مَرَدَّدَ .^٢
 وَمَا قَصَبَاتُ السَّبَقُ الا لِمَعْبَدَ .^٣
 تَرَدَّتْ بِلُونَ ، كَالْغَمَامَةَ ، اَرْبَدَ .^٤
 فَأَمْسَتْ ، وَلِيُسْ اللَّيلَ فِيهَا بِأَسْوَدَ .^٥
 بِنَحْسِنَ ، وَلِدِينِ الْخَنِيفِ بِأَسْعَدَ .^٦
 تُجَذَّبَهُ الاعْنَاقُ ما لَمْ يُجَرَّدَ .^٧
 وَيَفْضُحَ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرُ مُغَمَّدَ .^٨
 وَيَا لَلَّيلُ ، لَوْ أَنِي مَكَانِكَ بَعْدَهَا
 وَقَائِعٌ أَصْلُ النَّصْرِ فِيهَا وَفَرْعَهُ
 فَمَهْمَهَا تَكَنْ مِنْ وَقْعَةِ بَعْدٍ لَا تَكَنْ
 مَحَاسِنُ اَصْنَافِ الْمَغَنِينَ جَهَّةً ،
 جَلَوْتُ الدِّجَى عَنْ اَذْرِيْبِيْجَانَ بَعْدَ مَا
 وَكَانَ ، وَلِيُسْ الصَّبْحُ فِيهَا بِأَيْضِ
 رَأْيِيْ بِابْلِكَ مِنْكَ الَّتِي طَلَعَتْ لَهُ
 هَرَزَتْ لَهُ سِيفًا مِنْ الْكِيدَ ، إِنَّمَا
 يُسْرُّ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُغَمَّدَ ،

- (١) يا ليل ، لو أني كنت مكانك لكافأت أبا سعيد التغري على ظفره في هذه المعركة بأن أ منه نوماً عادياً طبيعياً لا يسره سهراً فيه قلق أو تعب ثم جعلت ذلك له طول حياته الباقية .
- (٢) ان جميع الواقع التالية ، اذا كان فيها نصر فسيكون من اثر هذه المعركة ، سواء أكان النصر يحدث بخطوة واحدة (هي التي رتبها أبو سعيد التغري) أو بخطوات متعددة مختلفة .
- (٣) وكل معركة بعد معركتك هذه سيكون النصر فيها بتكرار خطتك الحكيمية التي ابتدعها في هذه المعركة .
- (٤) للمغنين المختلفين حسنان كثيرة ، ولكن معبد بن وهب المفي الاموي المشهور قد فاز في النهاه عليهم كلهم (وكذلك القواد لهم حسنان وانتصارات كثيرة في المعارك ، ولكن أبا سعيد التغري أفضلاهم كلهم) .

- (٥) جلوت الدجي : كشفت الليل (أبعدت الخطر). تردد بلون كالغمامه أربد (كلون التراب) :
 ليست ثوبًا (من الخوف والخطر) عهها كلها كما تعم النعامة وجه السماء .
- (٦) وكانت اذربيجان تخاف بابل وأتباعه في وقت السلم ، فأصبحت بفضلك لاتخافنه في زمن الحرب .
- (٧) أدرك بابل الآن أن خطتك قد جاءت له بالتحس ، وأنها قد جاءت لإسلام بالسعادة .
- (٨) حاربت بابل بال McKinley التي تجذب (تنقطع) أعنان الأعداء وهي مكتومة غير ظاهرة ، لأنها لو ظهرت وعرفت لاحترس العدو منها فبطل فعلها .
- (٩) هذا السيف (أي المكيدة) يسر صاحبه الذي يستعمله وهو مغمد (كتابية عن ابقاء المكيدة سراً) ، وهو يفضح صاحبه وينزل به الخيبة والضرر ، اذا ضرب به غير مغمد : (اذا كان يعلن خطته في الحرب) .

قلادة مصقول الذئب مهند^١
مقلّدها في الناس ، دون المقلد^٢ .
قد اكتحلت منه البلاد بإثمد^٣ .
على كل نَشْرٍ مُتْلِّبٍ وفَدْفَدٍ^٤ .
يُقَلِّبُ فِكْتَبَهُ شِفَةً مِبْرَدٍ^٥ .
ولم يبق مذخور ، ولم يبق مجتدي^٦ .
رحى كل إنجاز على كل موعد^٧ .

واني لأرجو ان تقلّد جيده
منظمه بالموت ؛ يحظى بحليها
البك هتكنا جنح ليل كأنه
تُقلَّلُ بيأدم المهارى وشومها
تُقلَّب في الآفاق صلاً كأنما
تلافي جداك المجتدين ، فأصبحوا
اذا ما رحى دارت أدرت ، سماحة ،

- (١) اني آمل أن تليس بابك الخرمي قلادة (عقداً) في جيده (عنقه) من سيفك (أن تقطع في المعركة المقبلة عنقه بسيفك) . الذئب : حد السيف .
- (٢) قلادة منظمة بالموت (جعلت جاتها من أسباب الموت) ، والتي يسر بها هو الذي يقتلها (ينقها في عنق غيره) لا الذي يقتلها (يلبسها في عنقه) .
- (٣) جتنا اليك سافرين في قلب ليل شديد الظلمة حقيقة أو مجازاً (من حاجة الى المال الذي في يديك) . الأتمد : الكحل .
- (٤) تقلقل (تتنقل) بي : تحملني متنقلة بي في أطراف الأرض . أدم المهاري وشومها : السمر والسود من المهاري ، كما في القاموس (٢ : ١٣٧) ، السطر الخامس . والمهاري جمع مهر (بضم الميم) وهو ولد الفرس أو أول ما يتبع منه ومن غيره (كالابل مثلاً) ، والمقصود هنا الابل لا الخليل . النثر : المرتفع من الأرض . المنثب : المستقيم (صعوداً؟) . الغدد : الفلة (الأرض الواسعة الخالية) التلبيطة .
- (٥) تقلب في الآفاق (تحمل من مكان الى مكان في أطراف الأرض) صلاً (داهية ، يعني أبو عام بالصل نفسه) . يقلب في فكيه شفة مبرد (يجبل في فمه لساناً كأحد حدي المبرد ، أي لساناً قديراً حاداً) .
- (٦) تلافي (تدارك ، أuan ، ساعد) جداك (كرمك) المجتدين (طالبي الجلوس : الطعام) ، حتى لم يبق (لك مال) مذخور ولم يبق مجتدي (حتاج يطلب مالاً) .
- (٧) اذا ما رحى دارت : كلما دارت طاحون لطحن القبح وغيره (او حرب) . ادرت سماحة : وزعت المال كرماً منك في الناس (وكما أن الطاحون لا توقف عن طحن الحبوب ، فانت أيضاً لا تتوقف عن بذل المال . ثم انك تعد كثيراً وتفي بجميع ما تعد ، كأنك تطحن الوعود بإنجازها حالاً ، كما تفعل الطاحون بالحب الذي يلقى فيها) .

اتينكِ لم أفرَعْ إلى غير مَنْزَعٍ ، ولم أنشُدِ الحاجاتِ في غير مَنْشَدٍ .^١
ومن يرجُّ معروفةَ البعيد ، فانما يدي عَوَّلت - في النائبات - على يدي .^٢

(١) أفرَعْ : أَبْلَأْ . المَنْزَعُ : المكان يصلاح لأن يلْجأ الناس إليه . أَنْشَدْ : أطلب . المَنْشَدُ : المكان الذي يمكن فيه تحقيق الحاجات .

(٢) وإذا كان الانسان يطلب المعروف من شخص بعيد (ليس بينه وبين ذلك الشخص قرابة أو معرفة) ، فإن أحدي يدي قد عولت (اعتمدت) على يدي (الآخرى) فطلبت منها (أنت طاني وأنا طاني مثلك) ، فأنا اذن لا أطلب من أحد غريب () .

مدح أبي دُلَف القاسم بن عيسى العجلي

هو من قُواد المأمون والمعتصم . كان كريماً وشجاعاً ، وكان أديباً مُؤلّفاً (ت ٨٤٠ - ٥٢٢هـ).

على مثلها : من أربعِ ملاعِبِ ،
 أقول لقرحانِ من البَيْنِ ، لم يُضِيفْ
 رسيسَ الهوى بين الحشا والترايبِ^١ :
 «أعني أفرقْ شملَ دمبي ؛ فاني
 أرى الشملَ منهم ليس بالمتقاربِ^٢ .
 فما صار ، في ذا اليوم ، عذلك كله
 عدوبي ، حتى صار جهلك صاحبي^٣ .
 وما بك إركابي من الرشدِ مركباً^٤ .
 أذيلتْ مصنوناتُ الدموعِ السواكبِ^٥ .

(١) الربع : المنزل . الملتب : المكان تدرج فيه الريح تمر عليه وتتركه . أذيلت : أهينت .
 - عل مثل هذه الربوع (المجيدة) يحسن أن تذرف الدموع الكثيرة التي قد خزنت في الجفون مدة طويلة .

(٢) القرحان : الذي لم يصبه مرض . قرحان من البَيْنِ : لم يدق البَيْنِ (البعد) . الرئيس : أول الحب . لم يصف رئيس الموى : لم يتزل الحب بعد ضيقاً عليه (لم يعرف الحب بعد) .
 الحشا : الجوف . الترايب : عظام الصدر .

(٣) أفرق شمل دمبي : أثر دموعي المجتمعة (أبكي) . منهم : من الأحباب .
 (٤) العذل : اللوم . - لما أكثرت عذلي على حبي ظلتكم عدوبي حتى تبين لي أنك جاهل بأمري وأمر الحب فعذرك (كان جهلك صاحباً لي فشخ بك الي) .

(٥) الركائب : الحيوانات المستعملة في الركوب . - ان لومك لي ليس جبأ ومحاولة لرمي عن الفي (في مثل هذا الحب) الى الرشاد (إلى الرجوع إلى المقل والمنطق) ، ولكنك أشفقت على الركائب التي طال وقرفها في هذه البداية ، فأنت قائد أبل ولست هادي بشر !

إلى حرقاني بالدموع السوارب^١
فأصبحت ميدان الصبا والحنائب^٢ ؟
هواي بآبكار الظباء السكواكب^٣ :

فكيلني إلى شوقي، وسر يتسير الموى
أميدان هوي ، من أتاح لك البلي
اصابتكم بآبكار الخطوب ، فشتلت

من المسير ، لم تقصد لها كف قاطب^٤ .
وصارت لها أشباحهم كالغوارب^٥ .
— إذا آبه هم — عذيق مغارب^٦ .

وركب يُساقون الركاب زجاجة
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ،
يُصرّف مسراها جذيل مشارق^٧ .

(١) اتركتي وشوقى وسر أنت بالابل ، فان الموى حيثني يحملني على البكاء الكبير فسقط الدموع على حرارة حمي فتخلفها (ان الحب الذي هو سبب حرقاني سيكون أيضاً سبب الدموع التي ستطفيه تلك المرقات) .

(٢) ميدان هوى : مسكنى في أيام شبابي . أتاح : سبب . البلي : الخراب والهجر . الصبا :
الريح الشرقة . الجنائب جمع جنوب (فتح الجم) : ريح الجنوب .

(٣) آبكار الخطوب : المصائب البكر (التي لم يوجد مثلها في الأرض بعد) . شتلت : أبدت ،
نفرت عنى ، آبكار جمع بكر : العنبراء . الظباء : الفزلان (كناية عن النساء الجميلات) .
الكافع : الفتاة اذا كعبت (اذا نهد ثدياتها واستدارا) .

(٤) ركب : جماعة يركبون الأبل ويمارون معها . يساقون الركاب (الأبل) زجاجة من السير : يسوقونها مرة بعد مرة (يسوقونها باستمرار ويجهذونها) حتى كأنها من الجهد والتعب سكري . لم تقصد لها كف قاطب : لم تمزج تلك الخمر باللقاء (لم يرح أولئك المسافرون أبلهم في أثناء تلك الرحلة) .

(٥) الغارب : سام الحمل . السرى : السفر في الليل . الشبح : الخيال ، صورة الشخص (اذا روى الشخص من بعيد فانه يظهر صغيراً غير واضح) . — أكلوا منها الغوارب بالسرى :
أجهذوها بكثرة السفر والسير حتى ذابت أسمتها (ذاكائهم قطعوا أسمتها وأكلوها) .
وصارت لها أشباحهم (لأنهم هم أيضاً نخلوا من كثرة السفر وشدة التعب) كالغوارب :
أصبحوا كأنهم أسمة الأبل .

(٦) يصرف مسراها : يقودها في طرق الاسفار الطويلة الصعبة المضلة . جذيل (رجل كبير الاسفار احتل بالبلاد وخبر طرقاتها وعاداتها) (والتصغير في « جذيل » للنظم) مشارق من السفر في المشارق) . عذيق : رجل تخيل من كثرة الاسفار يشبه العنق (النعلة

يرى بالكعب الرَّوْد طَلْعَةَ ثَاثِرٍ
 كأن به ضيغناً على كل جانبٍ
 اذا العيس لاقت بي أبا دُلْفِ، فقد
 هنالك تلقى المجد حيث تقطعت
 تقاد عطاياه يُجَنْ جنونها،
 اذا حرَّكته هِزَّةُ المجد غَيْرَتْ
 تقاد مغانيه تَهِيشْ عِراصُهَا،

وبالعِرْمِسِ الوجناءِ غُرَّةَ آيِبْ^۱.
 من الأرض، او شوقاً الى كل جانب^۲.
 تقطع ما بيني وبين النواب^۳.
 تَمَائِمَةُ، والجلودَ مُرْخَى الذوائب^۴؟.
 اذا لم يعودها بنغمة طالب^۵.
 عطاياه اسماءَ الأمانِي الكواذب^۶.
 فتركبُ، من شوق، الى كل راكب^۷.

بعملها : هو نخيل كالشخلة ولكن له رأياً جميلاً مفيداً كثمر الشخلة) . اذا آبه هم : اذا حزبه أمر ، اذا فاجأه أمر ثم اشتد وصعب الخروج منه .

(۱) الكتاب : الكاعب (الحاشية ۳ من ص ۱۶۷) . الرود : اليتة التاسعة . طلعة ثاثر : هجوم رجل ثاثر عليه (هو يكره النساء كما يكره الذي يهجم عليه ليقاتلها ، لأن حب المرأة النساء يغيري الانسان بالبقاء في الوطن وترك السفر) . العرس : الناقة الصلبة . الوجناء : الشديدة . غرة آيب : قدمون رجل من سفر (يحب رؤية الناقة الشديدة لأنها وسيلة السفر ، يحب السفر كثيراً) .

(۲) كأن به ضيغناً (حقداً) على كل مكان هو فيه يريد أن يتركه ؛ وكان به شوقاً (حباً) الى كل مكان فهو يريد أن يذهب إليه .

(۳) العيس : اليق . النواب : المصائب . - اذا وصلت الى أبي دلف فاني أخلص من المصائب (لا يبقى للمصائب علي طريق : انه يزيل المصائب عن بكرمه) .

(۴) تقطعت تَمَائِمَةُ : اصبح ثاثراً قد جاوز حد الطفولة (لأن العادة كانت أن تعلق التمام - الاحدبة - في رقب (الأطفال) . مرخى النواب : شاب وافي الشباب . - يقصد أن المدوح كان كثير الجلود أثيل (قديم) المجد .

(۵) لا يكون مسروراً الا اذا جاء من يطلب رفده ، ولا ترضي عطاياه (او لا يرضي عطاياه) الا وهو يرجو من السائل قبولها .

(۶) اذا طرب عند مدحه بمجدته القديم أعطى المادح مبالغ جسيمة (قد يعني المادح نفسه أمنية : نصف مليون ، مليون ... ، ثم يرى أن ذلك من كذب الأمانِي : غير معقول) . بعد ذلك يجد أن المدوح قد أعطاه أكثر مما كان قد تمنى : فكان المدوح قد بدل اسم الأمانِي الكاذبة باسم الأمانِي الصادقة .

(۷) المغنى : الدار ، المنزل . هش : ظهر البشر (السرور) على وجهه . العرصه : ساحة

هَدِيَّاً ، وَلَوْزُقْتِ الْأَمْخَاطِبِ ١ .
 كَسْتَهِ يَدُ الْمَأْمُولِ حَلَّةَ خَائِبِ ٢ .
 بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ ٣ .
 بِنَوَالِ الْحِصْنِ نَجْلُ الْمُحْصَنَاتِ النَّجَائِبِ ٤ .
 اقْارِيْهُمْ ، فِي الرَّوْعِ ٥ . دُونَ الْأَفَارِبِ ٦ .
 سَلِيمًا ، وَلَا يَخْرُبُنَّ مِنْ لَمْ يَخَارِبِ ٧ .
 تَصُولُ بِأَسِيفٍ قَوَاضِ قَوَاضِ ٨ .
 صَدُورَ الْعَوَالِيِّ فِي صَدُورِ الْكَتَائِبِ ٩ .

إِذَا مَا غَدَا أَغْدِيَ كَرِيمَةَ مَالِهِ
 يَرَى اقْبَحَ الْأَشْيَاءِ اُوبَةَ أَمِيلَ
 وَاحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ ، تَفْتَحَةَ الصَّبَّا ،
 إِذَا أَلْحَمَتِ يَوْمًا لِلْجَيْمِ ١٠ . وَحَوْلَهَا
 فَانَّ الْمَنَابِيَّا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَابِ
 جَحَافِلٌ لَا يَتَرُكْنَ ١١ ذَا جَبَرِيَّةَ
 يَسَدُّونَ مِنْ أَيْدِي عَوَاصِمِ عَوَاصِمِ
 إِذَا الْخَيلَ جَابَتْ قَسْطَلَ الْحَرَبِ صَدَّعَوا

- (١) غدا : خرج من بيته باكراً . أغدى : أخرج . كريمة ماله : أفضل ماله . هدي : عروس .
 يذكر في كل يوم بالنحو من بيته ويهدى (يزوج ، يعطي) أفضل ماله لأي طالب يسأل .
 ولو كان ذلك الطالب لعيمًا وليس كفؤً ماله (شه المآل بين المدح و والسائل بالخطاب
 الطالب الزواج) - ألزم نفسه الجود في كل يوم لكل انسان اتفق .
- (٢) أقبح شيء لديه أن يرجع قاصده خائبًا .
- (٣) وان الذي هو أحسن وأجمل من تفتح الزهر في أيام الربيع الشرقيه العليله اعطاء الماز
 الكثير لصاحب الحاجة الشديدة .
- (٤) اذا ألمحت : اذا ألمحت خيوطاً (استعدت للحرب) . لجم : بنو لجم بن صعب بن علي
 ابن بكر بن وائل (قوم أبي دلف المعجل المدحوب بهذه القصيدة). بنو الحصن نجل المحسنات :
 ولد المحسنات (العفيقات) . النجائب جمع نجيبة : الكريمة الأصل الحسيبة (ذات
 الاعمال الكريمة) والتي تتجه (بضم التاء) : تلد الأولاد النجباء .
- (٥) المنابيا (جمع منية : الموت) والصوارم (جمع صارم : السيف) والقنا (جمع قناه :
 الربيع) ، ان هذه الاسلحة تكون مع بنى لجم يوم الروع (في الحرب) أو ان هذه
 هي أقارب بنى لجم في الحرب دون اقاربهم في النسب .
- (٦) المحفل : الجيش العظيم . الجبرية : الكبر (بكسر الكاف) والتجبر . سليماً: معافي .
 يحررين من لا يحارب : لا يسلبن (يأخذن) مال من لا يحاربهم .
- (٧) عواص : منية (تدافع عن نفسها) . عواصم : موانع (تحمي غيرها) . قواض :
 قاتلة . قواضب : قاسدة (ومعنى قواض ومعنى قواضب متقاربان) . صالح : هجم .
- (٨) جابت: جالت ، شقت . قسطل الحرب : غبار الحرب . صدعوا : كسروا . صدور
 العوالي . رؤوس الرماح . صدور الكتاب : صفوف الجنود .

وزادت على ملأ وطدت من مناقب^١ ،
عروشَ الذين استرّهُنوا قوسَ حاجب^٢ .
محاسن أقوامِ تكنُ^٣ كالمعائبِ .
تحاول ثاراً عند بعضِ الكواكبِ .
يُصان رداءُ الملك عن كلِ جاذب^٤ ،
أهابيَ تسفى في وجوه التجارِب^٥ .
به ، ميلَ عينيه ، مكان العوائق^٦ .

اذا افتخرت ، يوماً ، تميمٌ بقوسها ،
فأنتم ، بدبي قاريٍ ، أمالت سيفكم
محاسنٌ من مجدٍ ، متى تقرنوا بها
معاليٌ تماذت في العلوِ كأنما
وقد علم الأفشن^٧ ، وهو الذي به
بأنك لما استخذل النصرُ واكتسي
تحملته بالرأي حتى أريته^٨

(١ و ٢) وطد : ثبت . المناقب : الخصال الحميدة . ذو قار موقع في أدنى العراق وقعت فيه معركة بين العرب والفرس فانتصر العرب على الفرس عام ٦١٠ م (أول سنة منبعثة محمد رسول الله) . أمالت عروشهم : قفت على ملوكهم .

قصة تميم وعجل في البيتين :
كان حاجب بن زراره بن عدس (بضم العين والدال) قد نزل بقومه في أرض الحيرة .
فاستدعى كسرى وفداً من بني تميم وشرط عليهم في سبيل بقائهم حيث نزلوا ألا يعتدوا على أحد من جيرانهم ، وطلب منهم على ذلك رهناً . فدفع حاجب بن زراره قوسه رهناً على ذلك . وقد قبل كسرى القوس رهناً ، ووفى بمن تميم لكسرى بما كان قد شرطه عليهم ،
وصار ذلك معلوداً في مناقب بني تميم .

ولما اجتمع العرب في ذي قار لمحاربة الفرس خاف بعض العرب من خوض معركة مع الفرس وأرادوا أن يفروا . غير أن حنظلة بن ثعلبة العجي نصب خيمة وجلس قربها ثم قال : لا أفر حتى تقرره هذه الخيمة . فعاد الناس كلهم وحاربوا الفرس وانتصروا عليهم .
ثم جاء الإسلام وقضى على ملك الفرس .

(٣) الأفشن هو حيدر بن كاوس أحد قواد الخليفة المعتصم . به يصان رداء الملك عن كل جاذب :
به يدفع الشارون على الدولة (هو الذي يحمي الدولة من كل ثائر عليها) .

(٤) استخذل النصر : فقد جرأته (بدأ المسلمين بالانهزام في حرب بابل الخرمي في جبال البند في خراسان) . اكتسى (لبس) أهابي (جمع أهباء ، بكسر المزءة : غبار) تسفى (ثور ، ثعب) في وجوه التجارب (تمنع الحكم المجرب من رؤية وجه الصواب) .
ـ لما خان الحظ الأفشنين ولم تفعشه شهرته الماخصية وتجاربه الكثيرة في الحروب في أحراز النصر .

(٥) تحملته بالرأي (الخطاب لأبي دلف المدحون في هذه القصيدة) : علوته بالرأي ، بصرته =

بأرشقَ ، اذ سالت عليهم غَمَامَةَ
جرت بالعوايِي والعتاق الشوازبَ^١ .
سللت لهم سيفين : رأياً ومنصلاً^٢ .
وكنت ، متى تُهَرَّزْ لخطبِ تُغَشِّيَهِ
فذكرُك في قلب الخليفة . بعدها .
ضرائبَ أمنى من رفاق المضاربَ^٣ .
فاذكرُك في قلب الخليفة . بعدها .
خليفتك المُقْفَى بأعلى المراتبَ^٤ :
فانْتَسَسَ يَذْكُرُ ، أو يقلُّ فِيك حاسدَ
يُغَلْ قوله . أو تَنَادِيَ يُصَاقِبَ^٥ :
فأنت لديه حاضر ، غير حاضر .
يُذْكُرَ ؛ وعنِه غائب ، غير غائبَ^٦ .
تمَهَّلَ في روض المعاني العجائبَ^٧ .

به ، دلته على الخطبة الصحيحة للتغلب على بابك الحرمي . حتى أربته به (بذلك الرأي)
ملء عينيه (بكل وضوح ، حتى أقتنته) . مكان العاقب (نتيجة استمرار الانهزام وأهله
ستكون سية ، لا على الاشرين وعلى جيشه فقط ، بل على العرب والاسلام أيضاً) .
يعُسَن أن نعلم هنا أن الاشرين كان متهمًا بحملة بابك الحرمي ، وأن الخليفة المعتصم
أدرك ذلك فأرسل أبا دلف العجلاني في جيش كبير لتجدد الاشرين في الظاهر ولمراقبة الاشرين
ولئنه من المسافة مع بابك الحرمي في الحقيقة .

(١) أرشق : حصن لل المسلمين في موقعان (كورة في أرميبيا) . اذ سالت عليهم غمامَة : لما قام
بابك الحرمي بهجوم على الحامية الاسلامية فكان يبيدها . العوايِي . الرماح . العتاق : الخيل
الاصيلية . الشوزب : الضامر .

(٢) سلت له سيفين رأياً ومنصلاً (أunte برأيك وبسيفك) . الدجنة : الظلام . ثاقب :
يُثَقِّب ، يخترق . التجم الثاقب : النجم الشديد المعان الذي يضيء ما حوله .

(٣) تُهَرَّزْ خطب : تسأل رأيك في أمر مشكل أو عظيم . تفشيَه : تبله ، تبدي فيه (رأياً) .
ضرائب جمع ضريبة : خليقة ، طيبة ، رأي . أمنى : أشد قطعاً ، أصح رأياً .
رفاق المضارب : السيف الملاصبة (القاطمة) .

(٤) بعدها : بعد هذه المركبة . خليفتك المُقْفَى : يقوم مقامك أو مقام حضورك في مجالس
الخليفة المعتصم . المُقْفَى : المخصوص بالتقرب والتفضيل .

(٥) فان تنس يذكر : اذا نسيك أحد ذكرك الخليفة المعتصم . يغل قوله : يبطل قوله ،
لا يقبل فيك رأيه . أو تَنَادِيَ يُصَاقِبَ : اذا اتفق أن كنت بعيداً عنه (تقوم له بمهمة
أو تحارب في معركة) فإنه يصادب (يقترب منك بذلك ومدحه ايالك والاحسان اليك) .

(٦) فأنت دائمًا حاضر عنده بذكرك وان كنت غائباً عن مجلسه بجسمك (غير منصوب على الحال) .
وكثيراً ما تكون غائباً عن مجلسه بجسمك ولكنك حاضر في قلبك بذكره ايالك .

(٧) أراح الراعي الفم : ردها في المساء الى المبيت بعد أن راعت طول النهار . عازب الشعر :

من المجد، فهي الآن غيرُ غرائبٍ .^١
 حيَّاضُك منه في العصورِ الدوَاهِب .^٢
 سَحَابٌ منه أَعْقَبَتْ بسَحَابٍ .^٣
 به شَرَحُ الجَوْدِ التَّبَاسَ الْمَذَاهِبِ .^٤
 موَاهِبُه بَحْرًا تُرْجَمَى مَوَاهِبِي .^٥

غَرَابُ لاقتْ فِنائِكَ أَنْسَهَا
 ولو كان يفني الشِّعْرَ أَفْنَاهُ ما قَرَأْتْ
 ولكنه صَوْبُ الْعُقُولُ ؟ اذا انجلتْ
 اقول لاصحابي : « هو القاسمُ الذي
 واني لأرجو : عاجلاً ، ان ترُدَّني

= الشِّعرُ البعيدُ عن مَلْوَفِ الشُّعَرَاءِ الآخرين . تمهلُ في روْضِ المَعْانِيِّ الْمَجَابِ : يقْنِي مَدَة طَوِيلَةٍ في حِدَائِقِ الْأَدْبِ تَتَنَقَّى لَهُ المَعْانِيُّ الْفَرِيقَةُ الْجَمِيلَةُ (يَقُولُ الشَّاعِرُ لِلْمَدْوُحُ : مدحتك شِعْرٌ قد تَأْنَتْ فِيهِ وَصَرَفَتْ فِي اِنْتَهَى مَعَانِيهِ وَقَاتَ طَوِيلًا) .

(١) كانت هذه المَعْانِي غَرِيبَةً لم يَفْهِمُها النَّاسُ ، فَلِمَا وَصَلَتِ إِلَيْكَ وَجَدَتْ عَنْكَ جَدَّاً غَزِيزَّاً أَيْضًا (نَمِيَّاً لِّلَّهِ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ) فَأَنْسَتْ مَعْانِيَ الْفَرِيقَةِ بِعِجَالَكَ الغَرِيبِ فِي الْآنِ عَنْكَ غَرِيبَةً .
 (٢) قَرَى : جَمِيعَ . الْحَيَّاصُ جَمِيعَ حَوْضٍ : حَفْرَةٌ فِي الْأَرْضِ يَحْمِعُ فِيهَا الْمَاءُ (شَبَهَ الشَّاعِرَ مَدْوُحَهُ بِالْحَلْوَسِ وَشَبَهَ الشِّعْرَ الَّذِي مَدَحَ بِهِ الْمَدْوُحَ وَقَوْمَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ قَالَ) : لو كان الشِّعْرُ مَاءً (شَيْئاً مَعْدُودَأً) لِفَنِي (لِتَفَدَّ منْ جَمِيعِ الْأَرْضِ) لِكُثُرَةِ مَا اجْتَمَعَ مِنْهُ فِي حِيَاضِكَ لِكُثُرَةِ مَدْحَتِكَ أَنْتَ وَقَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ بِالْشِّعْرِ) .

(٣) الصَّوْبُ : اِنْصَابَ (انْهَمَار) الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ . انْجَلتْ : اِنْكَشَفَتْ ، ذَهَبَتْ . أَعْقَبَتْ بسَحَابَ : خَلَقَتْهَا (جَاءَتْ بَعْدَهَا بِلَا نَهَايَةٍ) سَحْبٌ جَدِيدَةٌ . - الشِّعْرُ نَبِيٌّ يَجْرِي مِنَ الْعُقُولِ ، فَكُلَّمَا صَدَرَتْ مِنْهُ سَحَابٌ (سَلَاسِلُ مِنَ الْمَعْانِيِّ) تَبَعَتْهَا سَحَابٌ جَدِيدَةٌ ، بِلَا نَهَايَةٍ .
 (٤) القَاسِمُ ابْنِ دَلْفِ الْعَجَلِيِّ . - النَّاسُ الْأَجْوَادُ مَذَاهِبُ (طَرُقَ) مُخْتَلِفَةٌ وَمُتَنَاقِضَةٌ أَحِيَاً فِي بَنْدِ الْمَالِ . وَأَبُو دَلْفٍ يَبْنُدُ مَالَهُ فِي جَمِيعِ الْوِجُوهِ وَبِطَرْقٍ مُخْلِفَةٍ ، حَتَّى لَكُنَّا مَذَاهِبَهُ فِي الْجَوْدِ يَفْسِرُ جَمِيعَ الْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى وَيَوْقِنُ بَيْنَ طَرْقَهَا الْمُخْلِفَةِ .
 (٥) اَنِي آمَلُ اَنْ يَعْطِينِي ابْنُو دَلْفٍ (عَلَى شِعْرِي هَذَا) ، فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ جَدَّاً ، عَطَاهُ كَثِيرًا بِجَعْلِي غَنِيًّا جَدَّاً مَا يَجْعَلُ النَّاسُ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَيَرْجُونَ مِنِّي اَنْ أَعْطِيهِمْ عَطَايَا كَثِيرَةً .

فتح عمورية

خرج توفيل (ثيفيلوس) امبراطور الروم الى زبطرة ، وهي بلدة ولد فيها المعتصم . وقيل : بل ولدت أمه فيها ، وسبي من أهلها وارتکب فضائع هائلة على ما يخبرنا المؤرخون . ورووا ان امرأة هاشمية صرخت ، لما وقعت في السي : وامعتصماه ! فلما اتصل خبر ذلك كله بالمعتصم تجهز اعظم جهاز وقد عين عيون مدن الروم ، عمورية (منشأ الاسرة الرومية المالكة) الاسرة العمورية^١ التي يتسب اليها توفيل ، في ٦ رمضان ٢٢٣ (صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صفصفاً . وكان أبو تمام مع المعتصم ، فلما عاد المعتصم الى عاصمته سامراً ، سنة ٢٢٤ أنسده أبو تمام هذه القصيدة :

السيفُ اصدقُ إنباءً من الكتبِ ؛ في حدَّه الحدَّ بين الجِيدِ واللَّعِيبِ^٢ .
بيضُ الصنائِحِ ، لا سود الصحايفِ في مُتونهنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيبِ^٣ .

(١) Amorian Dynasty .

(٢) راجع الفخرى ١٧١ .

(٣) في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والمزل (الحق والباطل) : كان المتجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للإمبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نجح التين والعنبر ، على ما تقول النجوم .

(٤) الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تويل الشك من التفوس في انتصار العرب .

والعلمُ في شهُبِ الأرماتِ، لامعةٌ
 اين الروايةُ . بل اين النجومُ ، وما
 تَخْرُصًا . واحاديثاً ملتفقةً ،
 عجائبًا ، زعموا الأيامَ مُجفلةً
 وخوّفوا الناسَ من دهماءَ مظلمةٍ
 وصيروا الأبرُجَ العلْيَا مرتبةً
 يقصون بالأمر عنها ، وهى غافلةٌ :
 لو بيت قطُّ امراً قبل موقعيه
 فتحُ الفتوحِ . تعالى ان يُحيطَ به
 فتحٌ تفتحُ ابوابُ السماءِ له :
 يا يومَ وقعةِ عموريَةِ انصرفت
 أبقيتَ جَدَّنِي الاسلام في صُدُّ ،

(١) المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالغرب) اذا التقى الحميان (الحيثان) لا من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة (الكواكب السبعة السيارة) ، أي من فن التنجيم الحرافي .

(٢) التغرس : الكذب . النبع : شجر تصنع من أغصانه الرماح . والغرب : شجر آخر .
ان الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرماح ولا خشب يستعمل لأمور أخرى) .

(٣) دهاء : مصيبة . الكوكب الغربي ذو الذنب . قال ابن الأثير (٦ : ١٩٤) : وفيها (في سنة ٤٢٢ هـ ٨٣٧ م) ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه الذنب ، وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك . هذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي ، وهو يظهر في سمائنا مرة كل ٧٦ سنة ؛ وكانت آخر مرة ظهر فيها في الخامس من أيار (مايو) من عام ١٩١٠ .

(٤) حفل : حافلة ، مزدحمة ، معلومة . معلوقة الحلب : لبنيها حلو الطعام . - رجع الجيش الاسلامي من معركة عموريَة منصوراً محفقة أمانة (شبه الأمانى بضروع الناقة المعلومة باللين الحلو الطعام) .

(٥) دار الشرك : القدسية (عاصمة الامبراطورية الرومية) . في صعد : في ارتفاع (سرور) . في صب : في انحدار (حزن) .

فِدَاعُهَا كُلَّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبٍ .
 كِسْرِي ، وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبٍ
 شَابَتْ نَوَاصِي الْبَلَالِي ، وَهَيْ لَمْ تَشَبَ .
 وَلَا تَرَقَتْ إِلَيْهَا هَمَةُ النُّوَبِ ۲ .
 مُخْضَ الْبَخِيلَةِ ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ ۳ .
 مِنْهَا ، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَاجَةَ الْكَرَبِ ۴ .
 أَذْغُورَدَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ ۵ .
 كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ .

أُمٌّ لَهُمْ ، لَوْ رَجَوا أَنْ تُفْتَدِي جَعَلُوا
 وَبِرَزَهُ الْوَجْهِ قَدْ أُعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
 مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرِ ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكِ ؛ قَدْ
 بِكَرْ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفَ حَادَثَةُ ،
 حَتَّى إِذَا مُخْضَنَ اللَّهُ السَّمِينَ لَهَا
 أَتَهُمُ الْكَرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً
 جَرِي لَهَا الْفَمَالُ بَرَّ حَا يَوْمَ أَنْفَرَةٍ
 لَمَّا رَأَتْ اخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ

- (۱) البرزة : المرأة الجليلة تبرز للناس تحدّثهم . شبه عموريّة بالمرأة البرزة التي لم يستطع كسرى (يقصد: ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمين)؛ يقصد: ما وكر (اليمين) على كثرة حروب الفرس واليمين وانتصارهم ، أن يسيطرّوا عليها (وسيطر عليها العرب) - لم يقدر على فتح عموريّة لا الفرس ولا اليمين (ولا غيرهم) وفتحها العرب بسهولة .
- (۲) بكر : عذراء . افتزع الممارية : دخل بها . - إن الأحداث الكبرى لم تستطع أن توثر في عموريّة ؛ والمصابّ الشديدة لم تستطع الرقي إلى عموريّة .
- (۳) مخض اللبن : خضه حتى ينفصل الزبد منه . مخض البخلية : أي بالفت في المرض حتى لم تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبدة . كانت زبدة الحقب : اجتمعت فيها (في عموريّة) كنوز الدهور (ثم جاء المسلمين فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من اختراع أبي عام .
- (۴) سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عموريّة) (المعنى : عموريّة حائرة متوجبة كيف استطاع المتعصب أن يفتحها) . كان اسمها فراجة الكرب : كان الروم إذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوا لها مثل ذلك ، فجاءهم الآن الخطر منها نفسها .
- (۵) الفم : الأمل الحسن . البرح : الشُّوْمُ والنَّعْسُ . الساحة والرحمة (بكسر الراء وسكون الطاء ، أو بفتح الراء والراء) : الأرض الواسعة المكشونة . وحشة الساحات والرحمة : حالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ، هجروها ، فروا منها . - لما سمع أهل عموريّة بتخرّب المتعصب لأنقرة أيقنوا أنه سيحمل بيلدهم ما حلّ بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

قاني الذوائبِ من آني دَمٍ سَرِبْ !
 لا سُتَّةِ الدِّينِ والاسلام ، مختصبْ .
 للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشبْ .
 يشهه ، وسطها ، صُبْحٌ من اللَّهَبْ .
 عن لونها ، أو كأنَّ الشمسَ لم تغبِ .
 ضوءٌ من النار ، والظلماءُ عاكفةٌ :
 وظللمةٌ من دُخانٍ ، في صحي شحبْ .
 فالشمسُ طالعةٌ من ذا ، وقد أفلت ؛ والشمس واجهةٌ في ذا ، ولم تَجِبْ .
 تصريحَ الدهرُ تصريحَ الغمامِ لها
 عن يومٍ هيجاءً منها طاهر جُنُبْ : .

- (١) قان : شديد الحرقة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثُر فيها الفوارس القتل من الروم ، وكثُر الدماء حتى بلت ذوابن الفرسان (وكان الفرسان يرخون ذوابنهم) .
- (٢) على ان هذا القتل الذي يقع في الروم لم يكن بالقانون الاسلامي (لاختلاف الدين بين المتحاربين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والربيع (لأن الروم اعتدوا على بلد اسلامي) .
- (٣) لقد كثُرت النار التي أوقتها العرب لاحراق البلد واشتدت تلك النار حتى احرقت الصخور فيها بعد أن احرق الخشب .
- (٤) يشهه : يطرده . - كان ضوء النار يبيد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .
- (٥) جلايب حجع جلباب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . - كان السود لم يبق لوناً للليل .
- (٦) عاكفة : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحب : متغير اللون ، قليل اللون (يغالطه بياض أو صفرة) .
- (٧) أفلت : غربت . واجهة : غاربة . - ان اشتعال النار في الليل يوهمنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في الهبار توهمنا أن الشمس غائبة .
- (٨) بوغت عمورية بالحراب ، كما ينشق النيم عن صفحة السماء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالاً لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشراح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : أن المسلمين أسرروا نساء وتنشوهن .

بَانِ بِأَهْلٍ ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَابٍ^١ .
 غَيْلَانُ ، أَبْهَى رُبَّى مِنْ رَبِّهَا الْحَرَبَ^٢ .
 اشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرَبَ .
 عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرَ عَجَابٍ .
 جَاءَتْ بِشَاشِتَهُ مِنْ سَوْءِ مَنْقَلِ^٣ .
 لِهِ الْمَنْيَةُ بَيْنَ السَّمْرِ وَالْقُضْبِ^٤ .
 اللَّهُ ، مَرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ ، مَرْتَغِبٌ^٥ .
 يَوْمًا ، وَلَا حَجَبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجَبٍ^٦ .
 إِلَّا تَقْدِمُهُ جَيْشٌ^٧ مِنَ الرُّعْبِ .

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
 مَارِيعِ مَيَّةَ ، مَعْمُورًا يُطْيِفُ بِهِ
 وَلَا الْخَدْوَدُ وَقَدْ أَدْمَيْنَ ، مِنْ خَجْلٍ ،
 سَمَاجَةٌ غَنَيْتُ مِنَا الْعَيْنَ^٨ بِهَا ،
 وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٌ تَبَدُّو عَوَاقِبَهِ
 لَوْ يَعْلَمُ الْكَفَرُ كُمْ مِنْ أَعْصَرِ كَمَنَتْ
 تَدِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ ، مَنْتَقِمٍ
 وَمُطْعَمٌ النَّصْرِ لِمَ تَكْهُمَ^٩ أَسِنَتَهُ
 لَمْ يَغْزِ قَوْمًا ، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ ،

(١) بَانْ : متزوج . الأَهْلُ : الزوجة . العَزَابُ : من لم يتزوج بعد . - لما دخل المسلمين المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوجاً ، ولما انتهوا من المعركة (قبل غروب الشمس) لم يكن قد بيَّن أحد منهم بلا زوجة (كتيبة عن كثرة السبي من النساء خاصة) .
 (٢) غيلان بن عقبة الشاعر المعروف ببني الرمة شفت بمية بنت طلبة وظل يهيم في ديارها أملا في روتها عشرين سنة . - ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب إلى غيلان من عمورية الحربة (بعد تلك الحرب) في نظر المسلمين .

(٣) كانت نقية المعركة ظفراً للMuslimين وسروراً لهم ، سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكباتهم .
 (٤) السمر : الرماح . القصب جميع قضيب : السيف . - ان العرب كانوا قد صبروا طويلاً على اعتداءات الروم .
 (٥) ان الخليفة المعتصم معتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم الله (قد غزا الروم لأنهم نكروا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (ي يعمل كل ما يفعل وهو حرفيص على لا يخالف أوامر الله في شيء) ، مرتقب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفي ما يقربه إلى الله .

(٦) النصل السيف . كفهم : كل فلم يقطع . - قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكل سيفه ولا استطاع أحد أن يستر عنه فلا يقتل .

(٧) يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم إليهم . في هذا البيت نظر إلى الحديث الشريف : أعطيت خساناً لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو ما معناه) .

لولي قد جحفل يوم الوعى ؟ لغدا—
 من نفسه وحداها — في جحفل بحسب^١.
 رمى بك الله برجيئها فهدماها ؟
 ولو رمى بك غير الله لم تصب^٢.
 من بعد ما اشبوها ، وانقين بها ؟
 والله فتاتح باب المعقول الأشب^٣.
 وقال ذو امرهم : « لا مرتع صدد »
 للسارحين ، وليس الورد من كثب^٤.
 اmania سلبتهم نجح هاجسها
 ظبى السيف واطراف القنا السلب^٥.
 ان الحمامين : من بيض ومن سمر
 دلوا الحياتين : من ماء ومن عشب^٦.
 لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له
 كأس الكرى وريضاب المحرد العرب^٧.
 عداك حر الشغور المستضامة عن
 برد الشغور ، وعن سلسالها الحصب^٨.

- (١) الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصخب الكبير الأصوات (لكتة الرجال والليل فيه) .
- (٢) ان الله سخر لتهديها فاستطعت تهديها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضاً من اعراض الدنيا أو انتقاماً من عند نفسك لما استطعت ذلك ؟ راجع الآية الكريمة : « وما رميتك اذ رميت ، ولكن الله رمى (١٧:٨ سورة الانفال) .
- (٣) أشب البلد : بالغ في تحصينا . وانقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ، ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلهم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتزم .
- (٤) ذو امرهم : رئيسهم . لا مرتع صدد : لا عشب قريب (تلبيهم) . وليس الورد (استقاء الماء) من كثب (في مكان قريب) .
- (٥) الماجس : الفكر الذي يدور في النفس . الطبى جمع طبة (بضم الطاء وفتح الباء) : حد السيف . طرف القناة : نصل الرمح . السلب جمع سلب (بفتح السين وكسر اللام) : الطويل ، أو جمع سلوب : يسلب الناس أموالهم وأرواحهم . — ان ظفر المسلمين في القتال أشد على الروم آلامهم وأمانهم .
- (٦) ان الحمامين (الموتى ، القاتلين) من بيض (سيف) ومن سمر (رماح) ها الدلوان (الوسيستان) للحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .
- (٧) لبيت صوتاً زبطرياً (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (تخل عن) . الكرى : النوم . الرضاب : الريق . المحرد : جمع خريدة : المرأة الجميلة . العرب جمع عرب (بفتح العين) : المرأة المنحبة الى زوجها . — تركت راحتلك ونعميك في سبيل نصرة المظلومين .
- (٨) عداك : تدعى بك ، تجاوزت ، تركت . الشغور الاولى : البلدان التي يخشى منها عدو . العلو ؛ حر الشغور : الحرب . المستضامة : المهزومة الحق ، المظلومة . الشغور الثانية =

اجبته معلناً بالسيف ، منصلتاً ،
حتى تركت عمود الشرك منقيراً ،
لما رأى الحرب رأي العين توفليس ،
غدا يصرف بالأموال جريتها ،
هيئات ! زعزعت الأرض الوقور به
لم يُنفق الذهب المُربّي بكثرة
إن الأسود ، أسود الغاب ، همتها
ولي وقد ألمَ الجمَ الحطبي منطقه

ولو اجبتَ بغير السيف لم تُجب ١ .
ولم تعرج على الأوتاد والطنب ٢ .
والحرب مشتبهُ المعنى من الحرب ٣ ،
فعزه البحر ذو التيار والحدب ٤ .
عن غزو مُحتسب لا غزو مكتسب ٥ .
على الحصى ، وبه فقرُ إلى الذهب ٦ .
يوم الكريهة في المسلوب لا السلَّاب ٧ .
بسكتةٍ خلفها الاحشاءُ في صخب٨ .

= جمع ثغر الذي هو فم الإنسان . برد الثبور : ريق الثبور البارد (كنایة عن النعيم مع النساء) . السلسال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجرى الصغيرة التي يكثر فيها .
الحمى (كنایة أيضًا عن الاهو مع النساء) .

(١) منصلتنا : مجردًا من غده (للقتال) . لو لم تعارب لما أخذت بحق أهل زبطة .

(٢) عمود الشرك : قاعدة الروم في آسية الصفرى (عمورية) . — منقر : متهد . لم تعرج : لم تعل إلى (لم تحفل) . الأوتاد والطنب : قطع صنفية من الخشب تتد بها أطراف الحيمة إلى الأرض (كنایة عن القرى التي كانت حول عمورية) .

(٣) الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .

(٤) جريتها : مجراتها (مجرى الحرب) بطلب الصلح . عزه : عليه . البحر (كنایة عن جيش العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوازي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنها لم يتركوا مجالاً أمام ثيوفيلوس يطلب فيه الصلح) . ذكر فتلاي (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عرض على المعتصم ٢٤٠٠ ليرة من الذهب (نحو ١١٠ كيلو) .

(٥) هيئات : ما أبعد ذلك ! زعزعت الأرض الوقور به : إن الأرض الشقيقة الثابتة قد ارتجت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل الله لا تكبًا للمال .

(٦) لو كان يحتاجاً إلى المال لما أنفق في سبيل هذه الغزوة مالاً أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .

(٧) أن أسود الحرب (الإبطال الحقيقيين) يقصدون قتل الإبطال من أعدائهم لا سي المتابع .

(٨) ول : هرب . أعلم الحطبي منطقه : أصبحت الرماح جلاماً في فمه (منتهي المزية من الحق في الكلام) . تحتما الاحشاء في صخب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع

يَخْتَثُ النَّجْيِ مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ^١ ،
مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خَفَةِ الْطَّرَبِ^٢ .
أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ^٣ .
جَلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التَّينِ وَالْعَنْبِ^٤ .
طَابَتْ ، وَلَوْ ضُمِّنَتْ بِالْمَسْكِ لَمْ تَطِبِ^٥ .
حَىَ الرَّضِىِّ مِنْ رَدَاهِمِ مِيتَ الْغَضْبِ^٦ .
تَجْهُوا الْكُمَاءُ بِهِ ، صُعْرًا ، عَلَى الرُّكُبِ^٧ .
وَتَحْتَ عَارِضَهَا ، مِنْ عَارِضِ شَتَّىِ^٨ .

أَحَذِى قَرَابِينَهَ صَرْفَ الرَّدَى وَمُضِى
مُوكَلاً بِيَقَاعِ الْأَرْضِ يُشَرِّفُهُ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرَهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
تَسْعَونَ الْفَلَّا كَأَسَادِ الشَّرَى تَضَبَّجْتَ
يَا رَبَّ حَوَيَّاهَ لَمَا جَعْتُ دَابِرُهُمْ
وَمُغْضَبُ رُجَعَتْ بِيَضُّ السَّيْفِ بِهِ
وَالْحَرَبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَسَجِيجٍ
كَمْ نِيلٌ ، تَحْتَ سَنَاهَا ، مِنْ سَنَى قَمَرٍ ؟

- (١) ترك خاصته الابطال المقربين اليه الموت ثم ركب أسرع خيهوله ليهرب عليه .
- (٢) موكلاب يفاع الأرض : كانه وكيل على يفاع (مرتفعات) الأرض يقتذر من واحد الى واحد منها (في أثناء هربه) ، ثم يشرقه (يعلو على يفاع = المرتفع من الأرض) ليهرب هل يتبعه أحد . ان الخوف قد جعله سريعاً في ركهه لا الفرح والمرح .
- (٣) عدا يعلو علواً : ركبس يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة البري) ان ثيفيلوس معنور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثرت (ايها الخليفة المتصنم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتفالها) .
- (٤) تسون ألفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة بياسمها . نضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى « كُلُّا نضجتْ جلودُهُمْ بِذَلِّهِمْ جَلُوداً غَيْرَهَا لَيْنُوقُوا العذابَ ... » قبل نضج التين والعنبر : قبل الصيف (الوقت الذي حدده متجمدو امبر طور الروم وكنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة العرب . وقد ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن القتل الروم كانوا ثلاثة ألفاً سوى الاسرى .
- (٥) الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : سرت . ضمخت بالطيب : طلبت بمادة زكية الراحة . - كم من نفس قد سر صاحبها بهلاك هؤلاء الاعداء من الروم أكثر ما كانت تسر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .
- (٦) غصب المتصنم لما بلغت اليه استفانة الماشمية وما نال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المعتدين عاد اليه رضاه وذهب غصبه .
- (٧) مأزق بلجع : مكان ضيق (بساحتته وبازدام المقاتلين فيه) . جثا : رکم (على ركبتيه) صمراً : مائلين بأجسامهم الى الامام (من شدة القتال) . الكبة جمع كمي : البطل .
- (٨) سناها : سنى الحرب (نيراتها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض =

الى المخدّرة العذراء من سبب ^١.
تهزّ، من قُضب تهزّ في كُثب ^٢ :
احق بالبيض، ابدانا ، من الحجب ^٣.

كم كان، في قطع اسباب الرقاب بها،
كم احرزت قضب المندى، مصلنة
بيض اذا انتقضت من حجبها رجعت

• • •

جر ثومه الدين والاسلام والحساب ^٤ .
تنال ^٥ إلا على جسر من التعب.
موصلة ، او ذمام غير منقضب ^٦ .

خليفة الله ، جازى الله سعيك عن
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
ان كان بين صروف الدهر من رحيم

= الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحم) . عارض شنب :
ناب او ضرس يارد الريق (كتابة عن المرأة الجميلة) . - أسر العرب في تلك الحرب عدد
كبيراً من الروميات الجميلات .

(١) اسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدّرة العذراء : المرأة المصوّنة البكر . سبب : وسيلة .
لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات ممكناً الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على
زبطة التي كانت في حكم العرب .

(٢) القضب جمع قضيب : السيف الرقيق . المندى : صنع المندى . مصلنة : مجردة من اغادها .
تهزّ : يلوح بها المجاهدون العرب . قضب هنا جمع قضيب : الفصن المستقيم من الشجر
(كتابية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تهتزّ : تهليل من الجمال والدلالة . الكتب
جمع كثيب وهو الرمل المنتف (كتابية عن المرأة الفخمة الجسم) . - سبت سيف العرب
نساء جميلات (من الروم) .

(٣) بيض الاولى جمع أبيض : سيف . حجبها الاولى جمع حجاب : غمد السيف . انتقضت
(السيوف) : سلت (أخرجت من أغادها) . البيض الثانية بضماء جمع : المرأة الجميلة .
الحجب الثانية جمع حجاب : ستر المرأة (يتها) . - ان السيوف التي انتصرت في موقعة
عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بناء
الروم من الروم أنفسهم) .

(٤) البرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

(٥) صروف الدهر : أحداته الكبرى . رحم : قربة . ذمام : عهد . منقضب : منقطع .

فِيْنَ أَيَّامَكَ الْلَّاتِي نُصْرَتْ بِهَا
وَبَيْنَ أَيَّامَ بَدْرٍ أَقْرَبَ النَّسْبُ^١ ؛
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرَ كَاسِمِهِمْ^٢
صُفْرَ الْوِجْهِ، وَجَلَّتْ أَوْجَهَ الْعَرَبِ !

-
- (١) أيامك اللاتي نصرت بها (معركة عورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٦٢٤ = ٦٢٤ م)
أول معارك الاسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .
- (٢) بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسمهم : كاسم أبيهم ، كأبيهم .
صفر الوجه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتب اسمه من لون وجهه .
جلت : يبغضت ، كرمت . - هذه الموقعة (موقعة عورية) جعلت أوجه الروم تصفر
(تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد وقصير في التعبير قليلاً ، ويمكن أن
يقرأ هكذا :

أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرَ، كَاسِمِهِمْ صُفْرَ الْوِجْهِ، وَجَلَّتْ أَوْجَهَ الْعَرَبِ .
ثُمَّ ان كلمة «أوجه» يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفعل ضمير مستتر يرجع
إلى معركة عورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستئناف : جلت أوجه العرب !

المصادر والراجع^١

أبو تمام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ .

أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب محمد البهبيتي ، القاهرة

١٩٤٥ .

أحسن التقاضي في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ليدن ١٨٧٧ م .

أخبار أبي تمام للصوالي ، نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ،

محمد عبد عزام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

أخبار البحري للصوالي ، حقيقها وعلق عليها صالح الاشت (مطبوعات المجتمع

العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٩٥٨ .

الأدب العربي في آثار الدارسين ، اشرف على اخراجه هيئة الدراسات العربية
في الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ١٩٦١ .

الأدب في ظل التشيع ، تأليف عبدالله نعمة ، صيداء ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

أسرار البلاغة لابي بكر عبدالقادر الجرجاني (تحقيق هـ . ريتـ) ، استانبول
١٩٥٤ .

الاسود = شرح أبي تمام بشرح ملحم الاسود .

أعيان الشيعة (الجزء ١٩ : أبو تمام) ؛ تأليف محسن الأمين ، دمشق

(١) طال الزمن على هذه الدراسة في التبيّع والاعداد للطبع . ويبدو اني في بعض الأحيان قد
رجمت الى مصدر في مطبعتين مختلفتين . ولقد اشرت الى ذلك في مواضعي . ولكن يمكن ان
أكون قد سهوت عن مثل هذه الاشارة عدداً من المرات .

١٣٦٥ - ١٩٤٦ م

الاغاني (بولاق)

أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
 (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م .
 أمراء الشعر العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٣٦ م
 بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام ، شرح ملحم الاسود ، الجزء الأول ،
 بيروت ١٩٣٨ .

ت = ديوان أبي تمام بشرح التبريزى .

ناج العروس

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، طبعة جديدة ، القاهرة
 ١٩٥٧ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

تاريخ الرسل والملوک لأبي جعفر محمد بن جریر الطبری (لیدن) .

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تأليف أبي الوليد عبدالله بن محمد بن
 يوسف الأزدي المعروف بأبن الفرضي ، مصر ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م .
 تاريخ الكامل لابن الاثیر ، مصر ، المطبعة الازهرية ، ١٣٠١ هـ .
 التحف والمهدايا لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين ، مصر
 ١٩٥٦ م .

تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر .

حركة التأليف عند العرب ، تأليف الدكتور أمجد الطرابلسي ، الجزء الأول ،
 دمشق ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م .

خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي ، مصر ١٣٤٧ هـ .

دراسة في حماسة أبي تمام ، تأليف علي النجدي فاصف ، القاهرة ١٩٥٥ م .

دراسات فنية في الأدب العربي ، تأليف الدكتور عبد الكرم اليافي ، دمشق

١٣٨٣ - ١٩٦٣ م .

- ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت المطبعة الأدبية ١٨٨٩ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت (شرح محيي الدين الحباط) ١٣٢٣ هـ .
- ديوان أبي تمام (نشره أحمد عثمان عبدالجيد) القاهرة ١٩٤١ .
- ديوان أبي تمام (مطبعة صبيح) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام (مطبعة حجازي) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان الرصافي . الطبعة الرابعة ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ديوان علي بن الجهم (عني بتحقيقه خليل مردم) ، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٤٩ .
- ديوان مسلم بن الوليد الشهير بتصريف الغواني (استخرجته دهخويه ، ليدن ١٨٧٥ م .
- ديوان المعانى لابى هلال العسكرى ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى (تحقيق محمد عبد عزام) ، ظهر منه ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٥١ م - ١٩٥٧ .
- الرثاء بين أبي تمام والبحترى والمتينى ، تأليف أدبية فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ .
- الزهرة - النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهانى ، اعنى بنشره لأول مرة لويس نيكل البوهيمى وابراهيم طوقان ، بيروت ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ .
- س = ديوان أبي تمام شرح ملحم الاسود .
- سر الفصاحة ، تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي الحلبي .
- سر العيون لابن نباتة مكتبة صبيح ، القاهرة
- شرح ديوان اشعار الحماسة التي اختارها من اشعار العرب أبو تمام ، بولاق ١٢٩٦ هـ .
- شرح ديوان الحماسة ، بون ١٨٢٢ .

شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام ، والشرح) لأبي عليّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ
المرزوقي (نشره أَحْمَدُ أَمِينُ وَعَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ) الْقَاهِرَةُ ١٩٥١ -
١٩٥٣ م.

- شعراء الشام في القرن الثالث ، تأليف خليل مردم ، دمشق ١٣٤٣ هـ
١٩٢٥ م.

- شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ -
١٩٢٧ م.

الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تأليف أَحْمَدُ بْنُ السَّتَّارِ
الجواري ، بيروت ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.

الصحيح المبني عن حديث النبي ، تأليف يوسف البديعي ، دمشق ١٣٥٠ هـ
الصناعتين : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، الاستانة ١٣١٩ هـ .

عقبالية أبي تمام ، تأليف عبد العزيز سيد الأهل ، بيروت ١٩٥٣ م.

العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القبراني ، مصر ،
مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م.

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا
(بن الطقطقى) ، مصر ، المطبعة الرحمانية .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ١٩٥٦ م.

فلاي = Finlay

القهرست لمحمد بن اسحق النديم ، ليزغ ١٨٧١ - ١٨٧٢ م. ومصر
(المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ هـ .

القاموس - القاموس المحيط للقيروزبادي ، مصر ، المطبعة الحسينية
المصرية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م.

قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، لأبي علي الحسن بن رشيق الازدي

كنوز الاجداد . تأليف محمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بلدمشق) . دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

الكلام في شعر البحري وأبي تمام ، تأليف محمد طاهر الجلاوي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

ليل خمس مع أبي تمام . تأليف محمد عبده عزّام : القاهرة ١٩٤٨ م .
المثل السائر

جبلة الكلية (بيروت) المجلد الخامس ١٩١٤ م . - سلسلة مقالات للأستاذ جبر ضومط .

محنارات البارودي (من الشعر العباسى) لمحمد سامي البارودي . بيروت ١٣٢٩ - ١٣٢٧ م .

مروج الذهب

معجم الادباء - ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (أو طبقات الادباء) ، لياقوت الحموي ، مصر (الطبعة الأولى) ، مطبعة هندية .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليبزغ ١٨٨٦ - ١٨٧٣ م ، مصر ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٠٠ م .

مقدمة للدراسة النقدية في الادب العربي ، وهي محاضرات ألقاها بدعوة من كلية المعمول والنقل في جامعة طهران الاستاذ أنيس المقدسي (منشورات جامعة طهران ، رقم ٤٤٠) ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٨ م - ١٣٣٦ هـ . فارسي - ١٣٧٣ هـ .

الرواية بين أبي تمام والبحري لأبي القاسم بن بشر الأدمي ، الاستاذة ١٢٨٧ .

نرخة الابباء في طبقات الادباء لعبد الرحمن بن محمد الانباري ، مصر ١٢٩٤ .

الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ، القاهرة ١٩٤٣ م .

هبة الايام فيما يتعلق بأبي تمام ليوسف البديعي ، القاهرة ١٩٤٥ م .
همزيات أبي تمام (تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون) ، القاهرة
١٩٤٢ م .

الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، الطبعة
الأولى (دار احياء الكتب العربية) ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
وفيات الاعيان لابن خلkan ، بولاق ١٢٩٩ م .

Ahsan at - Taqāṣīn ... , par Al - Mudaddisi ... Traduction partielle ,
annotée par André Miquel (Institut Français de Damas) , Damas
1963 .

La critique poétique des arabes , par Dr. Amjad Trabulsi , Damas
1956 .

Encyclopaedia of Islam (New edition) I 153 - 155 .

GAL =Geschichte der arabischen Litteratur , von Carl Brockelmann,
Bd. 1, Leiden 1943 .

GAL , Suppl. — Supplementband zu GAL I , Leiden 1937 .

Histoire de la Littérature arabe , par C. Huart , Paris 1902 .

History of the Byzantine Empire , By George Finlay (Everyman's
Library) .

JRAS , 1905 , pp. 763 - 782 .

A Literary History of the Arabs , by R. A. Nicholson , London 1930 .

فهرست أبجدي لأعلام الأشخاص مع عدد من أسماء الجماعات

ح - في الحاشية

م - مكرر في المتن أو في الحاشية أو فيهما معاً .

ابن الأثير ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٧٤ . ابن الاعرجي ١٠٠ . ابن بسام = نصر بن منصور بن بسام ابن جني ١٠٧ . ابن خازم = خزيمة بن خازم ابن خلukan ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ١٠٩ ح . ابن رشيق ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٦٩ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ١٤٠ ، ١٢٩ . ابن رغبان = ديك الجن . ابن الرومي ١٨ ، ٦٣ ، ٩١ ، ١١٢ . ابن الزيات = محمد بن عبد الملك الزيات ابوسعید خالد بن هاشم = الحالديان ابن سیتی ١٦ . ابن شباة ، شباتة = محمد بن الهیثم بن شباة	ت آل حميد - بنو حميد آل أبي عبد الكرييم آل طوق ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣١ . آل عبد الكرييم ١٢٢ . آل عبد الكرييم الطائي ٣٨ . آل مصعب ١٥١ م . آل وهب ١٢٢ . الآمدي ٥٤ - ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ م . - ٦٨ ، ٨٤ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٦٨ م . ١١٠ ، ٩٩ ، ٩٧ ١٣٩
---	--

- ابن الشجري . ١٠٨ .
 ابن عساكر . ٢٣ .
 ابن فارس = أحمد بن فارس .
 ابن القارض . ١١٢، ٥٦ .
 ابن هبعة = عياش بن هبعة .
 ابن المدبر - إبراهيم ١٠٠ م .
 ابن المدبر - أحمد ١٠٣ .
 ابن المستوفى الاربلي . ١١١ .
 ابن المعدل . ١٠٢ .
 ابن مهرويه ١٠٢ م .
 ابن النديم . ١١٢، ١٠٣، ١١٣ م .
 ابن هرمة . ١٠٧ .
 أبو البركات المبارك بن أحمد = ابن المستوفى .
 أبوبكر بن داود الاصفهاني . ١١٣ .
 أبو بكر عثمان بن هاشم = الحالديان .
 أبو تمام
 أبو الحجاج بن محمد = البياسي .
 أبو دلف العجلي . ٣٢-٣١، ١١٦، ٦٧، ٣٢ .
 أبو زيد (كاتب عبدالله بن طاهر) . ١٢١ .
 أبو السعادات هبة الله = ابن الشجري .
 أبو سعيد الشعري . ٣٢، ٥٢، ٦٦ م .
- ١١٨-١١٧، ١١٦، ٧٦، ٧٥
 ١٥٧، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٢
 . ١٦٥-
 ابو ضياء النصبي = النصبي
 ابو الطيب (ابن عم ديلك الجن) ٢٦
 ابو الطيب = المتنبي
 ابو العباس نصر بن منصور = نصر بن بن بسام
 ابو العباس احمد بن عبدالله = القطريلي
 ابو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل =
 يحيى بن اسماعيل .
 ابو العناية . ٤٧، ١٠٥ .
 ابو العلاء = المعري
 ابو علي (ابن أبي تمام) ٣٧ م، راجع
 . ١٢٥ .
 ابو فراس . ٩١، ٩٨ .
 ابو الفرج الاصفهاني . ٢١-٤٦، ٢٢
 ، ٦٣، ٦٧، ٨٠، ٨١، ٨٤
 . ٩٩-١٠١، ١٠٢ .
 ابو القاسم الامدي = الامدي
 ابو كرب بن حسان . ١٧٥ .
 ابو المغيث الرافقي . ٣٣، ١٢٠، ١٢٢ م .
 . ١٣١ .
 ابو مكفت المزني . ٧٠-٧٢ .
 ابو نصر محمد بن حميد = محمد بن

- حميد الطوسي .
 ابو نشهل بن حميد الطوسي . ٣٥
 ابو نواس ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٨، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧ ح .
 الاصفهاني = أبو الفرج الاصفهاني
 الاصفهاني = علي بن حمزة الاصفهاني ٤٣٠، ٦٢، ٦٩، ٧٩، ٨١، ٩٣، ٤٧، ٤٨، ٢٦، ١٩، ١٥ م .
 الاصفهاني = ابو بكر بن داود الاصفهاني ٩٦، ٩٧ ح ، ١١٢، ٩٩ ، ١١٢، ٩٧ ح .
 الاعلم الشتمري ١٠٨ م . ١٢٠ ح ، ١٢٩ .
 ابو هلال العسكري ٧٨، ١٠٧، ١٠٨ .
 ابو الوفاء بن سلمة ١٠٤ م .
 ابو يزيد (والد خالد بن يزيد الشيباني)
 اقليدس ١١ م . ١١٧ .
 الآله ٧٦ .
 أم المعتصم ٥١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٥ م . ١٨٠ .
 امرؤ القيس ٩٨، ٨٨، ٥٦ .
 امين - احمد ١٠٦ ح .
 الامين - محسن ٤١، ٤٣، ٤٣، ١٠٣ .
 احمد بن فارس ١٠٨ .
 احمد بن المعتصم ١٢٢ .
 احمد بن عبيد الله = القطرلي ١٢٣، ١٢٣ .
 احمد بن عبد الكريم الطافى ١٢٢ .
 الاخطل ٩٨، ٩٨ .
 اسحق بن ربيع ١٢٨ .
 اسحق بن ابراهيم المصعي ٧٥، ١٢٢ .
 اسكندر ١٧٥ م .
 بابل الخرمي ٥١، ٥٠، ٣١ م .
 الاسود (الدكتور ملحم) ١٢٧، ١١٢ .
 ايوب بن سليمان بن عبد الملك ٤٥ ح . ١٣٣ ح .

ب

- بنو نبهان ١٥٤، ٧١ م . ١٤٥
- بنو الهجيم ٧٩ ح . ١٦٠
- البهيبي - نجيب ٢٢، ٢٣ - ٢٤، ٢٤ ح . ٨٦
- بودا ٣١ ح .
- البياسي - ابو الخجاج بن محمد ١٠٩ . ١٠٩
- البحري ٢٢، ٣٤ - ٣٥، ٣٥، ٥٥، ٨٤، ٨٥، ٨٦ م . ٦٨
- الطائيان ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩ م . ١١٢

ت

- تأبط شرّاً ١٠٥
- التربرizi ٦٢، ٧٠، ١٠٦، ١١٠، ١١١ - ١١١
- تمام الشاعر هو ابو تمام ٣٥ .
- تمام (بن ابي تمام) ٢٣ ، ٣٧ .
- تميم ١٧٠ م .
- توفيل بن ميخائيل ٥١ - ٥٠ = توفلس ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠ .

بدر (بن يزيد بن الحكم) ١٠٥ .
البرامكة ٩١ .

بروكمن ٨٥ م .

بشار ٩١، ٦٢، ٤٧، ٣٩، ٢٦ .

بشر بن المعتمر ١٠٣ .

بكر بن النطاح ١٠٥ .

البلاذري ١٠٣ .

بلحارث = بنو الحارث

بلغنبر = بنو العنبر

بلهجم = بنو الهجيم

بني الاصغر ١٨٢ م .

بني الحارث ٨٩ ح .

بني الحصن ١٦٩ م .

بني حميد ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٥ - ١٢٧ .

بني خشين ٦٥ م .

بني صالح ١١٧ .

بني العنبر ٧٩ ح .

بني القعقاع ٧١ .

بني لحيم = لحيم

ث

ثادوس = ثدوس

ثدوس العطار ٢٢ م ، ٢٤ .

ثديوس ٢٢ ح (= ثدوس)

ثعلب - ابو العباس ٦٤ ح .

ثيو = ثيودسيوس ٢٢ ح .

ثيودسيوس = ثدوس

ثيوفيلوس : توفيل بن ميخائيل

ج

الحافظ ٦٠ .

الجبار (الله) ٧٦ .

الحرجاني	٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦	حيدر بن كاووس = الافشين
جورير	٩٨، ٥٦	خ
جسم بن بكر	١٢١	الحارزنجي . ١١٠ .
عصر الطائف	٣٢، ١٢٧، ١٢٢، ١٢٨	خالد الكاتب . ١٠٢ .
عصر الطائف	٣١	خالد بن مزيد بن مزيد الشيباني ٤٥
جمال - محمد	١١٣ ح.	. ١٢٩، ١٢٨، ١٢٢، ١١٧
جميل بن معمر	١٠٥	خالد بن مزيد بن المهلب . ٤٥ .
حاتم الطائي	١٠٦	الحالديان . ١٠٨، ١١٠ .
حاجب بن زرار	١١٦، ١٧٠ م.	الخطيب التبريزى = التبريزى
الحارث بن همام	٧٠	. خزيمة بن خازم ٦٢ .
الحال	١١٣ ح.	الهفاجي . ٨٠ .
حبيب ، حبيب بن أوس	= أبو تمام	النساء . ١٠٥ .
حبيش المعافي	١٢٢	الحياط - جعفر = جعفر الحياط
حسان بن ثابت	١٠٥	الحياط - الشیخ محبی الدین ٢٤ ح.
الحسن بن بشر	= الامدی	. ١٤٢، ١٣٢، ١٢٢، ١١٣
الحسن بن هانی	= أبو نواس	حیدر = حيدر بن كاووس الافشين
الحسن بن سهل	١٢٢	د - ذ
الحسن بن علي	١٢٢	دانی . ٥٦ .
الحسن بن وهب	٣٤، ٣٥ م.	داود بن داود الطائی . ١٢٢ .
حفص (بن عمر الازدي)	٤٦، ٧٤	دبعل . ٩٩، ٧١-٦٩
حنظلة بن ثعلبة	١٧٠ م.	ديك الجن . ٣٦، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٢٥ م.
		. ٦٩، ٨٥، ٩١ .
		ذفافة العبسی . ٧٠-٧١ .

ذو الرمة = غيلان مية

- سليمان بن وهب ١٠٣، ١٢٢.
- السؤال ١٠٥.
- السميسطاني ١٠٠.
- سهم بن أوس ٣٧.
- سيد الأهل - عبدالعزيز ٨٦.
- سيف الدولة ١٠٨.

ش

- شاكر - محمد محمود ٣٨.
- الشجري = ابن الشجري
- الشريف الرضي ٩١.
- الشريف المرتضى ١٠١.
- شكسبير ٥٦.
- شميم الحلبي ١٠٩.
- شوفي = احمد شوفي
- شيخو - لويس ٢٣، ٢٦.

ص

- صاحب الاغاني = ابو الفرج الاصفهاني
- صالح بن عبدالله الماشمي ١٣١.
- صدر الدين البصري ١٠٨.
- صربيع الغواني = مسلم بن الوليد
- صهيب بن أبي صهباء ٤٠، راجع
الخاشية ٢.
- الصولي - أبو بكر ٢٧-٢٨، ٤٠، ٥٨.
- ٧١-٧٢، ٧٣-٧٤، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧ ح

ر

- ربّ الثار ٧٦.
- رتّر ٢٢ ح.
- الرسول = محسّد رسول الله .
- الرصافي - معروف ٩٦ ح.
- رعيسن الثاني = ابن سيني
- رقاش بنت جذيمة ١٢٣.
- روفائيل ١٥ .

ز

- الزيات - أحمد حسن ٨٥ .
- زهير بن أبي سلمى ٥٦، ٦٤، ٨٩، ٩٨ .
- زياد بن حمل ١٠٥ .
- زيدان - جرجي ٨٥ .

س

- سدوس ٢٢ ح .
- السرى الرفاء ١٠٣ .
- سعاد ٦١ .
- السفاح العباسي ١١٦ .
- السكري ٦٤ ح .
- سلام - عبد الرحمن ١١٣ ح .
- سلامة بن جابر النهدي ٤٠ .
- سليمان بن نصر ٢٦ .

. ١٠٩-١١٠ .

الصولي (لعله هو أو آخر) ١٠٦ ح .
١١٣ .

ض

ضومط - جبر . ٦٠ .

ضيف - شوقي . ٨٦ .

الطائي = أبو تمام

الطائيان = أبو تمام والبحري . ٨٦ م .

طاهر بن الحسين . ٣١ م .

طرفة . ١٠٥ .

الطرماح بن حكيم . ٥٦ .

طوقان - ابراهيم . ١١٤ ح .

ع

العباس بن الاحتق . ١١٢ ، ١٠٥ .

عبد السلام بن رغبان = ديك الجن .

عبد الصمد بن المعتزل = ابن المعذل

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ٤٥ م .

عبد الكريم . ١٠٠ .

عبد الكريم الطائي . ٢٥ م .

عبد الله الدامغاني . ٣١ .

عبد الله بن طاهر . ٣٠ م ، ٤٦ ، ٣٢ ، ٩٤ .

٥١، ٥٥، ٥٢ م .

١٠٤، ٦٦، ٣٢، ٣٠ م .

١١٨-١٢٢، ١٢١، ١١٩ .

١٤٥-١٥١ .

- (ابنان له) ١٢٨ .

عبد الله الكاتب ١٣٢، ١٠٢ ح .

عتبة بن أبي عاصم ١٣٢، ١٠٢ .

عتبة بن أبي عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عثمان بن المثنى القرطبي ١١٢ .

عدى العديين = عدى بن نصر بن ربيعة
١٢٣ م .

العديل بن الفرخ ١٠٥ .

عروة بن الوردة ١٠٦ .

عزّام - محمد عبده ١٠١ ح ، ١٠٩ ح .

عساكر - خليل محمود ١٠١ ح .

العاطف بن هرون ٤٠ .

عطية - شاهين ٢٤ ح .

علي بن أبي طالب ٤١-٤٢ ، ٤٢، ٨٣ ، ١٣٣ ، ١٢٢ ح .

علي بن أبي الفرج = صدر الدين البصري

علي بن الجهم ٨٤، ٧١، ٣٥ . ١١٩ .

علي بن حمدان = سيف الدولة

علي بن حمزة الاصفهاني ١٠٩ ، ١١٣ .

علي بن محمد بن بسام ١١٩ .

علي بن مرة ١٢٢ .

عمارة بن عقيل ٦٥ .

عمر بن أبي ربيعة ١٩ ، ٩٠ م .

عمر بن طوق ١٢٢ .

عمر بن عبد العزيز الطائي ١٢٢ .

ق

القاسم = أبو دلف العجلي
 قسطنطين ٢٢ ح .
 قسطة = قسطنطين
 القطريلي ١٠٠ .
 قلابة الجرمي ٤٠ .
 القلمس ١٢٣ م .

عمرو بن عدی ١٢٣، ٢٩ م .
 عمرو بن العاص ٢٧ م .
 عمرو بن كلثوم ٨٨، ١٠٥ .
 عمرو بن مسعدة ١٠٣ .
 عمرو بن هاشم السروي ٤٠ .
 عمير بن الوليد ٣٠ .
 عنترة ٦٤، ٧١، ٨٨، ١٠٥ .

ك

كرامة بن أبیان ٤٠ .
 کسری ١٧٠ م ، ١٧٥ م .
 كعب بن زهیر ٦٤ م .
 بلحیم ١٦٩ م .

عیاش بن لهیعة ٢٧—٢٨، ١٢٣، ١٢٢، ٢٨ .
 عیسی بن مریم ٣٦ .
 غالب بن عبد الحمید الصدی ١٢٢ ،
 غوتہ ٥٦ .
 غیلان ١٧٧ م .

م

مازیار ٥١ م .
 مالک بن الحارث النخعی ٨٣ ح .
 مالک بن دلهم ٤٠ .
 مالک بن طوق ٣٣ ، راجع ١٢٠—١٢١ .
 المأمون ٣٠ ح ، ٣١، ٤٦، ٤٦، ٣٥، ٣١ ،
 ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٣٥، ٣١ ،
 ١٢١، ١١٦، ١١٥، ٥٠، ٤٩
 ، ١٥٢، ١٤٥ ح ، ١٢٧ م ١٢٢
 . ١٦٦ .

المبارك بن أحمد = ابن المستوفی
 المتّبی ٩١ م ، ٩٨ م ، ١٣٩ م .

ف

فاطمة ٤١ ح .
 الفتح (غلام أبي تمام) ٣٦ .
 الفرزدق ٩٨، ١٠٥ .
 الفضل بن صالح ١٢٢ .
 فنلای ١٧٩ ح ، ١٨٠ .
 فيرجیل ٥٦ .

- المحبر = زهير بن أبي سلمي .
 محمد رسول الله ٤١-٤٢، م٨٥، ٤٢، م٧٦، ح١٣٣، ١١٧، ح١٧٠، ح١١٦
 محمد بن يوسف الثغرى = ابو سعيد الثغرى .
 مخلد بن بكار ٣٦، ح١٠٢ .
 المرزباني ١٠٠ .
 المرزوقى ٨٦، م٨٩، ١٠٦، ١١٠، م١١٠ .
 مرغوليوس ٢٢ ح .
 مسلم بن الوليد ١٥، م٥٦، ٢٦، ٦٩، م١٥ .
 مسلم ٨٥، م٩٨، ٩١، ٨٥، م٩٨ .
 مطر (من أسلافبني شيبان) ١١٧ .
 مطعيم بن اياس ٣٩ .
 معاوية (بابك الحرمي ؟) م١٥٩ .
 معبد بن وهب ١٦٣ م .
 المعتصم ٣١، م٣٢، ٣٣، ٤٩، ٥٠ .
 المعموم ٥٢، م٥١ (المعصوم) .
 ، ١٢٨، ١٢٢، ١٢١، ١١٨
 م١٧١، ١٦٦، ١٦٠ ح ١٥٩ .
 ، ١٨٣ .
 ، (أم المعتصم ٥١) .
 المعرى ٩١، ١٠٣، ١١٠ م .
 المعموم = المعتصم ١١٦ .
 معن (من أسلاف طيء) ٢٩ .
 المقدسى - أنيس ٤٤، ١٢٢ ح .
 المنخل بن الحارث اليشكري ١٠٥ .
 المنصور العباسى ٤٧، ١١٦ .
 المهدي العباسى ١١٦ .
-
- (١) شابة خ ٥٥، اخبار ابي تمام ١٨٨، حاشية ؛ عن مروج الذهب ؛ شابة ت ١ ٢٨٩: ١

- المهللي . ١٠٥ .
 هرون الرشيد . ٩١، ٤٧ .
 هرون بن عبد الله المهللي . ٦٩ .
 موسى بن ابراهيم الراقي = ابوالمغيث
 الراقي .
 و
 موسى بن جابر الحنفي . ١٠٦ .
 موسى بن جابر الحنفي . ١٢٠ ح .
 موسى بن عبد الله المهللي . ٤٢—٤١ .
 موسى بن عبد الله المهللي . ٩١، ٤٧ .
 الواشق . ٣٤ .
 الواشق . ١٢٢، ١١٦—١١٥، ٥٢ .
 . ١٢٨ .
 وحيد المغنية . ١٨ .
 الوليد (شاعر) . ١٠٢ .
 الوليد بن عبد الملك . ٤٥ ح .
 وهب (من أسلاف طيء) . ٢٩ .
 مينا .
 مية بنت طيبة . ١٧٧ م .
 ن
 النابغة الذبياني . ٩٨، ٦٨ .
 النبي = محمد رسول الله .
 نصر بن منصور بن بسام . ١٢٢ .
 النصيبي . ١٠٠ .
 نظير الاسلام . ١٠١ ح .
 نيكل - ع . ١١٤ .
 ر . ١١٤ ح .
 ه
 هالي . ١٧٤ ح .
 هارون — عبد السلام محمد . ١٠٦ ح .
 هرون (بن عمران) . ٤٢—٤١ .



أ. علاء الدين شوقي

مصادر ومراجع

ديوان أبي تمام :

- بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م .
 - (فسر الفاظه . . . محيي الدين الخطاط ، بيروت (طبع بمناظرة والتزام محمد جمال ، نحو ١٣٢٣ هـ) .
 - (نشره أحمد عثمان عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٤١ م .
 - القاهرة (محمد صبيح) ١٩٤٢ م .
 - القاهرة (حجازي) ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزى (نشره عزّام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ - ١٩٥٧ م .
- همزيات أبي تمام (نشرها عبد السلام محمد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م .
- بدر اللهم في شرح ديوان أبي تمام للملحم الأسود ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٢٨ م .
- جداؤل ديوان أبي تمام (مجلة المشرق) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٥ م (ص ١٠٥٨ وما بعد) .

المختار من شعر النبي والبحترى وأبي تمام (صنوع عبد القادر الجرجانى) ، في مجموع اسمه «الطرائف» (تأليف عبد العزيز الميمنى) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .

- ديوان الحماسة (مع شرح مختصر) طبعات عديدة .
- شرح ديوان أشعار الحماسة (شرح التبريزى ، القاهرة (بولاق) ١٢٩٢ هـ .
- (نشرها فرايتاخ) ، بون (ألمانية) ١٨٢٢ م .
- شرح ديوان الحماسة (شرح المرزوقي) (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٢ - ١٣٧٤ هـ (١٩٥٣ - ١٩٥١ م) .
- كتاب الوحيشيات : الحماسة الصغرى (علق عليه عبد العزيز الميمني الراجحتى) ، وزاد في حواشيه محمد محمد شاكر ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .
- الموازنة بين الطائبين : أبي تمام والبحترى في الشعر للأمدي .
- قسطنطينية (مطبعة الجواب) ١٢٨٧ هـ .
- بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣٣٢ هـ .
- القاهرة (مكتبة محمد علي صبيح) بعيد ١٩٣٠ م .
- (حقق أصوله محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م .

- (تحرير أحد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .
 أخبار أبي تمام للصوالي (نشره خليل محمود عساكر و محمد عبد عزام ونظير الدين الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م) .
- هبة الأيام فيما يتعلّق بأبي تمام ، تأليف يوسف البديعى ، القاهرة (مطبعة العلوم) ١٩٣٤ م .
 أبو تمام وموازنة الأدمى ، تأليف محمد محمد الحسيني ، القاهرة (المجلس الأعلى لرعاية الأدب والعلوم الاجتماعية) ١٩٦٧ م .
- أبو تمام الطائى : حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية ، تأليف كوركيس عواد ويعنائيل عواد (بناسبة انعقاد مهرجان أبي تمام في الموصل) ، من ١١ - ١٤ - ١٤ كانون الأول - ديسمبر ١٩٧١) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .
- أبو تمام الطائى : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب البهسيتي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٥ م .
- أعيان الشيعة (الجزء التاسع عشر: أبو تمام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .
- ليلال خمس مع أبي تمام ، تأليف محمد عبد عزام ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م .
 عبقرية أبي تمام ، تأليف عبد العزيز سيد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .
 شرح المشكل من ديوان أبي تمام والتنبي للمبروك بن أحمد الاربيلي (نشره محمد عبد عزام) ، القاهرة ١٩٣٥ م
- الكلام في شعر البحترى وأبي تمام ، تأليف محمد طاهر الجلاوى ، القاهرة ١٩٤٨ م .
 دراسة حامة أبي تمام ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٥ م .
 أبو تمام الطائى ، تأليف خضر الطائى (منشورات وزارة الثقافة والارشاد - مديرية الثقافة العامة) ، سلسلة الكتب الحديثة ١٠ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٩٦٦ م .
 الرثاء بين أبي تمام والبحترى والتنبي ، تأليف أديبة فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
 أبو تمام ، تأليف جيل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ م .
 راجع أيضاً تاريخ الأدب العربي للمؤلف لمصدر عامّة أخرى (٢٥١: ٢٦٨ - ٢٦٨) .

هذه
السلسلة

تعالج آثار ذفر من أعلام الأدب والعلم والفلسفة بأسلوب جدي واضح، وهي تعتمد النصوص في المرتبة الأولى مع الاشارة إلى مظانها في مصادر الثقافة . ومع أنَّ هذه الدراسات قد قُصد بها الدارسون وهم على عتبة التخصص ، فإنها مقيدة لقارئِ العام ، كأنها تضع في يد المتخصص منهاجاً واضحاً للتوسيع في الدراسة . وفي هذه الدراسات دقة في التفكير وصحة في التعبير مما يحتاج إلى المتعلم المبتدئ ويطمئن إليه طالب الاختصاص . وهذه السلسلة بتتنوع موضوعاتها تلبّي طلب الأديب وطالب العلم ودارس الفلسفة وتحلّل لدراسات المبة طرائقاً صحيحةً كأنها توجز الجمود الماضية التي قام بها أساطين التاريخ وفتاد الأدب ورجال العلم . ولقد أوجز مؤلفها في الكلام ليترك المجال فسيحًا للفكر . إن عالمًا الحاضر متوجه بسرعة إلى الجذائب الفكرية وإليه

الثقافة الشاملة

٢٥٠